القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

الكلاسيكو: نجاة تشافي أم رد اعتبار أنشيلوتي؟

الرصافة السورية: لؤلؤة البادية وحاضنة التاريخ

حوار: حنين الزعبي العضوة السابقة في الكنيست

احتجاجات إيران: أسبوع رابع من الاشتعال 03
العراق: انتهاكات متواصلة لحرية الإعلام والرأي 18
المورد الثقافي بعد دورتين: نتائج إيجابية 46

أوكرانيا: استعصاء عسكري ومآزق سياسية

ثمة مؤشرات عديدة تقود إلى الاستنتاج بأن ميزان الاجتياح العسكري الروسي في أوكرانيا بات يتراوح بين جمود عسكري على الأرض أو انكسارات ميدانية وانسحابات عشوائية، وبين إقدام موسكو على تصعيد خيارات العمليات الجوية إلى درجة قصف المدنيين والمنشآت الحيوية في عشرات المدن والبلدات، وهذا الاستعصاء العسكري يترافق مع جمود سياسي على صعيد الحلول السلمية عموماً أو حتى على صعيد تدابير تصدير النفط والغاز والقمح. في غضون ذلك تواصل الولايات المتحدة والحلف الأطلسي وأوروبا عموماً ضخ المزيد من الأسلحة والعتاد إلى أوكرانيا، ويتسع الصراع ليصنع المزيد من مآزق الطاقة على مستويات عالمية.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

الفلسطينيون بين المصالحة والهبة الجماهيرية

للمرة الأولى لم يعط الرأي العام الفلسطيني أي اهتمام لما يجري في العاصمة الجزائر، والسبب أن كل الاهتمام كان منصبا على الميدان ومن يصنع فجرا فلسطينيا جديدا.

رام الله ـ «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

لم يحدث أن قابل الفلسطينيون اتفاقا للمصالحة ولم الشمل الفلسطيني مثلما حدث في اتفاق الجزائر قبل أيام. لقد حفلت التعبيرات الشعبية والنخبوية حتى بكم كبير من السخرية والتندر والفكاهة والنقد الحاد ليس للجزائر الدولة الشقيقة المستضيفة بطبيعة الحال بل للفصائل الفلسطينية وما تمثله.

صحيح أن هذه المواقف لها علاقة مباشرة بتكرار اتفاقيات المصالحة التي لم تثمر حتى اللحظة رغم مرور سنوات طويلة عليها، وهو ما يجعل اتفاق المصالحة في الجزائر «نسخة رديئة» من تلك الاتفاقيات التي تبدو جميلة الصياغة وتلبي مطالب وأماني الشعب الفلسطيني، لكن هذا الشعب يعرف جيدا أنه لن يكتب لها النجاح في قلب الأحوال رأسا على عقب وفي تغيير مسار الانقسام الفلسطيني.

يضاف إلى تجارب الماضي غير المثمرة أن حالة النقد اللاذع والسخرية انصبت أيضا على الفصائل الفلسطينية الـ 14 التي اجتمعت على مدى يومين، حيث أن أغلب هذه الفصائل هي في الحقيقة أسماء كرتونية، حتى أن البعض يقول إن كثيرا من هذه الفصائل، والتي تحصل على مخصصات مالية من منظمة التحرير الفلسطينية، لا يتجاوز عدد أعضائها حمولة حافلة صغيرة.

السخرية المرة من اتفاق/ اتفاقات المصالحة دفعت البعض إلى استحضار قاموس الأمثال والأقوال الشعبية المأثورة للتندر على ما جرى في الجزائر، مثلا الكوميدي علاء أبو دياب قال إن «قاضي الأولاد شنق حاله» في إشارة إلى سلوك وممارسات الأحزاب الفلسطينية التي هي أقرب إلى سلوك الصبيان منها لرجال راشدين.

لكن الأهم من كل تلك المواقف التي تستند على خيبة الأمل هو تنامي ظاهرة «الفصائل الفلسطينية الجديدة» التي تبدو مصدرا لكل الأمل الفلسطيني حاليا.

فعين الفلسطينيين بقيت في الميدان، ولم تذهب للجزائر التي لا يحبونها فقط بل يعشقونها، لدرجة أن بعض النشطاء أكدوا أنها المرة الأولى التي لم يعط الرأي العام الفلسطيني أي اهتمام لما يجري في العاصمة الجزائر، والسبب في ذلك مرده أن كل الاهتمام كان منصبا على الميدان ومن يصنع ما يسمى «فجرا فلسطينيا جديدا» وهي الصيغة التي أصبحت مقابلا موضوعيا لكلمات وصيغ «الاتفاق التاريخي الذي يعيد المياه إلى مجاريها» حسب وصف الرئيس الجزائري لاتفاق المصالحة الأخير.

وحسب المحلل السياسي عادل شديد فإن ما يجري في الضفة الغربية يحمل كل المؤشرات لمرحلة جديدة من تراجع العمل الفصائلي المركزي.

ويضرب شديد الأمثلة على ذلك مثل: «ظهور كتيبة جنين في مخيم جنين، ومجموعات عرين الأسود في نابلس، واتحاد عائلات وأهالي مخيم شعفاط وبلدة عناتا التي أعلنت عصيانا مدنيا ضد قوات الاحتلال، وظاهرة كتائب شهداء الأقصى في بيت لحم وأسماء مختلفة في مناطق أخرى».

في سياق استحضار تجارب نضالية ووطنية ناجحة يتذكر المتابع أحداثا مثل تنامي دور اتحاد أولياء أمور طلبة مدارس القدس الذي قاد تحركا تاريخيا في مدينة القدس قبل أيام عبر تنفيذه إضرابا تاريخيا احتجاجا على أسرلة المناهج الفلسطينية وتهويدها. إلى جانب النجاح الجزئي لدعوات الإضراب التي أعلنها القائد الميداني البارز والمطارد فتحي الخازم من مخيم جنين قبل أسبوعين، وتلك الدعوات التي طالبت بها مجموعات «عرين الأسود» في نابلس قبل أيام معدودة، وجميعها دللت على تسلل حالة تناغم شعبية مع قيادات وفصائل جديدة.

يضاف إلى ذلك ما رصده مراقبون من محاولات فصائل وحركات العمل الوطني للتنصل من تلك الدعوات وهو ما عكس محاولات غير معلنة من أجل إجهاضها عبر التأكيد أن الدعوات لم تصدر عن تلك الفصائل في جنين ونابلس ورام الله ومدن أخرى. جانب من محاولات فهم ما يجري ميدانيا في ظل التداعيات السياسية التي تفرضها تطورات شمال الضفة الغربية والقدس أيضا، عقد مركز «رؤية» للتنمية السياسية جلسة نقاش مستفيضة وبمشاركة مجموعة من الخبراء والمحللين والباحثين، وكانت إحدى المداخلات للباحث والأكاديمي أحمد جميل عزم، الذي تحدث مكثفا عن علاقة الأفراد والمجموعات المسلحة الفلسطينية الجديدة بالفصائل الوطنية الفلسطينية والسلطة أيضا.

وقدم عزم مقاربة مختلفة قليلا، في ظل أن الجو العام، حسب ما يقول، يطرح أسئلة بصيغة العتب واللوم حول دور الفصائل مما يشهده الميدان؟

وبرأي عزم فإنه كي نفهم ما يجري بالضفة علينا تحليل ظاهرة الفصائل نفسها، معتبرا أنها كانت لها أشكال ومظاهر مختلفة بين فترة وأخرى، فكلمة الفصيل عنت في ثورة عام 1936 ليس ما تعنيه كلمة فصيل اليوم، حيث لم تكن تنتمي لعنوان سياسي معين بل لمنطقة جغرافية محددة، فتعريف الفصائلية في بدايات ظهورها مختلف عن الفصائلية الثانية في فترة الستينيات وعن الفصائلية الجديدة اليوم.

وتابع: «الظاهرة الفصائلية الحالية تنتمي لنوع مختلف من الفصائل القديمة من حيث التطوعية والتمويل الذاتي وانصهار تيارات فكرية مع بعضها البعض».

ويرى عزم أن التمظهر الثاني للفصائلية ضم فصائل منظمة التحرير التي كان لديها تصور مختلف للعمل من حيث التنظيم والتعبئة ومن ثم الإرسال للنضال.

وأضاف أنه في فترة سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي ظهر نوع مختلف من العلاقة مع الفصائل، فكان هناك تيار عام وسائد كان يقول أنه من يريد النضال عليه أن يذهب للخارج، وهناك كان الفلسطيني يلتحق بفصيل مقاوم.

وشدد على أن عام 2000 حيث اندلاع انتفاضة الأقصى حدث شيء مختلف، حيث ذهب المواطنون للنضال ومن ثم ظهرت الفصائل والتحقت بالمواطنين.

وتابع عزم أن هناك كثيرا من المناضلين التحقوا بالفصائل لأسباب لوجستية ودعم مادي أو بشري من دون انتماء عقائدي أو فكري، وضرب مثالا بعملية تناغم شعبية مع قيادات وفصائل جديدة.

يضاف إلى ذلك ما رصده مراقبون من محاولات فصائل وحركات العمل الوطني للتنصل من تلك الدعوات وهو ما عكس محاولات غير معلنة من أجل إجهاضها عبر التأكيد أن الدعوات لم تصدر عن تلك الفصائل في جنين ونابلس ورام الله ومدن أخرى. جانب من محاولات فهم ما يجري ميدانيا في ظل التداعيات السياسية التي تفرضها تطورات شمال الضفة الغربية والقدس أيضا، عقد مركز «رؤية» للتنمية السياسية جلسة نقاش مستفيضة وبمشاركة مجموعة من الخبراء والمحللين والباحثين، وكانت إحدى المداخلات للباحث والأكاديمي أحمد جميل عزم، الذي تحدث مكثفا عن علاقة الأفراد والمجموعات المسلحة الفلسطينية الجديدة بالفصائل الوطنية الفلسطينية والسلطة أيضا.

وقدم عزم مقاربة مختلفة قليلا، في ظل أن الجو العام، حسب ما يقول، يطرح أسئلة بصيغة العتب واللوم حول دور الفصائل مما يشهده الميدان؟

وبرأي عزم فإنه كي نفهم ما يجري بالضفة علينا تحليل ظاهرة الفصائل نفسها، معتبرا أنها كانت لها أشكال ومظاهر مختلفة بين فترة وأخرى، فكلمة الفصيل عنت في ثورة عام 1936 ليس ما تعنيه كلمة فصيل اليوم، حيث لم تكن تنتمي لعنوان سياسي معين بل لمنطقة جغرافية محددة، فتعريف الفصائلية في بدايات ظهورها مختلف عن الفصائلية الثانية في فترة الستينيات وعن الفصائلية الجديدة اليوم.

وتابع: «الظاهرة الفصائلية الحالية تنتمي لنوع مختلف من الفصائل القديمة من حيث التطوعية والتمويل الذاتي وانصهار تيارات فكرية مع بعضها البعض».

ويرى عزم أن التمظهر الثاني للفصائلية ضم فصائل منظمة التحرير التي كان لديها تصور مختلف للعمل من حيث التنظيم والتعبئة ومن ثم الإرسال للنضال.

وأضاف أنه في فترة سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي ظهر نوع مختلف من العلاقة مع الفصائل، فكان هناك تيار عام وسائد كان يقول أنه من يريد النضال عليه أن يذهب للخارج، وهناك كان الفلسطيني يلتحق بفصيل مقاوم.

وشدد على أن عام 2000 حيث اندلاع انتفاضة الأقصى حدث شيء مختلف، حيث ذهب المواطنون للنضال ومن ثم ظهرت الفصائل والتحقت بالمواطنين.

وتابع عزم أن هناك كثيرا من المناضلين التحقوا بالفصائل لأسباب لوجستية ودعم مادي أو بشري من دون انتماء عقائدي أو فكري، وضرب مثالا بعملية تناغم شعبية مع قيادات وفصائل جديدة.

احتجاجات إيران: أسبوعا رابعا من الاشتعال

بدأ إضراب عام واسع النطاق في المدن الكردية امتد بعد ذلك إلى طهران وشيراز، شمل التجار والأسواق الرئيسية في المدن حيث أغلقوا متاجرهم وانضموا إلى الاحتجاجات المشتعلة في أرجاء البلاد.

صادق الطائي

مع دخول الاحتجاجات الإيرانية أسبوعها الرابع، والتي اندلعت في جميع أنحاء البلاد إثر وفاة مهسا أميني في حجز الشرطة، عقد قادة السلطات الثلاث في إيران اجتماعاً، حيث اجتمع رئيس الجمهورية إبراهيم رئيسي مع رئيس البرلمان محمد باقر قاليباف ورئيس السلطة القضائية غلام حسين محسني إيجئي في المبنى الرئاسي في طهران في وقت متأخر يوم السبت 8 تشرين الأول/اكتوبر الجاري للتأكيد على الحاجة إلى «الأمن والهدوء» للحفاظ على اقتصاد البلاد وسبل عيش الشعب.

وقال بيان قصير نُشر على الموقع الرسمي لرئاسة الجمهورية: «في الوقت الحالي، يحتاج المجتمع الإيراني إلى الوحدة بين جميع الفئات بغض النظر عن اللغة، أو الدين، أو العرق، للتغلب على العداء والانقسام الذي يحرض عليه أعداء إيران». وقد شهدت العاصمة طهران وعدد من المدن الإيرانية حركة احتجاجات عنيفة مع استمرار القيود الحكومية المفروضة على الإنترنت منذ أسابيع، وعلى الرغم من القيود، فقد استمر تداول مقاطع الفيديو على وسائل التواصل الاجتماعي التي أظهرت الاحتجاجات الشعبية في سنندج وأصفهان وكرج ورشت وشيراز وغيرها من المدن الإيرانية.

في غضون ذلك، نقلت مجموعة «عدالت علي» وهي مجموعة معارضة ناشطة على شبكة الإنترنت، الاحتجاجات إلى منازل الإيرانيين عندما اخترقوا نشرة الأخبار المسائية على التلفزيون الرسمي الإيراني يوم السبت 8 تشرين الأول/اكتوبر الجاري، إذ تمكنوا من اقتحام البث التلفزيوني وهو يقدم تقريرا عن آية الله خامنئي ووضعوا صورتهم الخاصة لوجهه، كهدف للرمي وهو محاط بالسنة اللهب، وبجانبه صور مهسا أميني وثلاث شابات أخريات قُتلن على أيدي قوات الأمن. ووردت رسالة على الشاشة تقول «دماء شبابنا على يديك». وبدلاً من صوت مذيع الأخبار، سمع المشاهدون هتافات «المرأة، الحياة، الحرية» وهي صرخة الاحتجاج الرئيسية للمحتجين في الشوارع.

وأكد موقع «إيرنا» الإخباري الذي تديره الدولة، أن احتجاجات خرجت في عدة جامعات في طهران وأراك وزنجان وهمدان ومشهد وبوشهر وجيلان وكرمان ومدن أخرى، حيث خلعت بعض الطالبات حجابهن ورددوا شعارات مناهضة للمؤسسة الحاكمة. وفي بلدة سقز، مسقط رأس أميني، في إقليم كردستان إيران، أظهر مقطع فديو نشر يوم السبت 8 تشرين الأول/اكتوبر صوت تلميذات المدارس يهتفن «امرأة، حياة، حرية» وشوهدن وهن يسرن في الشارع يلوحن بالحجاب فوق رؤوسهن. كما بدأ يوم 10 تشرين الأول/ اكتوبر إضراب واسع النطاق في المدن الكردية امتد بعد ذلك إلى طهران وشيراز، إذ بدأ التجار في البازار الكبير بطهران، وحي لالهزار، وحديقة سبعبلار، وتجريش بازار، وشيراز بازار والأسواق الرئيسية في المدن الكردية إضرابًا عاما وأغلقوا متاجرهم وانضموا إلى الاحتجاجات المشتعلة في مختلف أرجاء البلد.

وتصاعدت حدة الاحتجاجات في سنندج، عاصمة كردستان إيران، حيث أظهر مقطع فيديو بثع تم تداوله على وسائل التواصل الاجتماعي يوم السبت 8 تشرين الأول/اكتوبر شخصا يقود سيارته يُقتل بالرصاص في أحد شوارع المدينة بعد الظهر. وقالت وسائل إعلام أجنبية وجماعة حقوقية كردية إن الشاب قتل على يد قوات الأمن، لكن ضابطا بالشرطة قال إن «مناهضي الثورة» هم من قتلوه. وأفادت وسائل إعلام رسمية أن أحد عناصر الحرس الثوري قُتل في سنندج يوم السبت الماضي. كما قُتل أحد أفراد قوة الباسيج شبه العسكرية في طهران. ويُعتقد أن العشرات من المتظاهرين وقوات الأمن قُتلوا كما اعتقل الكثيرون، لكن لم يتم إعلان الحصيلة النهائية للمعتقلين حتى الآن.

وحسب صور نُشرت على الإنترنت وتحققت منها وكالة الصحافة الفرنسية، فقد تم وضع لافتة كبيرة على جسر للمشاة فوق طريق مدوارس السريع الذي يمر وسط طهران تحمل العبارة التالية: «لم نعد خائفين. وسنحارب» وفي مقطع مصور آخر، يظهر رجل وهو يغير كلمات لوحة إعلانات حكومية كبيرة على نفس الطريق السريع من «الشرطة في خدمة الشعب» إلى «الشرطة قتلة الشعب». وقالت منظمة «هنغاو» وهي منظمة حقوقية كردية مقرها في النرويج، إن «إضرابات واسعة النطاق» جرت في مدن سقز وسانندج وديفاندارى في محافظة كردستان، بالإضافة إلى مدينة ماهاباد في محافظة أذربيجان الغربية.

في غضون ذلك، سيطرت وفاة فتاتين مراهقتين على الأخبار الإيرانية في الأيام الأخيرة. إذ توفيت نيكا شكارامي في طهران بعد مشاركتها في الاحتجاجات، وكانت قد اختفت لمدة 10 أيام قبل عيد ميلادها السابع عشر. كما كانت سارينا إسماعيل زاده التي تبلغ من العمر 16 عامًا قد توفيت أيضا أواخر الشهر الماضي في كرج. وأفادت وسائل الإعلام الناطقة باللغة الفارسية والجماعات الحقوقية الأجنبية أنهما قتلتا على يد قوات الأمن أثناء الاحتجاجات، لكن السلطات الإيرانية زعمت أن نيكا شكارامي ماتت نتيجة سقوطها من سطح مبنى بالقرب من منزلها، بينما ماتت سارينا إسماعيل زاده – وهي مدوّنة وناشطة ويوتيوبر– منتحرة عن طريق رمي نفسها من على سطح منزل أسرتها.

كما أثار تقرير لمكتب الطب الشرعي في طهران عن وفاة مهسا أميني مزيدًا من الجدل حيث أشار التقرير الرسمي إلى أن الشابة توفيت بسبب تاريخ من الأمراض الكامنة وليس بسبب أي ضربات على الرأس أو الأعضاء الحيوية. ورفضت عائلة أميني مزاعم السلطات التي تقول بأنها لم تتعرض للضرب وأنها كانت تعاني من ظروف صحية سيئة مسبقًا، وطالبت عائلة الضحية برأي خبراء مستقلين موثوق بهم لتقييم تقارير تشريح جثتها. وقال نائب في البرلمان الإيراني إن التقرير عن وفاة أميني ستتم مناقشته في البرلمان. ورفضت أسرة أميني حتى الآن طلبات المشرعين بالذهاب إلى البرلمان لمناقشة وفاتها.

وقد نددت السلطات الإيرانية بالمظاهرات ووصفتها بأنها «أعمال شغب» تحركها مخططات امبريالية وقوى أجنبية، كما تم تنظيم عدة مظاهرات مضادة لدعم الدولة في جميع أنحاء البلاد. ومن جانب آخر دأب الحرس الثوري الإيراني على قصف ما وصفه بالمواقع التي تشغلها الجماعات الكردية الانفصالية «الإرهابية» في كردستان العراق، وأشار بيان إيراني رسمي يوم السبت الماضي إلى مقتل 30 «إرهابيا» وجرح 200 آخرين. وقال البيان إن هجمات المدفعية والصواريخ والطائرات المسيرة ستستمر إذا ظلت الجماعات الإرهابية تشكل تهديدا على الأمن القومي الإيراني.

ومع استمرار الاحتجاجات في إيران، كانت هناك أيضًا مظاهرات في الخارج، إذ تستمر حكومات العديد من الدول في إدانة قمع القوات الحكومية للحركة الاحتجاجية في إيران. ونظمت مظاهرات مؤيدة للاحتجاجات في إيران في عشرات المدن في أنحاء العالم كان آخرها في مديمة فانكوفر الكندية. وقالت الحكومة الكندية إنها أدرجت في القائمة السوداء حوالي عشرة آلاف عضو من الحرس الثوري الإيراني، الذي وصفه رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو بأنه منظمة «إرهابية». وانضمت كندا إلى الولايات المتحدة في فرض عقوبات على السلطات الإيرانية، كما أشار المتحدث باسم الاتحاد الأوروبي أيضًا إلى إن الاتحاد الأوروبي يدرس فرض عقوبات على إيران على خلفية انتهاك حقوق الإنسان.

وتندد طهران بهذه الخطوات ووصفتها بأنها «تدخل أجنبي» مرفوض وقالت الخارجية الإيرانية إنها ستدرد إذا فرض الاتحاد الأوروبي عقوبات على إيران. وقال مسؤولون إيرانيون إن تسعة أجانب على الأقل اعتقلوا بالتزامن مع حركة الاحتجاجات بتهمة التجسس، لذلك دعت عدة دول أوروبية مواطنيها لمغادرة إيران خوفا من التعرض للاعتقال التعسفي. إذ نصحت الحكومة الفرنسية رعاياها الذين يزورون إيران بـ «مغادرة البلاد في أسرع وقت ممكن» متذرعة بخطر الاعتقال التعسفي. كما نصحت الحكومة الهولندية مواطنيها بتجنب السفر إلى الجمهورية الإسلامية أو المغادرة عندما يمكنهم القيام بذلك بأمان.

في غضون ذلك أعرب عدد كبير من المشاهير الأجانب ونجمات عروض الأزياء وحتى نجوم أندية كرة القدم عن تضامنهم مع حركة الاحتجاج الإيرانية. وكان المطربان دوا ليبا وأندرو هوزير من أحدث الشخصيات التي نشرت تعليقات متضامنة مع قضايا حقوق الإنسان في إيران على حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، كما قامت مجموعة من الممثلات الفرنسيات البارزات، بينهن الفائزات بجائزة الأوسكار جوليت بينوش وماريون كوتيار، بتصوير أنفسهن وهن يقصصن خصلات شعرهما دعماً لنساء الاحتجاجات الإيرانية.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ

اقتتال في شمال سوريا تمهيدا لتشكيل تحالف الطيعين

رغم تعقد المشهد في الشمال السوري، إلا أنه في نهاية الأمر ستتمكن أنقرة من استثمار نتائجه وبلورتها كورقة سهلة التفاوض مع النظام السوري.

منهل باريش

تنعكس الاستدارة التركية نحو النظام السوري بشكل واضح في الميدان، بمنطقة ريف حلب الشمالي، حيث تحولت قضية اغتيال الناشط الشاب محمد عبد اللطيف أبو غنوم وزوجته حنان محمد الحسن الحامل بطفلة في شهرها الخامس، إلى حالة اقتتال بعد ثبوت تورط قيادة الصف الأول في إصدار أمر الاغتيال.

تدخلت هيئة «تحرير الشام» على الفور في المسألة وهددت «الفيلق الثالث» الذي سيطر على مقر الزراعة والكلية العسكرية في الباب شرقي حلب التابعين لفرقة «الحمزة» عقب حادثة الكشف عن المتورطين.

ودخلت هيئة «تحرير الشام» المعركة بـ «جيش عمر» و«لواء طلحة» ليل الأربعاء عبر محوري الغزالية وجندريس باتجاه منطقة عفرين ذات الغالبية الكردية، وقاد الهجوم، حسب مصادر عسكرية، القائد العسكري لهيئة «تحرير الشام» مرهف أبو قوصرة، المعروف باسم «أبو حسن 600» وهو المشرف على محور الهجوم من دير بلوط إلى جندريس ومنها باتجاه عفرين، فيما قاد الهجوم على المحور الشرقي الذي يصل إلى الباسوطة فعفرين، مسؤول قطاع أريحا وجبل الزاوية، أكرم الترك «أبو أسامة».

قاومت حركة «التحرير والبناء» رتل «تحرير الشام» ومنعته من الدخول 24 ساعة لكن فرقة «سليمان شاه» المعروفة محليا باسم العمشات نسبة لقائدها محمد الجاسم أبو عمشة، قطعت طريق الإمداد والحركة بين منطقة جندريس وعفرين وسيطرت على ناحية المعبطلي شمال عفرين، وهو ما أجبر قادة «أحرار الشرقية» و«جيش الشرقية» على تحييد فصيليهما عن القتال.

على محور الباسوطة، وهي المنطقة التي تسيطر عليها فرقة «الحمزة» ويقودها النقيب حازم مرعي فقد انضمت للقتال إلى جانب «تحرير الشام» رغم إعلان قائد القاطع بداية عدم تدخله بالاقتتال الذي بدأ إثر عملية الاغتيال في مدينة الباب.

الاختراقات الحاصلة وخصوصا التي قامت بها الفصائل الموالية للواء السلطان مراد، دفعت «الجبهة الشامية» و«جيش الإسلام» وهما القوتان الرئيسيتان في «الفيلق الثالث» إلى تفضيل الانسحاب والتراجع من مدينة عفرين نحو منطقة كفرجنة وذلك لعدة أسباب، أهما عدم خوض حرب شوارع في مدينة مكتظة بالمدنيين، لكن السبب الأهم هو شعور الجبهة الشامية بغدر الفصائل بها بحجة موقف الحياد من الاقتتال، أضافة إلى أن منطقة كفرجنة تعتبر حصنا متقدما غرب مدينة اعزاز وهي المعقل الرئيسي لـ«لجبهة الشامية».

تابعت كتائب «تحرير الشام» (جبهة النصرة) التقدم باتجاه كفرجنة ليل الخميس، وفشلت بتحقيق أي خرق في المحور، على العكس تمكن الفيلق الثالث من السيطرة على موقعين استراتيجيين جنوب عفرين، وهو ما أشعر قادة «تحرير الشام» انهم قد يقعون في كمين وتجري عملية التفاف على ارتالهم المنتشرة على طريق عفرين –كفرجنة.

بالموازاة جرت جولة مفاوضات بين القائد السابق للفيلق الثالث أبو أحمد نور وقائد «تحرير الشام» أبو محمد الجولاني، وقال مصدر مقرب من قيادة الجبهة الشامية إن اللقاء عقد في معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا، واستمر لساعة متأخرة من يوم الخميس، وتوقفت الاشتباكات ودخلت المنطقة هدنة غير معلنة خلال التفاوض، وعلمت «القدس العربي» من المصدر أن الجولاني اشترط لوقف القتال عدة شروط «أبرزها تشكيل قيادة موحدة أمنية ومدنية وخروج الفصائل من المدن وتمركزها على الجبهات مع النظام» ولكنه أجل الخوض بالتفاصيل حتى موافقة الفيلق الثالث. وأضاف «المصدر» أن الجولاني قال لنور أنه لن يوقف الحشد على اعزاز ويتراجع إلى عفرين إلا إذا دخلت قواته إلى قلب مدينة اعزاز حيث «دوار الجمال» ومن ثم تتراجع ووصف المصدر الخطوة بان الهدف منها «إهانة الجبهة الشامية وتكسير أسها» حسب تعبيره.

انتهت جلسة الخميس دون احراز تقدم، واتفق الطرفان على عقد جلسة مساء الجمعة، حضرها قائد الفيلق الثالث، حسام الياسين «أبو ياسين» إضافة لقائد المركزيات، مهند الخلف، الملقب أبو أحمد نور، وتوصل الطرفان إلى اتفاق مبدئي احتوى عشر نقاط، هي، وقف إطلاق نار شامل وإطلاق سراح كافة الموقوفين من جميع الأطراف وعودة قوات الفيلق الثالث إلى مقراته وثكناته، الفقرتان السادسة والسابعة إلى تنازل كبير من قبل قائد الفيلق الثالث، حيث لم ينص الاتفاق على انسحاب «تحرير الشام» من منطقة عفرين ولم يأت على ذكر عودة الأمور إلى ما قبل الثلاثاء، إضافة إلى ان البند السابع يحصر عمل «الفيلق الثالث» بالمجال العسكري وهو ما يمنعه من ممارسة أي نشاط اقتصادي أو سياسي أو حوكمي أو على صعيد المؤسسات الأمنية أو الشرطة المدنية أو العسكرية.

وعقب نشر بنود الاتفاق، سارعت قيادة الفيلق الثالث إلى تكذيبه أو اعتباره مسودة فقط أو خريطة طريق للحل، وعلمت «القدس العربي» من مصادر عسكرية في الفيلق المذكور، ان القادة العسكريين غضبوا جدا من نص الاتفاق وبعضهم تحدث مع «أبو ياسين» بشكل غير لائق، إضافة إلى اعتراض قيادة «جيش الإسلام» على الاتفاق، الأمر الذي دفع أبو ياسين إلى إخطار الجولاني بسحب نص الاتفاق بهدف إضافة بند ينص صراحة على مغادرة «تحرير الشام» منطقة عفرين بشكل كامل. وعزز صد هجوم «تحرير الشام» من معنويات جنود «الفيلق الثالث» خصوصا مع احباطهم من محاولات الاقتحام التي قامت بها العصائب الحمراء وكتائب خالد بن الوليد وهما قوتا النخبة في هيئة «تحرير الشام».

وتتحدث مصادر الفيلق عن مقتل نحو 100 عنصر من «الهيئة» خلال يومي الخميس والجمعة وحدهما.

سياسيا، أصدر الائتلاف الوطني السوري المعارض بيانا دان فيه الاقتتال، ولكنه لم يجرؤ على ذكر اسم «تحرير الشام» في حين غرد رئيس الحكومة السورية المؤقتة ان حكومته «تواصل إدارة مدينة عفرين» مشيرا إلى أن «القوات الأخرى غادرت المدينة» من دون ان يسميها، مشيرا إلى ان المؤسسات «المدنية والعسكرية تعمل بشكل كامل وتستمر بتقديم الخدمات للمدينة وأن المؤسسات الأمنية ستسهر على أمنهم وحماية ممتلكاتهم ولن تسمح بحدوث أي فوضى أو انفلات أمني». كما بثت تصريحا مصورا لناطق باسم وزارة الدفاع المعارضة، أكد فيه صباح الجمعة، خلو المدينة من كافة المظاهر المسلحة والفصائل وان من يقوم بحفظ الأمن والأمان هم الشرطة المدينة والعسكرية، وبعد دقائق من كلام المتحدث، بث نشطاء صورا لآليات وعربات عسكرية تتبع لهيئة «تحرير الشام» تتجول في شوارع عفرين الرئيسية وساحاتها، كما سرب السكان المحليون الأكراد صورا تظهر جهاز الأمن العام التابع للجولاني يقوم بتدقيق البطاقات الشخصية للساكنين في المنازل. في حين واصل المجلس الإسلامي السوري اتخاذ مواقف حازمة للغاية من «تحرير الشام» فأصدر بيانا، الأربعاء، حدد من خلاله موقفه من الأحداث الحاصلة في الشمال السوري، ودعا فيه إلى الوقوف بوجه هيئة «تحرير الشام» وفرقتي «الحمزة» و«السلطان سليمان شاه».

وقال البيان إن المجلس «يتابع ما يجري من اختطاف لناشطي الثوار أو اغتيالهم، وعدم مراعاة لحرمة النساء والحمل في بطونهن استجابة لأوامر تنفذ حرفياً، وما يحصل من انتشار للفساد والظلم والبغي، وتعطيل للتعليم».

وطالب البيان العناصر المنتمين لـ«هيئة تحرير الشام» و«فرقة «الحمزة» و«السلطان سليمان شاه» بوجوب حقن الدماء والامتناع عن طاعة من يأمرهم بمعصية، والابتعاد عن ترويع الآمنين أو الاحتماء بمخيماتهم، فإنّهم إنّما يقاتلون –في هذه المعركة– المصلحينَ من أجل الفاسدين.

على الصعيد الكردي، أرعب تحرك «تحرير الشام» الكيانات الكردية السورية وعلى رأسها المجلس الوطني الكردي ورابطة المستقلين الكرد وترك أعضاؤها مكاتبهم وهربوا باتجاه مدينة اعزاز يوم الجمعة، وحمل المجلس الوطني الكردي مسؤولية ما يحصل للأطراف الدولية والإقليمية وحدد تركيا بشكل صريح ومباشر.

رغم تعقد المشهد في الشمال السوري، إلا أن نتائجه في نهاية الأمر ستتمكن أنقرة من استثماره وبلورته كورقة سهلة التفاوض مع النظام السوري، أما الحديث عن سر التحالف بين «شاتمي» بعضهم كل الوقت، فنعتقد أنه لا يمت للمصلحة بمعناها السياسي بشيء وهو بعيد عن الواقع وأقرب للخفة والسذاجة. فالجولاني يسعى إلى بسط نفوذه على كامل المحور في الشمال السوري، بعد نجاح تجربته في إدلب ومحيطها. كما أن أنقرة قد اختبرته جيدا بقضية الالتزام بالاتفاقيات التركية– الروسية. فقد سيرت الهيئة ارتالا ومرافقة لحماية قوات الشرطة العسكرية الروسية على طريق حلب–اللاذقية. وسيدفع القتال في حال استمراره إلى تشكل جبهة من الفصائل تكون أكثر التصاقا بأنقرة، وهي بالفعل جبهة الراكضين إلى التسوية مع النظام السوري في حال تمكن رئيس جهاز المخابرات في البلدين من التوصل إلى خريطة طريق يتوقع ان تتبلور معالمها قبل نهاية العام بكل تأكيد. انها بالفعل جبهة الطيعين.

«تحرير الشام» في منطقة عفرين

Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

العراق: ترقّب لردّة فعل الصدر على تكليف السوداني بتشكيل الحكومة

لا يزال زعيم التيار الصدري متمسكًا بصمته واعتزاله العمل السياسي، ولم يبد أيّ موقف إزاء اختيار رئيس الجمهورية الجديد، وتكليف مرشح غريمه «الإطار» لتشكيل الحكومة.

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

بدأ العدّ التنازلي أمام رئيس الوزراء العراقي المكلّف محمد شياع السوداني، لتشكيل حكومته بالتوافق مع الأحزاب والشخصيات السياسية، خلال مدّة لا تتعدى الـ 30 يوماً لإعلان أسماء وزراء كابينته، وفيما ينتظر الشارع العراقي تنفيذ جمّلة الوعود والتعهدات التي أطلقها السوداني، تترقب الأوساط السياسية موقف زعيم التيار الصدري، مقتدى الصدر، الذي لا يزال متمسكاً بصمته و«اعتزاله» العمل السياسي، ولم يبد أيّ موقف إزاء اختيار رئيس الجمهورية الجديد، عبد اللطيف رشيد، وتكليف مرشح غريمه «الإطار التنسيقي» لقيادة دفّة الحكم في العراق.

وفي جلسة برلمانية عُقدت تحت وابل «الصواريخ» صوّت مجلس النواب العراقي، الخميس الماضي، على اختيار عبد اللطيف رشيد، رئيساً لجمهورية العراق، خلفاً لبرهم صالح، فيما كلّف الأخير، مرشح «الإطار» النائب محمد شياع السوداني، لتشكيل الحكومة الاتحادية.

ويمنح الدستور العراقي، رئيس الوزراء المكلّف، مدّة 30 يوماً لتأليف كابينته الوزارية، تبدأ وقت تكليفه رسمياً.

الخبير القانوني المستشار سالم حواس، رأى أن المدد الدستورية المقررة في الدستور وفق المادة 76 هي «سقوف زمنية عليا» وبإمكان رئيس الوزراء المكلف اختزالها للتعجيل بتشكيل الحكومة .

وأضاف في بيان صحافي، أنه «طالما ان رئيس الجمهورية المنتخب قد كلف مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بعد انتخابه مباشرةً، فهو بذلك قد اختزل مدة الخمسة عشر يوماً، وهي مدة التكليف المقررة دستورياً» .

وأكد أن «بإمكان الرئيس المكلف (السوداني) تسمية أعضاء وزارته– ان لم تكن مسماة مسبقاً– خلال أيام معدودة قبل مضي مدة الثلاثين يوماً بعد الخمسة عشر يوماً التي تم تجاوزها، ليختزلها أيضاً كحد أعلى مسموح له بها ليكسب بذلك أمرين؛ أولهما الإسراع بتشكيل الحكومة قبل انتهاء المدد المقررة، وثانيهما تفويت حالة الاخفاق الدستوري التي ينتظرها ربما الكثيرون» .

وأشار إلى أن «الأمر لا يخلو من تحديات وصعوبة في المرحلة القادمة، من حيث اجتماع مجلس النواب وحصول نصاب الأغلبية المطلقة (النصف زائد واحد 165 نائباً) للتصويت على المنهاج الوزاري وعلى الوزراء منفردين ليُعد حائزاً على ثقتها».

وأمام السوداني 30 يوماً حتى يقدم كابينته الوزارية والمنهاج الوزاري، لعرضهما على مجلس النواب، وفقاً لنصّ المادة 76 من الدستور العراقي.

ويقول الخبير القانوني العراقي، علي التميمي، إنه «يعمد رئيس مجلس الوزراء المكلف بعرض أسماء كابينته الوزارية ومنهاجه الوزاري خلال مدة الثلاثين يوما على مجلس النواب، ويعد حائزا على ثقة البرلمان عند الموافقة على الوزراء منفردين والمنهاج الوزاري بالاغلبية البسيطة، بعد تحقق النصاب القانوني».

وأشار في بيان صحافي إلى أنه «إذا لم يستطع رئيس الوزراء المكلف وأخفق في تقديم كابينته الوزارية والمنهاج الوزاري خلال مدة الثلاثين يوما، يقوم رئيس الجمهورية بتكليف مرشح جديدا بدلا من المكلف الذي أخفق». وتابع: «إذا لم يصوت البرلمان على الوزراء أو على المنهاج الوزاري يقوم رئيس الجمهورية بتكليف مرشح آخر بدل المكلف الذي لم يتم التصويت عليه».

ووفقاً للخبير القانوني فإن «من يكلفه رئيس الجمهورية إذا أخفق المكلف السابق أو لم يصوت عليه ولا على كابينته البرلمان، هو يكون من ذات الكتلة الأكثر عددا والتي حددت ابتداء، لأن عمومية النص الواردة في المادة 76 من الدستور قد حددت بالصفة بأول ترشيح من قبل رئيس الجمهورية، حيث حددها الدستور بأنها الكتلة الأكثر عددا وبالتالي فإن أي مرشح يكون منها وهذا ينسجم مع طبيعة النظام البرلماني والسياق الديمقراطي».

ولفت إلى «قرار للمحكمة الاتحادية لسنة 2010 والمرقم (93) لم يوجب على رئيس الوزراء المكلف أن يسمي جميع أعضاء وزارته سواء أكانوا أصالة أو وكالة، وإنما يمكن أن يكونوا على شكل دفعات، وكما يمكن لمجلس النواب الموافقة على المنهاج والوزراء خارج المدة المنصوص عليها في الدستور».

ويعدّ السوداني شخصية جدلية لدى الشارع العراقي، ففيما لم يُسجّل عليه أيّ ملف فساد طول المدة الماضية التي شغل فيها مناصب حكومية ووزارية رفيعة، يقف المعترضون على تكليف السوداني عند نقطة أساسية تتمثل بأن الأخير وليد أحزاب سياسية توالت على حكم البلاد طوال السنوات الماضية.

في هذا الشأن، يقول الكاتب والمحلل السياسي العراقي، علي البيدر، إن «السوداني يمتلك نوايا طيبة، وهو أول شخصية من عراقيي الداخل ويعيش معاناة العراقيين، مبيناً أن «ذهنية شخصيات رئاسات الوزراء السابقين هي ذهنية الخارج، بكونهم كانوا معارضة ولم يعيشوا كثيرا من معاناة العراقيين التي شهدوها إبان الحرب العراقية الإيرانية وظروف الحصار. هذا الأمر يجعل السوداني يفكر بما يفكر به العراقيون».

وأضاف في حديث لـ«القدس العربي» أن «السوداني تواجد في 10 مواقع مهمة في إدارة الدولة العراقية بعد 2003 ولا توجد أي قضية فساد ضدّه خلال المرحلة الماضية».

ورأى أن نجاح السوداني في مهمته (تشكيل الحكومة وإدارتها فيما بعد) يتوقف على «برنامجه الحكومي وإرادته في تنفيذه، لكن العقبة الأبرز في هذا الطريق تتمثل في اعتراض الكتل السياسية على برنامجه كونه يضر بالكثير من الكتل السياسية» حسب وصفه.

وعدّ الكاتب والمحلل السياسي العراقي، أن أبرز العقبات التي قد تعترض طريق السوداني هي «فرض شخصيات وزارية في كابينة السوداني، الأمر الذي يمهد لأزمة جديدة تتمثل بغياب الانسجام بين رئيس الوزراء وحكومته».

وأعلن السوداني، في كلمة متلفزة وجهها للشعب العراقي عشيّة تكليفه، استعداده «للتعاون مع جميع القوى السياسية والمكونات المجتمعية، سواءٌ الممثّلة في مجلس النواب أو الماثلة في الفضاء الوطني، فالمسؤولية تضامنيةٌ يتحملها الجميع، من قوى سياسية ومنظمات مهْنية وقطّاعية ونخب وكفاءات وقادة رأي، فنحنُ أبناءُ وطن واحد، وإخوةٌ في الشدة والرخاء».

وأضاف: «لنْ نسمحَ بالإقصاء والتهميش في سياساتنا، فالخلافاتُ صَدعتْ مؤسسات الدولة وضيعتْ كثيراً من الفرص على العراقيين في التنمية والبناء والإعمار، وهنا أعلنُ الرغبة الجادّة في فتح باب الحوار الحقيقي والهادف؛ لبدء صفحة جديدة في العمل لخدمة أبناء شعبنا وتخفيف معاناته بتعزيز الوحدة الوطنية، ونبذ الفرقة، وشَطب خطاب الكراهية».

وتعهد السوداني ببذل قصارى جهده في «تأليف حكومة قوية وعازمة على تنفيذ أهدافها وبرنامجها من خلال تآزر القوى السياسية بترشيح شخصيات كفوءة ومهنية ونزيهة قادرة على إنجاز مسؤولياتها، فانتظارُ شعبنا لهذه اللحظة المهمة قد طالَ كثيرا، وأثقلَ كاهلَهُ وزادَ من معاناته، خصوصاً أبناءَ الطبقتين الوسطى والفقيرة اللتين كانتَا الأكثر تضرّرا خلال السنوات الماضية».

وأوضح رئيس الوزراء العراقي المكلّف أن «عملَنا سيبدأ منَ ساعات التكليف الأولى وفق برنامج حكومي واقعي يتبنى إصلاحات اقتصادية تستهدفُ تنشيط قطاعات الصناعة والزراعة ودعمَ القطاع الخاص وتنويعَ مصادر الدخل ومعالجةَ الآثار البيئية والتصحر والتغيُّر المناخي وحمايةَ الموارد المائية».

وأكد أن «حكومةَ الخدمة عازمةٌ على غلق منافذ الفساد عبرَ القوانين والتشريعات الصارمة، بالتعاون مع السلطتين التشريعية والقضائية» لافتاً إلى أن «محاربةَ الفساد ستكونُ في مقدمة أولويات الحكومة، وندعو الجميعَ إلى تحمُّل المسؤولية والمشاركة في حملة وطنية شاملة في مكافحة الفساد».

ورغم موافقة أغلب القوى والشخصيات السياسية (شيعية وكردية وسنّية) على تكليف السوداني بتأليف الحكومة، غير أن زعيم التيار الصدري، مقتدى الصدر، يعدّ المعترض الوحيد على السوداني.

وتترقب الأوساط السياسية ردّة فعل الصدر على مضي «الإطار» وحلفائه في خطوات تشكيل الحكومة الجديدة، وما يمكن أن تمثّله من تصعيد محتمل.

غير إن البيدر رجّح تقديم «ضمانات للصدر بأن لا تكون هذه الحكومة لدورة برلمانية كاملة، وسيكون (تيار الصدر) مشاركاً فيها بطريقة أو بأخرى».

ورأى إنه «لولا تلك المعطيات لما تجرأ البرلمان على عقد جلسة وتمرير رئيس الجمهورية تسمية مرشح الكتلة الأكبر. كل هذه الأمور تعدّ مستفزّة للصدر» مشيراً إلى إن «صمت الصدر مشروط ومن الممكن أن يخرج عن صمته».

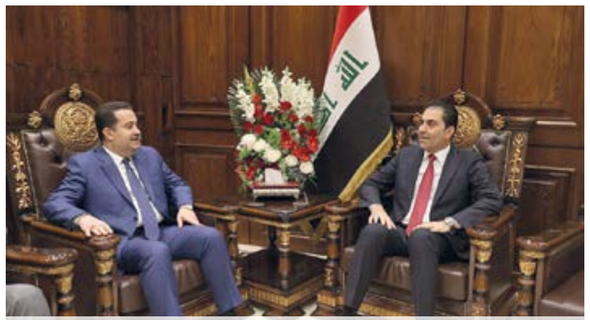
رئيس الوزراء العراقي المكلّف محمد شياع السوداني ونائب رئيس البرلمان

لبنان: باسيل وحزب الله يحاولان العبور

كما باسيل كذلك حزب الله يحاول الاستثمار في موضوع الترسيم للقول إن هذا الإنجاز لما كان ليتحقق لولا قوة المقاومة ومسيّراتها فوق كاريش.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

شكّل الاتفاق على ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل نجم الحدث هذا الأسبوع نظراً لأبعاده وانعكاساته على الوضع والاستقرار في المنطقة واستبعاد أي توتّر في المستقبل القريب بين حزب الله وإسرائيل. وجاء هذا الاتفاق في لحظة دولية وإقليمية ملائمة نتيجة الحرب الروسية الأوكرانية والحاجة الأوروبية للنفط والغاز ونتيجة مساع أمريكية عبّرت عن حاجة الولايات المتحدة إلى تحقيق مكسب في الشرق الأوسط بعد تعثر علاقتها مع الرياض وخفض منظمة «أوبك بلس» الإنتاج النفطي.

ولكن اللافت في هذا الاتفاق هو محاولة رئيس الجمهورية ميشال عون توظيف ما وصفه «إنجازاً تاريخياً» في خدمة الحسابات السياسية الداخلية وتعويم صهره رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، حيث تعمّد الرئيس عون القول في رسالته الموجّهة إلى اللبنانيين «ان ملف الترسيم هو ثمرة مسيرة طويلة بدأت فعلياً في عام 2010 عندما أعدت وزارة الطاقة والمياه التي كان يتولاها الوزير جبران باسيل الخطة».

وبعد موقف عون، بادر باسيل إلى تمرير رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عن لعبه دوراً مسهّلاً خلف الكواليس مع حزب الله في موضوع الموافقة على الترسيم، علّ هذا الدور يخدمه في موضوع رفع العقوبات الأمريكية عنه أولاً واستثمار هذا الدور في معركة رئاسة الجمهورية ثانياً وللإمساك مجدداً بمفاصل السلطة في لبنان مع حليفه حزب الله الذي يحاول أمينه العام السيد حسن نصرالله انتزاع تفويض أمريكي بإدارة الحكم في لبنان على غرار التفويض الذي استفادت منه سوريا بعد الغزو العراقي للكويت ومشاركتها بقوات ضمن التحالف.

ولا يخفى على أحد في لبنان كيف انقلبت موازين القوى منذ «تفاهم مار مخايل» بين التيار الوطني الحر وحزب الله، وكيف تعطّل انتخاب رئيس الجمهورية سنتين ونصف إلى حين انتخاب العماد ميشال عون رئيساً وكيف تعطّلت حكومات إلى حين تعيين جبران باسيل وزيراً. واليوم يحاول الطرفان الافادة من موضوع الترسيم لبعث رسالة إلى الإدارة الأمريكية حول أهمية التعامل معهما كفريق براغماتي وتوظيف الاتفاق في مصلحة أغراض سلطوية لهذا الفريق الذي تنظر إليه أطراف لبنانية على أنه يجسّد منظومة الفساد والسلاح بدل توظيف الاتفاق لمصلحة لبنانية عامة.

واللافت أن الرئيس عون تعاطى مع اتفاقية الترسيم وكأنه رئيس بصلاحيات ما قبل اتفاق الطائف، فاختصر بشخصه الموافقة على الاتفاقية من دون أن يتحدث عن إجراءات مكملة لهذه الاتفاقية لا في مجلس الوزراء ولا في مجلس النواب خلافاً لما حصل في موضوع اتفاق 17 ايار/مايو في عهد الرئيس أمين الجميّل الذي أبرمه مجلس النواب من دون أن يبرمه الرئيس الجميّل والذي يُقال إنه كان يعطي حقوقاً للبنان في البحر حتى حقل «كاريش».

ويرى رئيس الجمهورية، الذي يستعد لمغادرة قصر بعبدا في نهاية هذا الشهر وعلى الأرجح يوم الأحد في 30 الجاري تمكيناً لمناصريه من تنظيم وداع شعبي على طول الطريق من بعبدا إلى الرابية، ان خطوة الترسيم ستسجّل لصالح عهده بعد تراكم الأزمات التي بلغت حدود الانهيار المالي والاقتصادي والمعيشي والاجتماعي، وستمنحه خروجاً لائقاً من بعبدا وفكّاً للعزلة الدولية والعربية التي طبعت عهده، وستفتح الباب أمام صهره لرفع الفيتو الاميركي عنه وليكون وريث العهد الحالي والمؤهل لتحقيق اختراق في المرحلة المقبلة في ضوء عدم تمكّن المجلس النيابي من انتخاب رئيس في جلسته الثانية وعدم ظهور أي مؤشرات للتوافق في الجلسة الثالثة الخميس المقبل بين الكتل النيابية مع تسجيل اصطفافات سياسية جديدة ومحاولة لتشكيل كتلة نيابية وسطية من 27 نائبًا تتألف من «تكتل الاعتدال الوطني» وتكتل «تكتل التغيير» ونواب صيدا وبعض النواب المستقلين.

غير أن الفريق المعارض في لبنان لا يوافق على مقاربة العهد ولا يرى أن اتفاقية الترسيم ستشكّل نافذة لباسيل نحو القصر الجمهوري، بدليل ما قالته السفيرة الأمريكية في لبنان دوروثي شيا عن عدم وجود أي تأثير لاتفاق الترسيم بين لبنان وإسرائيل على موضوع العقوبات المفروضة على باسيل، لافتة إلى «أن نظام العقوبات في الولايات المتحدة لا يعمل بهذه الطريقة» وموضحة «أننا لا نتعاطى بهذا الشكل الرخيص». ويذكّر الفريق المعارض بأن هذا العهد الذي يراهن على تعويم باسيل لم ينس الناس بعد كم شهد من مآس كثيرة في طليعتها انفجار مرفأ بيروت وانفجار الازمة الاقتصادية والمالية وسرقة أموال المودعين وغياب الكهرباء وهجرة آلاف الشباب والطاقات وانهيار المستشفيات والمدارس والعملة الوطنية.

وكما باسيل كذلك حزب الله يحاول الاستثمار في موضوع الترسيم للقول إن هذا الإنجاز لما كان ليتحقق لولا قوة المقاومة ومسيّراتها فوق «كاريش». أما لمن يزايد على الحزب بالقول إنه تنازل عن الخط 29 وعن حقوق لبنان في المنطقة الاقتصادية الخاصة فيجيبهم إنه كان يقف خلف الدولة اللبنانية. وهكذا فإن أمين عام حزب الله الذي قال «لو سئلت عن حدود بحرنا لقلت إنه يمتد إلى بحر غزّة» سيتخذ ذريعة جديدة للاحتفاظ بسلاحه بحجة وجود نقاط بحرية متنازع عليها مثل وجود نقاط برية متنازع عليها أيضاً في مزارع شبعا وعلى طول الخط الأزرق. فمَن رفض تسليم سلاحه بعد انتهاء الحرب عام 1990 ومَن رفض تسليمه بعد التحرير عام 2000 ومَن رفض تسليمه بعد الانسحاب السوري عام 2005 وبعد حرب تموز عام 2006 لن يسلّمه اليوم بعد الترسيم، لأن لا علاقة لسلاحه بلبنان واللبنانيين كما يقول خصوم الحزب الذين يطرحون السؤال حول كيفية منع منظومة الفساد والسلاح من استغلال الترسيم لتعزيز دورها في خطف البلد والهيمنة على قراره وعقد التسويات على حسابه.

من نافذة الترسيم لانتزاع تفويض بالرئاسة وإدارة البلد

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ

لغز عودة «شغب الملاعب» يثير حفيظة الأردنيين وجرس الإنذار يقرع مجددا

الأسبوع الساخن في ملاعب كرة القدم والليد الأردنية تجدد الأسئلة القديمة حول الخلط بين التعبيرات السياسية الانقسامية محليا وبين التنافس الرياضي المشروع.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

وجهت مؤسسة الأمن الأردنية رسالة جديدة بعد العودة غير المحمودة لظاهرة شغب وهتافات الملاعب عندما اعتقلت 10 أشخاص في مدينة إربد شمالي البلاد إثر شغبهم بعد مباراة كرة اليد وليس كرة القدم فقط، بين فريقين من نفس المحافظة.

ساند رسالة التوقيف هنا أمنيا الجهاز القضائي بفتح ملف تحقيقي مع المشاغبين العشرة الذين وجهت لهم اتهامات بالإخلال بالقانون بعد موجة مثيرة جدا وغير مفهومة شهدتها البلاد مؤخرا تحت عنوان حمى الاستقطاب الرياضي في أوساط المشجعين .

حادثة مدينة إربد تخللت مباراة لكرة اليد بين فريقي الحسين وكفر سوم، الأمر الذي يعني ان الإفراط في حماس التشجيع الرياضي عبر الهويات الفرعية طال حتى الهويات القروية والصمت عليه لم يعد من السيناريوهات المطروحة.

أحداث مباراة كرة اليد أعقبت رسالة أمنية أخرى خشنة تقول ضمنا للمحرضين على الكراهية بأن قانون الجرائم الإلكترونية سيتابعهم وذلك عند توقيف شخصين من مشجعي كرة القدم تجاوزا الحدود في نشر تعبيرات تحرض على الكراهية والفتنة.

قبل ذلك قرع جرس الإنذار بقسوة مجددا في الملاعب الأردنية مرتين على الأقل في يومين متتاليين، حيث رشقت قوات الأمن وسيارات المواطنين بالحجارة وحيث الاعتداء على مرافق رياضية بدون مبرر ومحاولة الاعتداء على فريق الفيصلي بعد مباراة جمعته مع فريق الرمثا فيما كانت أحداث الشغب المؤسفة تلحق أيضا بمباراة بين فريقي الوحدات والحسين.

وحجم ومنسوب التنابز وحصرا الإلكتروني بين مشجعي قطبي كرة القدم الفيصلي والوحدات وصل إلى مستويات غير مسبوقة حتى ان مباراة القمة بين أبرز فريقين في الدوري العام لكرة القدم اقيمت الجمعة بدون جمهور في قرار لاتحاد كرة القدم أظهر عجزه عن السيطرة على من أسماهم الإعلامي سهم العبادي «شوية زعران وبلطجية».

في كل حال عاد التحشيد بهتافات عنصرية إلى مباريات كرة القدم في الأردن. وعادت الهتافات الضارة وتكرر مشهد الاحتقان الذي ينتهي بشغب ملاعب مما نتج عنه طرح كل الأسئلة حول جدوى وإنتاجية أولا سياسات اتحاد كرة القدم وبقية المؤسسات الرياضية، وثانيا جدول لوائح وأنظمة قانونية التي لا تطبق بصرامة بين الحين والآخر.

السؤال الرياضي والكروي المتعلق بالملاعب وما يحصل فيها اليوم مؤرق ليس للرياضيين فقط لكن للمجتمع والدولة خصوصا وان النادي الفيصلي وبعد اتهام مشجعين للوحدات بالاعتداء على حافلته ولاعبيه بداية الأسبوع الحالي حذر مما أسماه «حصول ما لا يحمد عقباه».

واضح بالمقابل ان الصراعات والخلافات وكذلك التجاذبات داخل الأندية الكبيرة مثل الوحدات والفيصلي بدأت تقدم مساهمة فعالة في الطرق والآفاق المسدودة لمعالجة المشكلات لا بل بدأت تنعكس على الجمهور الكروي الذي يعبر عن الاحتقان هنا أو هناك وبين الحين والآخر.

تلك العودة للتشنجات الرياضية لا تقرع جرس الإنذار فقط لكنها يمكن ان تستخدم في التعبير عن أوجه قبح اجتماعية موجودة ومتاحة ومن الصعب إنكارها لا بل يمكن استخدامها لاحقا في ظل وضع معيشي واقتصادي صعب ومحتقن لتعزيز الانقسامات الاجتماعية وفي ظرف حساس.

وارتفعت بعد عودة ظاهرة تشنجات الملاعب تلك الأصوات التي تطالب بالردع وتطبيق القانون وتحذر من الاسترسال في استثمار التباينات الاجتماعية والصمت على الشغب والإساءات الناتجة عن الخصومات الرياضية .

لكن بالمقابل لا صوت محددا من المؤسسات الرياضية على الأقل بأي جملة تعترض أو تحاسب أو تردع والأمور تترك أحيانا منفلتة وان كان ما يحصل بحاجة إلى دراسة علمية أكاديمية لفهم تلك التعبيرات التي تثقب الأذان وتعاكس الروح الرياضية ومن بينها الإدعاء بان فريق الفيصلي يمثل الوطن وفريق الوحدات يمثل القضية، وهي إدعاءات نمت وتكاثرت وزحفت في الآونة الأخيرة على الصعيد الرياضي واستدرجت معها حالات اعتداء على ممتلكات عامة وخاصة وحالات شغب طارئة من الصنف الذي يضطر قوات الدرك للتدخل وأحيانا للاشتباك، حيث مديرية الأمن العام تقرأ المشهد بحرفية ومهنية وتعلن بانها لن تتساهل ولأي سبب مع أي محاولة لمخالفة القانون والاعتداء على المجتمع. والمعالجة الأمنية هنا فعالة لكنها لا تكفي وحدها بدون احتواء سياسي ونظرة أعمق من المؤسسات الرياضية والشبابية تعلن الحرب على أي تعبيرات شاذة تحت ستار ملاعب الرياضة وطبعا بدون الإفراط في المبالغات في هذا السياق .

ويمكن القول بأن خلاصة الأسبوع الساخن في ملاعب كرة القدم والليد الأردنية تنثر مجددا الأسئلة القديمة حول الخلط ما بين التعبيرات السياسية الانقسامية محليا وبين التنافس الرياضي المشروع .

اليمن: مبعوث الأمم المتحدة يتهم الحوثيين بإفشال الهدنة ويحذّر من مخاطر عودة الصراع على دول المنطقة

ذكر المبعوث الأممي إلى اليمن أنه يتحتم على الجميع عدم تفويت الفرصة لتجديد الهدنة، وعلى الأطراف إظهار روح القيادة، والمرونة، من أجل التوصل إلى اتفاق الهدنة بشكل عاجل.

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

أعلن المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى اليمن هانس غروندبرغ عن قيام جماعة الحوثي بإفشال تجديد الهدنة وحذّر من المخاطر الكبيرة التي ستطال اليمن ودول المنطقة في حالة استئناف الصراع المسلح في اليمن، مع انهيار الهدنة الإنسانية في البلاد التي ترعاها الأمم المتحدة منذ الثاني من نيسان/ابريل الماضي.

وأوضح غروندبرغ في إحاطته لمجلس الأمن الدولي، الخميس، ان خيار العودة إلى الحرب سيكون له آثارا كارثية ليس على اليمن فحسب، بل على المنطقة برمتها.

وقال «من المؤسف للغاية عدم التوصل إلى اتفاق في 2 تشرين الأول/اكتوبر بشأن تمديد الهدنة وتوسيعها» وأشاد بـ «موقف الحكومة اليمنية للتعاطي مع مقترحه بشكل إيجابي» في اتهام صريح لجماعة الحوثي بإفشال الهدنة ورفضها التمديد لها لفترة اضافية مدتها 6 شهور، وفق مقترح غروندبرغ.

وأضاف «يؤسفني أن أنصار الله (جماعة الحوثي) جاءوا بمطالب إضافية (تعجيزية) لم يكن من الممكن تلبيتها، بينما أواصل العمل مع كلا الجانبين لإيجاد حلول، فإنني أحثهما على إبداء روح القيادة والمرونة اللازمتين للتوصل إلى اتفاق ممتد وموسع».

وكشف مبعوث الأمم المتحدة أن «خيار العودة إلى الحرب سيكون له آثار مزعزعة لاستقرار المنطقة بأكملها» مؤكدا أنه «فور بدء حلقات العنف والتصعيد، سيمضي وقت طويل قبل أن تُفتَح نافذة السلام من جديد، واليمن بحاجة ماسة إلى تجنب هذا السيناريو».

وأوضح أنه في 2 تشرين الأول/اكتوبر الجاري، وهو اليوم الذي انتهى فيه التمديد الثاني للهدنة، لم تتوصل الأطراف – للأسف – إلى اتفاق بشأن تمديد الهدنة وتوسيعها، ما أوجد حالة من عدم اليقين وزاد من مخاطر تجدّد نشوب الحرب في البلاد.

وقال «إنّ الجهود المبذولة منذ بدايات شهر تموز/يوليو المنصرم لا تسعى فقط لتمديد الهدنة، ولكن أيضا لتوسيع عناصرها والبناء عليها. ففي 18 ايلول/سبتمبر، قدمت مقترحاً للأطراف لتمديد الهدنة لمدة ستة أشهر وتوسيع عناصرها. وفي الأسابيع التي سبقت 2 تشرين الأول/اكتوبر، كثّفت مناقشاتي معهم، حيث قمت بعدة جولات تفاوض في عدن وصنعاء والرياض ومسقط، وشاركت معهم بعد ذلك مقترحا منقحا في 1 تشرين الأول/اكتوبر».

وذكر أن عناصر المقترح الأممي الذي قدّمه لأطراف الصراع في اليمن يتمحور حول استمرار وقف جميع العمليات الهجومية وتعزيز لجنة التنسيق العسكرية كقناة نشطة للتواصل والتنسيق لخفض التصعيد، بالإضافة إلى خلق آلية صرف شفافة وفعالة لدفع مرتبات موظفي الخدمة المدنية والمعاشات التقاعدية بإنتظام، وكذا فتح الطرق في تعز ومحافظات أخرى على مراحل، وزيادة عدد الرحلات والوجهات من وإلى مطار صنعاء الدولي، والتدفق المنتظم للوقود عبر موانئ الحديدة وبدون أي عوائق، والالتزام بالإفراج العاجل عن المحتجزين.

وأكد أنه «من أجل إحراز التقدم نحو حل للنزاع، يتضمن المقترح أيضا إنشاء هياكل لبدء المفاوضات حول القضايا الاقتصادية ووقف دائم لإطلاق النار، – والأهم من ذلك – استئناف عملية سياسية شاملة بقيادة يمنية من أجل العمل على إيجاد حل شامل للنزاع».

وعلى الرغم من إعلانه انهيار الهدنة إلا أنه ذكر أن التدابير ما زالت تسير على الأرض منذ انتهاءها في 2 تشرين الأول/اكتوبر، وفق بنود الهدنة، حيث «استمر تسيير الرحلات الجوية بين مطار صنعاء وعمّان، وبصورة مماثلة، استمرت سفن الوقود بالدخول إلى موانئ الحديدة بشكل منتظم» والتي تقع تحت سيطرة جماعة الحوثي.

وأضاف أنه يجب ألا نستهين بانجازات وفوائد الهدنة، حيث دخلت الهدنة حيز التنفيذ بعد ما يقارب من ثماني سنوات من النزاع وجلبت (الهدنة) أطول فترة هدوء حتى الآن. موضحا أنه من المهم التأكيد بأن الهدنة لم تكن غاية في حد ذاتها، بل كانت لبنة بناء لتعزيز الثقة بين الأطراف وتهيئة بيئة مواتية للعمل نحو حل سياسي

وقال انه «لدى الأطراف الآن خيار متاح أمامهم، يمكنهم اختيار المحافظة على الهدنة والبناء عليها وانتهاج الطريق نحو السلام. وعلى العكس من ذلك، إن العودة إلى الحرب تعني تجديد وزيادة معاناة المدنيين».

وذكر المبعوث الأممي إلى اليمن أنه مع زيادة المخاطر على الوضع الإنساني، يتحتم على الجميع عدم تفويت الفرصة لتجديد الهدنة، وعلى الأطراف إظهار روح القيادة، والمرونة، من أجل التوصل إلى اتفاق لتجديد الهدنة وتوسيع نطاقها بشكل عاجل.

وكانت الأمم المتحدة قامت برعاية هدنة إنسانية في اليمن مدتها شهرين، دخلت حيّز التنفيذ في 2 نيسان/ابريل الماضي، وتم تجديدها مرتان، مدة كل منها شهرين، وانتهت في الأول من الشهر الجاري، ولم يستطع مبعوث الأمم إلى اليمن في الحصول على موافقة الحوثيين لتمديدها لفترة جديدة.

Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

الجزائر تسعى للخروج من القمة العربية بموقف موحد من تسوية الصراع في ليبيا

يبدو أن الجزائريين باتوا مع تشكيل حكومة مصغرة تُعد للانتخابات، لا يشارك فيها الدبيبة ولا باشاغا، بالرغم من كونهم لا يعترفون سوى بشرعية حكومة الوحدة برئاسة الدبيبة.

رشيد خشانة

بعد فترة غلب عليها التحفظ والاكتفاء بمتابعة الأوضاع في ليبيا عن بعد، يسعى الجزائريون اليوم إلى لعب دور أساسي في بلورة مسار انتخابي يفتح على حل نهائي للأزمة، مُعززا بدعم عربي في القمة المقبلة للجامعة العربية. ولم تكن هذه المشاركة الجزائرية في توليد الحل لتتيسر لو لم تكن مُتسقة مع الخيار الذي انتهى إليه صُناع القرار الحقيقيون في الغرب، والمُتمثلون في أعضاء «مجموعة الاتصال الدولية بشأن ليبيا». ومن المهم الإشارة هنا إلى أن أعضاء «مجموعة الاتصال» اتفقوا على ضرورة استعادة زخم العملية السياسية، عبر دعم المبعوث الأممي الجديد عبد الله باثيلي.

وتتألف المجموعة من ممثلين لكل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ويُعتبر الدور الجزائري في هذا الإطار عنصرا مساعدا على التقدم صوب الحل السياسي. وهذا معناه أن الجزائريين اختاروا النزول إلى الملعب قبل انطلاق المباراة كي يضمنوا دورا فعالا في مُجرياتها. وتجلت العودة الجزائرية إلى الاهتمام بالملف الليبي في الزيارة التي أداها رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي إلى العاصمة الجزائرية الأربعاء والخميس الماضيين، تلبية لدعوة من الرئيس عبد المجيد تبون. ولم ترشح معلومات دقيقة عن فحوى المحادثات بين الرئيسين، إلا أن مصادر جزائرية أفادت أن تبون شجع المنفي على لعب دور أساسي في التقريب بين الحكومتين المتنازعتين على الشرعية، وهما حكومة عبد الحميد الدبيبة وحكومة فتحي باشاغا. كما أتت الزيارة بعد مكالمة هاتفية مهمة بين الرئيس الجزائري ونظيره الألماني فرانك شتاينماير.

والأرجح أن الأخير استطلع موقف الجزائر من فكرة عقد مؤتمر «برلين3» تمهيدا لإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية في ليبيا. والأرجح أيضا أن الجزائريين باتوا مع تشكيل حكومة مصغرة تُعد للانتخابات، ولا يشارك فيها عبد الحميد الدبيبة ولا فتحي باشاغا، بالرغم من كونهم لا يعترفون سوى بشرعية حكومة الوحدة برئاسة الدبيبة. ويتقاطع هذا الموقف مع موقف واشنطن، التي دعا سفيرها لدى ليبيا ريتشارد نورلاند، إلى تشكيل حكومة لا يُمثل فيها الغريمان، ما شكل تغييرا مهما في الموقف الأمريكي من الدبيبة.

والظاهر أن المحور الرئيسي في محادثات باشاغا في تونس مع الموفد الأممي الجديد الدكتور عبد الله باثيلي، دار حول التشكيلة الحكومية البديلة (المصغرة) وشروط الرجلين للموافقة على الانسحاب من الحكومتين اللتين يرأسانهما حاليا. وأفادت مصادر جزائرية أن الجانبين تناولا تطورات الوضع السياسي في ليبيا، وضرورة تحقيق المصالحة الوطنية تمهيدًا لإجراء الانتخابات العامة. ويُفترض أن باثيلي قادر على الخوض في المسائل المطروحة، بما فيها أمور التشكيل الحكومي، بحكم كونه مُتابعا للشأن الليبي، في إطار مهمة تقويم عمل البعثة الأممية، التي أوكلتها له الأمم المتحدة، منذ سنة ونصف السنة.

ولم يجتمع باثيلي حتى اليوم مع الدبيبة، غير أن الأخير دافع عن أداء حكومته، ورد على من انتقدوا الاتفاقية التي وقعها مع الأتراك، من أجل التنقيب المشترك عن مصادر النفط والغاز في السواحل الليبية. وبرر ذلك بأن زيادة الطلب العالمي على النفط والغاز بعد الحرب على أوكرانيا، تُعتبر فرصة ذهبية يجب استغلالها، مشيرا إلى أن ليبيا منبع للنفط والغاز، وعليه «يجب التعاقد مع الشركات وإبرام العقود والمشاريع لاكتشاف النفط والغاز داخل الأراضي الليبية وإنتاجه وبيعه». وحسب الدبيبة هناك الكثير ممن يريدون التعاون، «لكننا نبحث عن مصالحنا، ومن يقف معنا في الضيق من دول ورجال سنقف معه ونساعده في السراء والضراء» في إشارة إلى الاتفاقية التركية الليبية الأخيرة. وشرح الدبيبة أن حكومته خاضت مفاوضات مع تركيا، لما يقرب من عام، بشأن مذكرة التفاهم الجديدة لتجنب الأخطاء، على ما قال في فيديو بثته منصة «حكومتنا» على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك».

وما يسترعي الانتباه في الاتصالات الجارية والمناقشات المتعلقة بالحل السياسي أن هناك ما يُشبه الاتفاق الضمني على ضرورة المصالحة الوطنية، وهو ما عبر عنه أخيرا نائب رئيس المجلس الرئاسي موسى الكوني، في معرض حديثه عن جهود الجزائر الرامية لتسوية الأزمة الليبية، إذ أكد أن هناك لأول مرة «شبه توافق» بين الأطراف الليبية حول مشروع المصالحة الوطنية. ويبدو أن الموقف الدولي انتهى إلى الخلاصة ذاتها، إذ يتكرر الكلام على لسان خبراء ودوليين، غربيين عن مشروع المصالحة الوطنية، وإن ظل الشعار بحاجة إلى تعريف وتدقيق. من ذلك ما قاله الخبير الإيطالي دانييلي روفينيتي من أن الانقسام في ليبيا لا يمكن تجاوزه إلا بحل بديل، وهو «حكومة ثالثة» تحظى بثقة الداخل، ويكون هدفها تحقيق الاستقرار وإنجاز الانتخابات والمصالحة. وحض روفينيتي الحكومة الإيطالية الجديدة على «العودة في أقرب وقت ممكن إلى الملف الليبي، الذي أخذ منحى أكثر تعقيدا بعد مواصلة تركيا لعبتها» في إشارة إلى مذكرة التفاهم الليبية التركية. إلا أن روفينيتي أكد في الوقت نفسه، أن «التقارب التركي – المصري قد يضفي شرعية على الحل الجديد، لأن عديد الفاعلين الليبيين يعتبرون هذين البلدين مرجعية».

صندوق الاقتراع

أما الرئيس تبون فأكد في المؤتمر الصحافي المشترك مع المنفي أن الحل الليبي للأزمة هو الوحيد الكفيل بتحقيق الاستقرار والرخاء والازدهار في ليبيا، ويتمثل في الرجوع إلى الشعب الليبي، لكي يختار من أراد ويعطي الشرعية لمن يمثله عبر العالم، من خلال صندوق الاقتراع. وأشاعت زيارة المنفي إلى الجزائر شعورا بالأمل لدى الليبيين، لأن الجزائريين سيستضيفون القمة العربية المقبلة يومي 1 و2 الشهر المقبل. ويتطلع الليبيون في هذا الإطار إلى دور جزائري حازم لوقف التداخلات الخارجية في الملف الليبي، ودفع الدول العربية إلى الالتزام بموقف الحياد، والامتناع عن تأجيج الصراع وتغذيته بالسلاح وحتى بالمقاتلين.

في السياق لوحظ أن الرئاسة المشتركة لمجموعة العمل، المعنية بالقانون الإنساني الدولي، والمنبثقة من عملية برلين، عقدت أخيرا اجتماعا بحضور خبراء دوليين، محورها المصالحة الوطنية القائمة على الحقوق، بمشاركة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا. وأكد عضو المجلس الرئاسي عبد الله اللافي، خلال مشاركته في الاجتماع، أن المصالحة الوطنية «هي طريق نجاح أي حل سياسي لتحقيق الاستقرار والسلام المستدام في ليبيا» مشيرا إلى أن المجلس الرئاسي عازمٌ على المُضي في هذا المسار، الذي يعمل عليه منذ أشهر، على ما قال.

بالمقابل هناك فريق ليبي يائس من فرص نجاح الوساطات، إن كانت عربية أم غربية، انطلاقا من أن الفرج لو كان آتيا فعلا لبرزت أمارته ورسائله منذ الآن. ويعتقد هذا الفريق أن وجود قوة داخلية أو خارجية متفوقة (فاغنر أو خبراء الطائرات المسيرة الأتراك أو سواهم) هو الكفيل وحده بإنهاء الحرب ووقف النزيف. وفي السياق اعترف رئيس الحكومة المُنبثقة من البرلمان فتحي باشاغا، في حوار مع قناة «الوسط» الليبية، بأن هناك قوة خارجية «هي التي كانت سدا منيعا لعدم الدخول (دخول قواته) إلى طرابلس». وبالرغم من أن باشاغا رفض تسمية هذه القوة، فالواضح أنها الولايات المتحدة. وبتعبير آخر فمن يمتلك القوة هو من يتفوق ويملك الحسم. غير أن استئناف القتال مستبعد في الظرف الراهن، بسبب فيتو دولي على عودة الحرب إلى ليبيا.

أين الجيش الليبي؟

ولسائل أن يسأل: أليس الجيش الليبي قادرا على أن يكون هو تلك القوة التي تحتكر العنف الشرعي، حسب المصطلح الشهير للمفكر الاجتماعي ماكس فيبر؟ يختلف الجيش الليبي عن الجيوش الأخرى، لأن تاريخ الدولة في ليبيا كان، في أحيان كثيرة، مليئا بظواهر اللادولة وضعف الاندماج في المؤسسات، فلا السلطة استطاعت في عهدها الملكي الادماج الوطني، الذي لا يتزعزع، ولا الناس كانوا يسيرون في منهج الاندماج هذا. أما معمر القذافي الذي فقد ثقته في القوات المسلحة، بعد تعدد المحاولات الانقلابية ضده، فأحدث «رئاسة أركان الوحدات الأمنية» عام 1979وأسند لأبنائه قيادة الكتائب بعد حل الجيش الليبي رسميا.

ومع اندلاع انتفاضة 17 شباط/فبراير 2011 استقدمت حكومة القذافي كتائب أمنية ضمت متطوعين للقضاء على الثورة في بنغازي، وسرعان ما دخل ما تبقى من الجيش المُنحل في مواجهات مع التشكيلات الموازية، وهي «كتائب الثوار» والميليشيات التي تشكلت بعد سقوط النظام. لا بل تم دعم تلك الميليشيات، التي استأثرت بكامل موازنة المؤسسة العسكرية، بموافقة المؤتمر الوطني العام (برلمان انتقالي) بينما تم تهميش الوحدات النظامية ومعسكراتها. وفي مناخ شبيه بالحرب الأهلية، كثرت اغتيالات العسكريين من جميع الرتب في مدينة بنغازي، وخاصة الضباط، إذ بلغ عدد الاغتيالات قرابة 600 عسكري.

فرض الولاء للدولة

لم تحرك الدولة، مُمثلة في «المؤتمر الوطني» ساكنا إلى أن وصل الأمر إلى الإعلان عن تشكيل «قيادة عسكرية» برئاسة اللواء المتقاعد خليفة حفتر، بعنوان محاربة الإرهاب في بنغازي، بعدما سيطرت على معظم مناطقها ميليشيات أصولية مسلحة. وفتح الجيش في أعقاب دخوله إلى بنغازي في 2014 حربا على تلك الأجسام العسكرية، بالرغم من أن غالبية أسلحته صارت في قبضتها. لهذه الأسباب التاريخية ليست هناك اليوم قوة داخلية يمكنها التغلب على القوات غير الشرعية وفرض الولاء للدولة عليها.

يُضاف إلى ذلك تركيز الأوروبيين حتى الآن على المنطقة الشرقية متناسين الجنوب (اقليم فزان) ومن المهم للغاية، مثلما تقول رافاييلا ديل سارتو الأستاذة في جامعة جونز هوبكنز، البدء في وضع الشروط الأوسط والبحر الأبيض المتوسط على الأجندة السياسية لأوروبا. لكن من الواضح أن الحرب الأوكرانية باتت تتصدر سلم الأولوية الجيوسياسية للغرب. لهذا السبب تتجه بوصلة الليبيين إلى القمة العربية المقبلة في الجزائر عساها تنجح في تعبيد الطريق للحل السياسي في بلدهم، من خلال اتفاق الدول العربية على موقف موحد يُنهي الصراع المسلح في جوار الجزائر. ومن أهم شروط النجاح في بلورة ذلك الموقف الموحد، وجود توافق مصري جزائري على الحل السياسي. وستكون القمة العربية محكا لدى واقعية هذا الطرح.

حدث الأسبوع

الأزمة الأوكرانية: بوتين يترنح ولكنه يسعى للثبات والبحث عن الثغرات الأوروبية

باريس ـ «القدس العربي»:
آدم جابر

شكلت حملة القصف الروسية على أوكرانيا يوم الإثنين الماضي وخاصة قصف السكان المدنيين في العديد من المدن الأوكرانية، العنوان الأبرز للتطورات الميدانية المتصلة بالحرب في أوكرانيا خلال هذا الأسبوع الذي عرفَ أيضاً ادانة أممية بأغلبية كبيرة لإقدام روسيا على ضم أربع مناطق أوكرانية، ووعود غربية بإرسال مساعدات إضافية إلى كييف.

حملة القصف الروسي الدامي الذي تعرضت له أوكرانيا صباح الإثنين الماضي، تُعد تطوراً عسكرياً غير مسبوق من حيث نطاقه، حيث طالت جميع أنحاء البلاد، لا سيما العاصمة كييف التي استهدفت للمرة الأولى منذ نهاية شهر حزيران/يونيو الماضي، بالإضافة لمناطق خميلنيتسكي ولفيف ودنيبرو وفينيتسيا وزابوريجيا وسومي وخاركيف وجيتومير. ولا حاجة بنا في هذا السياق إلى تصريحات رسمية لفهم أن هذه الضربات أتت كرد انتقامي على الإذلال الذي تعرض له الكرملين قبلها بيومين بتفجير الجسر الذي يربط شبه جزيرة القرم التي ضمتها روسيا في عام 2014 إلى الأراضي الروسية. ولا بأس أن نُذكّر هنا بأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين كان قد حرص بنفسه في شهر أيار/مايو عام 2018 على تدشين هذا الجسر الكبير وتابع عملية تشييده لبنة بلبنة للتأكيد على أن أن شبه جزيرة القرم جزء لايتجزأ من أراضي الفيدرالية الروسية. وقاد وهو يدشن أكبر جسر في أوروبا شاحنة استمر سيرها فوق الجسر ست عشرة دقيقة. ومما قاله بوتين في الخطاب الذي ألقاه في يوم تدشين الجسر «كان الناس في لحظات كثيرة من التاريخ، حتى في أيام القيصر، يحلمون بتشييد هذا الجسر، وجددوا المحاولات في ثلاثينات وأربعينات وخمسينات القرن الماضي. أخيرًا بفضل عملكم وموهبتكم، تحقق هذا المشروع، هذه المعجزة في يوم استثنائي، يوم احتفال تاريخي لروسيا».

وكان من الطبيعي أن ينزل خبر تفجير بعض أجزاء الجسر على الرئيس الروسي كما نزلت عليه صاعقة. وسبقت ذلك نكسات عسكرية تعرّضت لها موسكو في شمال شرق أوكرانيا وشرقها وجنوبها مما جعل بوتين يقول إنه «لم يكن من الممكن ترك الهجمات من الأسبوع الماضي، إلى الانتقام من المدنيين يوم الإثنيين الماضي في أنحاء متفرقة بأكرونيا، يرى مراقبون أوروبيون أنه يكشف عن ضعف الجهاز الأمني الروسي، وفق محللين، أن الروس يريدون من الهجمات الأخيرة إلحاق أكبر ضرر ممكن بالبنى التحتية الأوكرانية المرتبطة بالطاقة.

هذا التطور الميداني، من تخريب جسر القرم الحيوي يوم السبت من الأسبوع الماضي، إلى الانتقام من المدنيين يوم الإثنيين الماضي في أنحاء متفرقة بأكرونيا، يرى مراقبون أوروبيون أنه يكشف عن ضعف الجهاز الأمني الروسي، لأن جسر القرم كان موضع نظام مراقبة متطور جعلت منه موسكو مصدر فخر. كما يرون أنه من الواضح أن الأنظمة الأمنية والعسكرية الروسية مخترقة من الداخل وأن أجهزة الرصد والتجسس الأمريكية المتطورة جدا ساعدت الأوكرانيين كثيرا على تسجيل تقدم كبير في عملية استرجاع مناطق كانت القوات الروسية تحكم السيطرة عليها منذ أشهر، وإحباط أو إفشال جسر القرم. كما يمكن أن تستخلص من التصعيد الميداني هذا الأسبوع، أنه على الرغم من قسوة الضربات الجوية الروسية المتفرقة يوم الإثنين الماضي، فإن هناك تدرجاً في الرد الروسي، على خلفية الاستمرار في تخويف أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بإمكانية اللجوء إلى السلاح النووي التكتيكي إذا اقتضت الضرورة. ويقول بعض المحللين الغربيين إن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يُريد أن يصبح سيد شروط التصعيد من خلال ترويع الرأي العام الغربي (على الهواء مباشرة) في خرجاته التلفزيونية، لكنْ يتم تقويضه، لحسن الحظ في كل مرة.

اختبار طول النفس والإمكانات

في ضوء التصعيد المتزايد مع غياب أي أفق للتهدئة، يتوقع متابعون أن الأمور تتجه نحو صراع طويل الأمد، في وقت أصبح فيه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مضطرا إلى مواصلة الحرب تحت وطأة اضطرابات خطيرة في دوائر قراراته، ولا يبدو الأوكرانيون مستعدين للتراجع، بل إنهم يريدون الآن استعادة شبه جزيرة القرم بالإضافة إلى الأراضي الأوكرانية الأخرى التي اجتاحتها القوات الروسية في الحرب الحالية. وعليه، من الواضح أن الصراع وصل إلى نقطة تحول وستكون الأشهر القليلة حاسمة. وسيعتمد كل شيء على تعبئة القوات والقوة الاقتصادية للمتحاربين وقدرتهم على دعم المجهود الحربي.

وفي مواجهة الحملة العسكرية الجديدة من الصواريخ والقذائف والطائرات المسيرة التي تستهدف البنية التحتية المدنية الأوكرانية، أتت وعود غربية جديدة بتقديم المزيد من الدعم لكييف، والذي سبق أن تمكنت بفضله من استعادة مناطق من الروس في جنوب البلاد. حيث وعد حلف شمال الأطلسي «الناتو» هذا الأسبوع بتقديم دفاعات مضادة للطائرات «في أسرع وقت ممكن» بعد موجة من عمليات القصف الروسية. وهي أنظمة قادرة على تحييد الصواريخ الروسية في سماء أوكرانيا، حسب ينس ستولتنبرغ، أمين عام الحلف. كما أعلن الاتحاد الأوروبي يوم 13 تشرين الأول/اكتوبر الجاري على لسان المسؤول عن سياسته الخارجية أنه سيوافق على تمويل جديد للعسكري لأوكرانيا إلى «أكثر من 3 مليارات». وهذا أمر مهم جدا لأن كثيرا من المحللين الأوروبيين كانوا ولا يزالون يأخذون على الدول السبع والعشرين المنخرطة في الاتحاد الأوروبي عدم المساهمة بما فيه الكفاية في مساعدة كييف ماليا على عكس ما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية، والحال أن الحرب الروسية في أوكرانيا تدور رحاها في عقر الديار الأوروبية لا على الأراضي الأمريكية. كما وعد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، خلال مقابلة تلفزيونية مع قناة «فرانس 2» خيمت عليها الحرب في أوكرانيا وتداعياتها على فرنسا وأوروبا، بتسليم الأوكرانيين «رادارات وأنظمة وصواريخ» مضادة للطائرات من دون أن يحدد موعد تسليمها، مضيفا أن باريس تعمل مع كوبنهاغن لإرسال ست مدفعيات «سيزار» بالإضافة إلى 18 أخرى سبق أن تم تسليمها لكييف. وجدد الرئيس الفرنسي دعوة نظيره الروسي إلى العودة الى طاولة المفاوضات، بهدف الرجوع إلى «حدود عام 1991» أي إلى الوضع الذي كانت عليه الحدود قبل أن تضمّ روسيا شبه جزيرة القرم في 2014 ثمّ تضيف إلى ذلك في الأيام الأخيرة أربع مناطق أوكرانية جديدة، معتبرا أنّ الحرب دخلت مرحلة غير مسبوقة مع مقتل مدنيين في جميع أنحاء أوكرانيا وتدمير مرافق كهرباء وتدفئة في أول مرة من نوعها.

وأكدت بريطانيا، بدورها، أنها ستزود أوكرانيا بصواريخ دفاع جوي إضافية، بما في ذلك ذخيرة قادرة على إسقاط صواريخ كروز. وأتى هذا الإعلان الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية في إطار الإرادة التي أظهرها حلفاء أوكرانيا في اجتماعهم يوم الأربعاء الماضي في بروكسل لمساعدة كييف في تعزيز دفاعها المضاد للطائرات في أسرع وقت ممكن، بعد القصف الروسي المكثف على البلاد. وأعلنت لندن عن إمدادها بمئات من صواريخ الدفاع الجوي الإضافية، زيادة عن مئات الطائرات بدون طيار لدعم المخابرات الأوكرانية. وستتبرع المملكة المتحدة أيضًا بـ 18 مدفع هاوتزر، والتي ستتم إضافتها إلى 64 أخرى تم تسليمها بالفعل.

وبينما وعد صندوق النقد الدولي بدعم أوكرانيا «طالما كان ذلك ضروريا» لمعالجة العواقب الاقتصادية للغزو الروسي والتي تصل قيمتها إلى مليارات الدولارات، أوضح الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي أن بلاده بحاجة إلى 55 مليار يورو، 38 مليار دولار منها لتغطية عجز الميزانية المتوقع للعام المقبل، و17 مليار، حسب قوله، لإعادة إعمار البنية التحتية للبلاد والتي دمرتها أشهر القصف الروسي.

في خضم ذلك، أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة «الضم غير القانوني» للأراضي الأوكرانية، في عملية تصويت كانت منتظرة أجريت أخيرا يوم الأربعاء المنصرم. كانت موسكو قد استخدمت حق الفيتو ضد نص مماثل قُدم إلى مجلس الأمن في نهاية أيلول/سبتمبر. وتبنت الجمعية العامة للدول الأعضاء البالغ عددها 193 التي اجتمعت بشكل عاجل منذ يوم الاثنين مشروع هذا القرار الذي قدمته أوكرانيا وشارك في صياغته الاتحاد الأوروبي، بأغلبية 143 صوتًا، مقابل خمس دول ضده وامتنعت 35 دولة عن التصويت. ومن بين الدول التي امتنعت عن التصويت: الصين والهند وباكستان وجنوب أفريقيا رغم الجهود الدبلوماسية التي بذلتها الولايات المتحدة في الأيام الأخيرة. واعتبر الرئيس الأمريكي جو بايدن أنّ الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة أرسلت رسالة واضحة إلى الكرملين مفادها أنه لا يمكن لروسيا أن تستولي على أراضي دولة أخرى تغيّر الحدود بالقوة.

البحث عن ثغرات في المسار الوحدي الأوروبي

وبعيداً على لغة السلاح، اقترح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على نظيره التركي رجب طيب اردوغان، خلال اجتماعهما الخميس المنصرم على هامش منتدى إقليمي في كازاخستان، إنشاء «مركز غاز» في تركيا لتصدير الغاز الروسي إلى أوروبا، ويمكن أن يساعد إنشاء مركز غاز محتمل في تركيا في «تحديد أسعار» هذه الهيدروكربونات، «الباهظة حاليًا»، وفقًا لفلاديمير بوتين. وهي مبادرة تأتي في الوقت الذي تأثرت فيه شحنات الغاز الروسي إلى أوروبا بشدة بالعقوبات الغربية المفروضة على روسيا، حيث يفكر الاتحاد الأوروبي في وضع حد أقصى لأسعار الغاز في مواجهة ارتفاع فواتير الطاقة الناجمة عن الهجوم الروسي في أوكرانيا. وقد ردت الرئاسة الفرنسية باعتبار مقترح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين «لا معنى له» لأن الأوروبيين يريدون تقليص اعتمادهم على الطاقة والغاز الروسيين في ظل دعوة سيّد الإليزيه كما فعل يوم الأربعاء الماضي إلى الاستعداد «لقضاء الشتاء في سياق الحرب هذه». لكن أمام تزايد المخاوف والامتعاض الشعبي في أوروبا حيال نقص الطاقة ووسط الانقسام الأوروبي المستمر، بما في ذلك الألماني الفرنسي، بشأن كيفية التعاطي مع أزمة الطاقة المستفحلة، إلى أي حد قد يعزز اقتراح فلاديمير بوتين إنشاء مركز لتصدير الغاز الروسي من الانقسام حول موضوع الغاز، ويلقي بظلاله على مواقف الدول الأوروبية حيال التعاطي مع موسكو، لاسيما في ما يتعلق بمسألة الطاقة؟

مصادفات بوتين: سوريا 2015 والقرم 2022

صبحي حديدي

شاءت مصادفات التاريخ الشخصي للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، خاصة تلك الجوانب التي تشدد على نزواته القيصرية إمبراطورية الطابع، أن تتزامن الذكرى السابعة للتدخل العسكري الروسي إلى جانب نظام بشار الأسد، أواسط أيلول (سبتمبر) 2015؛ مع المنحنيات الأكثر جدية، والأعلى دلالة، لانكسارات الاجتياح العسكري الروسي في أوكرانيا، هنا وهناك في العمق الأوكراني، أو على جسر القرم الأيقوني الشهير الكبير.

وكي لا تخلو مصادفات التاريخ، العامّ الكوني هذه المرّة، من المفارقات الأقرب إلى النقائض؛ كانت مقادير تبادل العبارات المقذعة بين الكرملين والبيت الأبيض تتجاوز ما عوّدت عليه البلاغة الفردية لكلّ من بوتين والرئيس الأمريكي جو بايدن، في مقابل الثواني الـ13.5، عدّاً وحصراً، التي كانت قد جمعت الرئيس الروسي مع نظيره الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما، في لقطة بروتوكولية على هامش اجتماعات الأمم المتحدة، أيلول (سبتمبر) 2015 أيضا، قبيل أيام معدودات سبقت بدء هبوط عشرات المقاتلات الروسية المختلفة والحوامات وطائرات الشحن العملاقة في مطار حميميم على الساحل السوري. ولن يطول الوقت حتى بات المطار الصغير نسبياً، الذي كان النظام قد أطلق عليه تسمية «مطار الباسل» بن حافظ الأسد، بمثابة قاعدة جوية هي الأضخم في رصيد موسكو على شواطئ المتوسط، والرديف الجوي للقاعدة البحرية الروسية الاستثنائية في ساحل مدينة طرطوس السورية.

يومذاك لم يكن بوتين بصدد إحياء، أو استئناف، أي طور أو طراز من الحرب الباردة القديمة، حتى ضمن مختلف صياغات الحروب المتخيَّلة والافتراضية؛ بل كان ينتهج سياسات يمكن أن تقنع الغرب، والولايات المتحدة خصوصاً، بقبول روسيا شريكاً في شراكات سياسية وأمنية واقتصادية على امتداد العالم. العقدة، مع ذلك، كانت أنه مصمم على التذكير بأدوار يتوجب أن تُسند إلى موسكو في تلك الشراكات، وبعضها يستحق أن يُحتكر روسياً فقط؛ بعد جورجيا والقرم والمغامرة الأولى في أوكرانيا، وقبل سوريا كتدخّل عسكري مباشر واسع النطاق، ثمّ ليبيا أو السودان أو الجزائر أو هنا وهناك في أفريقيا. وكلّ هذا على سبيل الذهاب أبعد من مستوى الشراكة، نحو حلحلة متاعب روسيا المختلفة، وفي طليعتها العقوبات الاقتصادية، وكذلك حروب أسعار النفط وستراتيجيات أنابيب الغاز العابرة للقارّات.

وفي أواخر شباط (فبراير) 2018 سوف يتذوّق الجيش الأمريكي، غير بعيد عن ضفاف نهر الفرات في شرق سوريا هذه المرّة، طعم الاصطدام مع تكتيكات بوتين العسكرية، غير المباشرة كما يصحّ القول؛ حين أغار على المعسكر الأمريكي مرتزقة يفغيني بيروجين، «طبّاخ بوتين» في اللقب الكاريكاتوري ومؤسس وصاحب ميليشيات «فاغنر» العاملة تحت إشراف وزارة الدفاع الروسية. قبلها بأيام كان بيروجين قد عقد صفقة، عن طريق شركة «إيفرو بوليس» المرتبطة به، لـ«تحرير» عدد من المناطق النفطية والمصافي في ريف دير الزور، واستثمارها بالتعاون مع شركة نفط النظام وبعض مهرّبي البترول من رجال الأعمال المقرّبين من النظام والمتعاقدين مع «تنظيم الدولة» في آن معاً. ذلك الاصطدام الدامي ذكّر ساسة البيت الأبيض، وجنرالات البنتاغون، أنّ ردود أفعال الولايات المتحدة على التدخل العسكري الروسي في سوريا لم تتجاوز اتصالاً هاتفياً من وزير الخارجية الأمريكي جون كيري مع نظيره الروسي سيرغي لافروف، واتصالاً ثانياً من وزير الدفاع الأمريكي أشتون كارتر مع نظيره الروسي سيرغي شويغو.

وهكذا، في مصادفة التزامن بين أيلول (سبتمبر) 2015 والشهر ذاته 2022، يظلّ بوتين مخلصاً لهوس التذكير بأنّ موسكو في عداد جبابرة الكون عسكرياً (وهذا صحيح، بالطبع)؛ ثمّ جيو-سياسياً (وهذا مصدر شك، لأنّ تكبيل روسيا اقتصادياً، وتخيطها في مغامرات عسكرية قصيرة الأجل وقاصرة الأغراض، لا يخدمان هذه الغاية بالضرورة)؛ الأمر الذي يتوجب أن يُلزم الغرب والولايات المتحدة بالتعامل مع موسكو كندّ وشريك (وهذا مشكوك فيه أيضاً، في المدى المنظور على الأقل).

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ

أوروبا والحرب الروسية الأوكرانية:
بين لهيب التهديد النووي والصقيع الشتوي

وزيرا الدفاع السويدي والفنلندي مع بوريل وستولتنبرغ

محمد نون

صارت اللغة النووية متداولة بين روسيا وحلف شمالي الأطلسي «الناتو» ما يثير المزيد من القلق في أوروبا نظرا لكونها تقف في قلب معادلة الربح والخسارة في الحرب الروسية على أوكرانيا.

ورغم استبعاد الرئيس الأمريكي جو بايدن والأمين العام لحلف الناتو ينس ستولتنبرغ قيام روسيا باستخدام السلاح النووي إلا أن شبح هذا التهديد سيطر بشكل واسع على مواقف الدول الغربية التي قالت إنها ستراقب بدقة المناورات النووية التي تعتزم روسيا القيام بها. ورأى ستولتنبرغ أن الخطاب النووي للرئيس الروسي فلاديمير بوتين هو «خطاب غير مسؤول ونأخذه بجدية».

ثم أضاف القول «أن استخدام سلاح نووي ولو كان صغيرا (تكتيكيا) فإنه سيكون أمرا خطرا جدا وسيغير بشكل جذري طبيعة الحرب في أوكرانيا».

هذا التغير لم تتوضح طبيعته لكن ما ظهر في موقف مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل بشأن طبيعة الرد الغربي يظهر استبعاد أن يكون الرد نوويا بل هو «رد عسكري قوي يصل إلى درجة تدمير الجيش الروسي» كما قال بوريل .

وفي ذات الوقت تعهد الحلفاء الغربيون بمواصلة دعم أوكرانيا عسكريا واقتصاديا وذلك بعد اجتماع لهم في بروكسل شارك فيه وزراء دفاع حلف شمال الأطلسي يوم الخميس الماضي.

وبعد الهجمات الروسية الواسعة على عدد من المدن الأوكرانية بما فيها كييف العاصمة إثر حادثة تفجير الجسر الواصل بين جزيرة القرم والأراضي الروسية، فإن أوروبا اتجهت نحو تقديم مزيد من الدعم العسكري لأوكرانيا ومنها صواريخ ألمانية نوعية.

وقُبَّ تلك الهجمات الصاروخية الروسية على البنية التحتية الأوكرانية كان حاضرا بقوة في الاجتماع، لذلك جاء التعهد بتسليم منظومات دفاع جوي متطورة للجيش الأوكراني في الأسابيع المقبلة بعدما بدت الحاجة الأوكرانية ملحة جدا، إذ أن الجيش الأوكراني يفتقد لتسعين في المئة من حاجته للمنظومات الجوية ولا يملك منها سوى 10 في المئة وفقا لما أعلنه الرئيس الأوكراني فلوديمير زيلينسكي في كلمة له أمام الجمعية البرلمانية للمجلس الأوروبي.

وبدت الهجمات بالصواريخ والمسيرات الروسية ضد المدن الأوكرانية وكأنها رسالة تهديد لأوروبا نفسها لذلك اتفق وزراء دفاع الأطلسي على تعزيز ما يسمى درع الفضاء الأوروبي في الوقت الذي تعتبر فيه موسكو أن أوروبا ومعها حلف شمالي الاطلسي إنما يقاتلون فعليا إلى جانب أوكرانيا عبر إمدادها بسلاح نوعي يتم عبره استهداف الجيش الروسي.

هذه التهمة حاول نفيها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بقوله إننا نساعد أوكرانيا للدفاع عن أراضيها في مواجهة الغزو الروسي وليس لمهاجمة روسيا.

ولا يبدو أن أوروبا قادرة ومعها الحلف الأطلسي على ضم أوكرانيا إلى عضوية الحلف لأن ذلك سيؤدي بشكل تلقائي إلى تفعيل المادة الخامسة من نظامه وهي مادة تعتبر الاعتداء على أي عضو منه هو اعتداء على الحلف كله، وهذا ما تحذر منه موسكو وتقول إن انضمام أوكرانيا إلى الحلف قد يؤدي إلى إندلاع حرب عالمية ثالثة ستكون كارثية على العالم كما يراها الرئيس فلاديمير بوتين.

البعد الآخر الذي يثير قلق أوروبا هو عدم معرفة الأفق الزمني للحرب الروسية في أوكرانيا ولا الكيفية التي ستنتهي بها تلك الحرب، ومدى تأثير ذلك على وحدة وصلابة الموقف الأوروبي الذي تتنازعه مشاكل داخلية واستحقاقات كبيرة على المستوى الاقتصادي والمعيشي.

فالرئيس الروسي فلاديمير بوتين لم يغير موقفه من الحرب وهو قال بشكل واضح في اجتماع قمة أستانة بكازاخستان يوم الجمعة إنه «غير نادم على الحرب في أوكرانيا».

كذلك يعرف بوتين جيدا أن ما يقلق أوروبا أيضا هو سلاح آخر داهم يضاف إلى التهديد النووي الروسي وهو سلاح البرد القارس في ظل عدم تأمين البدائل الكافية عن الغاز الروسي الخاضع للحظر ولعمليات تخريب طالت أنابيبه الواصلة بين روسيا وأوروبا ومنها خط نورد ستريم.

ولم تجد نفعا الاتهامات المتبادلة الروسية – الغربية بشأن الجهة التي نفذت عملا تخريبيا أصاب الأنبوب بأضرار أدت إلى تسرب يرجح أنه نجم عن تفجير استهدفه في بحر البلطيق.

ولا يبدو أن الأيام القادمة ستحمل أخبارا سارة لأوروبا في مجال الطاقة الروسية بعد أن استبعد الرئيس الروسي قرب إعادة تشغيل خط نورد ستريم 2 الذي ينقل الغاز الروسي إلى أوروبا عبر ألمانيا.

وقال بوتين إن السلطات الألمانية أعطت الأولوية لمصالحها ومصالح الناتو على حساب الوضع الاقتصادي والاجتماعي للألمان.

ويأتي موقف بوتين ردا على موقف المستشار الألماني أولاف شولتس الذي اتهم بوتين بشن ما أسماها حربا صليبية ضد الغرب والديمقراطية الليبرالية والنظام الدولي والحرية والتقدم.

وحمل شولتز على روسيا ووصفها بأنها ليست شريكا يمكن الوثوق به في قطاع الطاقة.

وتجهد أوروبا للإسراع في تنويع مصادر الطاقة بديلا عن شرائها من روسيا ولذا هناك سعي أوروبي مع كل الجزائر وقطر بهذا الصدد، لكن المشكلة تكمن في ضيق الوقت والتزامات الأطراف المصدرة للغاز بعقود مسبقة مع زبائن آخرين.

ويحاول رئيس المجلس الأوروبي شارل ميشال حث الجزائر على تصدير المزيد من الغاز إلى أوروبا، علما أن الجزائر باتت تعتبر المصدر الأول للغاز إلى إيطاليا بعد الحرب الروسية في أوكرانيا بعدما زادت الكميات المصدرة بنسبة 113 في المئة خلال هذا العام، كما أن الجزائر تمد أوروبا بما نسبته 11 في المئة من احتياجاتها من الغاز بينما كانت روسيا تمد أوروبا بـ40 في المئة قبل الحرب.

وتراهن أوروبا أيضا على استيراد الغاز من شرق البحر الأبيض المتوسط بعدما تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من إنجاز اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل عبر مفاوضات غير مباشرة، علما أن استخراج الغاز من الحقول اللبنانية يستغرق وقتا قد يمتد لثلاث سنوات.

وهناك مشكلة قد تواجه الدول الأوروبية فيما بينها هذا العام إذ أن بعض الدول الكبيرة مثل ألمانيا وفرنسا كانت أعلنت عن تجهيز مخزوناتها لفصل الشتاء بكميات كافية حتى الآن، وعلى سبيل المثال تقول فرنسا إن مخزوناتها صارت معبئة بنسبة 90 في المئة بينما قالت ألمانيا إن مخزوناتها وصلت إلى 85 في المئة.

والإشكالية هنا تكمن في أن كثيرا من الدول الأوروبية الأخرى قد لا تستطيع تأمين معظم حاجياتها من الغاز البديل عن الغاز الروسي وخاصة عند قلة العرض وارتفاع الطلب بما يؤدي إلى ارتفاع جنوني للأسعار ويزيد الضغط على كاهل المواطن الأوروبي.

وهنا لا تستبعد مصادر أوروبية عديدة أن تتعرض وحدة الموقف الأوروبي للاهتزاز كما قالت سابقا صحيفة «نيويورك تايمز» وهو أمر لم يستبعده الرئيس الأمريكي جو بايدن في حديثه مؤخرا إلى محطة «سي إن إن» الأمريكية.

وقد يؤدي ذلك أيضا إلى اعتماد طرق التفافية لاستيراد الغاز الروسي ذاته لكن عبر وسطاء مثل تركيا التي رحبت عبر رئيسها رجب طيب اردوغان باقتراح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بإقامة مخزن ضخم للغاز الروسي على أراضيها ثم القيام بإعادة بيعه إلى أوروبا بما يضمن استمرار تدفق الكميات المطلوبة منه إلى السوق والتحكم أيضا بأسعاره. وترفض روسيا قرارا اتخذته دول مجموعة السبع وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لوضع سقف لأسعار الطاقة وخاصة الغاز الروسي.

وفي حال نجاح التفاف الروسي التركي في ايصال الغاز الروسي إلى أوروبا بهذه الطريقة فإن ذلك سيعني تقويضا للعقوبات الأمريكية والغربية الهادفة إلى تقليص الايرادات الروسية من الغاز.

ومن هنا فإن البحث الأوروبي عن البدائل قد يستلزم تغييرا لدى بعض دول الاتحاد الأوروبي في مواقفها السياسية من الحرب الروسية على أوكرانيا، والدفع نحو التفاوض للوصول إلى حل سلمي. ودون ذلك عقبات كثيرة بينها إعلان روسيا ضم أربع مقاطعات أوكرانية هي زابوروجيا، وخيرسون، ودونيتسك ولوغانسك إثر استفتاء نظمته فيها مؤخرا، إضافة إلى ضمها لجزيرة القرم عام 2014 .

التغيير في الموقف الأوروبي قد يأتي أيضا بسبب تنامي الشعور في بعض الدول الأوروبية بضرورة تأمين مصالحها الذاتية على ما عداها من أطر العمل الجماعي وخاصة في الفضاء الأوروبي، وهو ما تجسد في أبرز صوره بخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي لتنفك من القيود الأوروبية الاقتصادية والقانونية، وكذلك ما تشهده بعض الدول الأوروبية من تنامي دور الأحزاب القومية على غرار ما أفرزته نتائج الانتخابات في السويد وإيطاليا وما هو حاصل في فرنسا أيضا.

ويعزز تلك الوقائع اشتداد أزمة التضخم والتحذير من أن يشهد الاقتصاد العالمي ركودا كبيرا يساهم في زيادة التنافس بين الدول الحليفة وغير الحليفة لحماية نفسها ومصالحها الذاتية.

Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

هل تستطيع روسيا الاستمرار في الإنفاق على حرب أوكرانيا؟

إبراهيم نوار

الرؤساء الروسي والأوزبكي والبيلاروسي في استانا

مع اقتراب فصل الشتاء فإن صعوبة تحرك القوات المتحاربة، ونقل المعدات من موقع إلى موقع، من شأنه أن يزيد احتمالات أن تتحول الحرب الأوكرانية، بأوامر من «الجنرال ثلج» إلى حرب مواقع ثابتة، تعتمد على كثافة استخدام الصواريخ وطائرات «الدرونز» والمدفعية، مع استمرار احتمالات لجوء أوكرانيا إلى شن نوع من «حرب العصابات» أو تنفيذ «عمليات إرهابية» متقطعة ومتفرقة، على المواقع الروسية وقوات الأقاليم المنشقة، من أجل المحافظة على قوة الدفع الذاتي للقتال. استمرار الأعمال القتالية هو ما يبرر لحكومة وقوات كييف طلب الحصول على المزيد من الدعم المالي والاقتصادي والعسكري السخي من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ودول حلف الناتو عموما؛ فدائما ما تنمو على جناح الحرب كائنات طفيلية تتربح منها، وتكون لها مصلحة في استمرارها. وفي حال تحول المواجهة في أوكرانيا إلى حرب مواقع ثابتة، فسوف تطول الحرب، كما طالت حرب المواقع الثابتة بين العراق وإيران في ثمانينات القرن الماضي، وسينتج عن ذلك كمية هائلة من الدمار، تدفع فيها أوكرانيا ثمنا فادحا. وربما أيضا ستتضرر المدن الروسية القريبة من خط الحدود مع أوكرانيا ومدن الأقاليم التي ضمتها روسيا أخيرا.

دخول قوات من روسيا البيضاء أو مشاركتها من داخل الحدود في العمليات، سيضيف دعما إلى القوات الروسية التي تواجه مقاومة في الجنوب والشرق، لكنه ليس من المرجح أن يغير مسار الحرب أو التوازنات الحالية، التي تعتمد فيها أوكرانيا على مدد عسكري واقتصادي غير محدود. رهان الولايات على إطالة أمد الحرب يقوم على فرضية أساسية، هي إن روسيا ستعجز عن الاستمرار في تمويلها، تحت تأثير الحصار والعقوبات الاقتصادية، ولن تجد أمامها خيارا أفضل من الانسحاب من جانب واحد. فإلى أي حد يمكن أم تكون هذه الفرضية صحيحة؟

التوسع العسكري الروسي وتحدي التمويل

في الشهر الماضي نشر معهد «كينان» التابع لمركز «ويلسون» الأمريكي، دراسة تتناول قدرة روسيا على تمويل الحرب، خالفت نتائجها وجهات النظر الدارجة في الخطاب الإعلامي الغربي في هذا الشأن. الدراسة قالت إن روسيا استطاعت خلال العقدين الأخيرين منذ عام 2000 حتى الآن، تحقيق فوائض مالية ضخمة، نتيجة ارتفاع أسعار البترول من 28 دولارا عام 2000 إلى أكثر من 100 دولار للبرميل. وقد استخدم بوتين هذه الفوائض في ثلاثة اتجاهات: الأول هو سداد كل الديون المستحقة على روسيا لنادي باريس في عام 2007 قبل موعدها، والثاني هو إنشاء صندوق الاستثمار الخارجي المباشر عام 2011 على غرار الصندوق السيادي النرويجي، وهو ما أضاف لروسيا قوة اقتصادية مهمة، حيث تصل نسبة مساهمة عائداته حاليا إلى 6 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي. وتشارك في مشروعات الصندوق طويلة الأجل 15 دولة تقريبا، باستثمارات تبلغ حوالي 40 مليار دولار. ومن بين الدول المشاركة، الصين والسعودية والإمارات وقطر والكويت والبحرين وفرنسا وإيطاليا. أما الاتجاه الثالث لاستخدامات الفوائض المالية فقد تمثل في زيادة الإنفاق العسكري، لمقابلة احتياجات إعادة بناء القوة العسكرية الروسية.

وطبقا للمعهد الدولي لدراسات السلام «سيبري» في ستوكهولم، فإن الإنفاق العسكري الروسي في عام 2000 بلغ 9.23 مليار دولار، لكنه بعد عشر سنوات قفز بنسبة 700 في المئة إلى 65.9 مليار دولار. ومع أن هذه القيمة تعادل أقل من 10 في المئة من الإنفاق العسكري الأمريكي، فإن الملاحظة الملفتة للانتباه، هي معدلات الزيادة السنوية السريعة جدا، التي تؤكد أن بوتين كان يخطط منذ 10 سنوات لإعادة بناء الآلة العسكرية الروسية وزيادة إمكاناتها، وهو ما ساعده على ضم القرم عام 2014 وإنشاء قاعدة جوية ضخمة في سوريا وتعزيز وجوده العسكري هناك في العام التالي. وعلى الرغم مما يتردد بأن روسيا تواجه مصاعب مالية، فإن الأداء الاقتصادي، ومستوى أسعار النفط والغاز، ونجاح روسيا في تجنب تأثير العقوبات إلى حد كبير، يشير إلى استمرار قدرتها على تمويل الحرب، عند المستويات الراهنة لمدة عامين على الأقل، وذلك على الرغم من أن الاقتصاد يمكن أن ينكمش بنسبة صغيرة.

وكانت الحكومة الروسية قد وضعت سعر الأساس لتصدير النفط في الميزانية عند 60 دولارا للبرميل، ووضعت خطط الإنفاق على أساس سعر توازني يتراوح بين 40 إلى 45 دولارا. وفي ظروف السوق الحالية، وعلى الرغم من أن روسيا تبيع منتجاتها بنسبة خصم عالية، فإنها ما تزال قادرة على تحقيق نوع من التوازن في الميزانية. غير أن هذا التوازن سيظل مهزوزا حتى نهاية العام المقبل. ومع تأثير الانكماش فإن الميزانية قد تتعرض لعجز متزايد، ومن ثم تقل مساحة هامش المناورة الذي تستطيع أن تتحرك فيه الحكومة، وهو ما يمكن أن يشكل ضغطا عليها، ويفرض قيودا على القدرة على التمويل في عام 2024. ومع ذلك فقد استخدمت الحكومة الروسية خلال العام الحالي سلة من المعايير المالية والنقدية والتجارية، ساعدت على وقف انهيار الروبل، وتخفيض معدل التضخم وأسعار الفائدة، وفتحت أسواقا جديدة كبيرة للتصدير مثل السوق الهندية. وقد صرح مساعد الرئيس الروسي يوري أوشاكوف في الشهر الماضي، بأن حجم التجارة بين روسيا والهند ارتفع بنسبة 120 في المئة في العام الحالي، نتيجة لزيادة صادرات روسيا من النفط والفحم والأسمدة. وستظل روسيا على الجانب الإيجابي من القدرة على الاستمرار في تمويل الحرب، طالما بقيت أسعار النفط فوق 60 دولارا للبرميل، ونجحت في المنافسة في سوق الغاز المسال، لتعويض الحظر على إمدادات الغاز الطبيعي إلى أوروبا، مع الاستمرار في إيجاد أسواق بديلة للغاز الطبيعي، مثلما حدث بعد تشغيل خط «قوة سيبيريا». ويمثل الاقتراح الأخير، الذي عرضه بوتين على الرئيس اردوغان، بأن تتحول تركيا إلى مركز عالمي لتصدير الغاز الطبيعي إلى أوروبا عبر خط السيل التركي، بديلا عن خط السيل الشمالي، صيغة مهمة لضرب مقاطعة الغاز الروسي في أوروبا. الخط التركي يمكن أن يلعب دورا حيويا في حماية دول جنوب ووسط أوروبا على وجه الخصوص من برد الشتاء في الأشهر المقبلة، لأنه موجود وجاهز ويعمل بالفعل، وسوف تستفيد منه بسرعة دول مثل المجر ورومانيا والبانيا.

أهمية المساعدات الأمريكية لأوكرانيا

تدفع كل من روسيا وأوكرانيا تكلفة باهظة للحرب التي تقترب من نهاية شهرها الثامن، فتكلفة الحرب باهظة في كل الأحوال، سواء كنا نتكلم عن الخسائر البشرية أو الاقتصادية أو العسكرية. حرب أوكرانيا التي ربما اعتقد فلاديمير بوتين أنها ستنتهي خلال أسابيع قليلة بإسقاط نظام الحكم «النازي الجديد» في كييف، لا توجد أي مؤشرات تدل على أنها ستضع أوزارها قريبا. الدول التي تساعد أوكرانيا وعلى رأسها الولايات المتحدة تعلن الآن صراحة أنها لن تسمح لبوتين أن ينتصر. وتذهب بريطانيا إلى ما هو أكثر من ذلك، قائلة بأن الرئيس الروسي يجب أن يسقط. أوكرانيا حصلت على أسلحة بقيمة تتجاوز 17 مليار دولار من الولايات المتحدة، و4 مليارات من بريطانيا، وغيرها من ألمانيا ودول الاتحاد الأوروبي بهدف إطالة أمد الحرب، التي يتردد أنها تكلف روسيا مليار دولار يوميا، وتكلف أوكرانيا خسائر اقتصادية فقط بما يعادل 20 مليار دولار شهريا. وتقدر الدراسة التي أعدتها كلية الاقتصاد في العاصمة الأوكرانية كييف أن تكلفة إصلاح الخسائر أو إعادة البناء في الأشهر الستة الأولى من الحرب تصل 100 مليار دولار. هذه التقديرات لا تأخذ في اعتبارها التحولات التي طرأت في الشهرين الأخيرين من حيث التركيز على استهداف البنية الأساسية، بما في ذلك محطات الكهرباء، وصهاريج الوقود، ومحطات وخطوط السكك الحديد والطرق والجسور الرئيسية والمدن الصناعية، كما لا تأخذ في الاعتبار تعويض الخسائر غير المباشرة. وقد ارتفعت أخيرا تقديرات إعادة بناء ما دمرته الحرب إلى حوالي 750 مليار دولار. الهجمات الصاروخية الكثيفة التي تشنها روسيا على عشرات المدن الأوكرانية تشير إلى تطور خطير في أهداف العمليات، بعد الانفجار الذي وقع على الجسر الوحيد الذي يربط روسيا بشبه جزيرة القرم. في المرحلة الأولى من الحرب استهدفت روسيا البنية الأساسية العسكرية فقط، لكنها الآن تستهدف كذلك البنية الأساسية المدنية والاقتصادية، وهذا من شأنه ان يزيد من حدة الخسائر.

من يدفع تكلفة استمرار الحرب؟

وهكذا فإن الحرب يمكن أن تستمر لسنة أو لعدة سنوات، طالما استمر تدفق المساعدات العسكرية والاقتصادية من الولايات المتحدة وحلف الناتو على أوكرانيا. كذلك تستطيع روسيا أن تواصل عملياتها العسكرية لمدة عامين، وربما أكثر من ذلك، إذا استمرت في ابتكار صيغ جديدة لحماية الروبل وسوق الأوراق المالية المحلية من الهبوط، والنفاذ إلى أسواق جديدة للتصدير، حيث أنها تحتل مكانة عالية حاكمة في أسواق سلع غذائية وصناعية رئيسية، مثل القمح ومحاصيل العلف والبذور الزيتية، والأسمدة والحديد والألومنيوم، إضافة إلى الذهب والنفط والغاز. لكن استمرار الحرب يحمل نذرا بالشر لشعوب البلدان النامية والدول الصناعية على السواء. الدول النفطية بدون قصد، وشركات السلاح الأمريكية، بقصد، هي المستفيد الأكبر من استمرار الحرب.

وتشير أحدث تقديرات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية إلى أن حرب أوكرانيا ستكلف الاقتصاد العالمي حتى نهاية العام المقبل حوالي 2.8 تريليون دولار. وأن التكلفة ستزيد عن ذلك إذا واجهت أوروبا نقصا في إمدادات الطاقة في شتاء العام الحالي. كما أظهرت تقديراتها أن معدل نمو الاقتصاد العالمي سيبلغ بنهاية العام الحالي 3 في المئة بدلا من 4.5 في المئة في التوقعات السابقة للحرب، كما سيتراجع معدل النمو في العام المقبل إلى 2.2 في المئة بدلا من 3.2 في المئة، ما يعني أن الحرب ستؤدي إلى خسارة ثلث معدل النمو الاقتصادي العالمي في العامين الحالي والمقبل. وعلى صعيد تأثير الحرب على تكاليف المعيشة، قدر المعهد الوطني للبحوث الاقتصادية والاجتماعية في بريطانيا أنها ستزفع معدل التضخم العالمي بنسبة إضافية تبلغ 3 في المئة. وهو ما يعني زيادة تكاليف المعيشة على مستوى العالم ككل.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ

حربان في حرب واحدة: بين أوكرانيا وروسيا والأخيرة والغرب

لندن ـ «القدس العربي»: حسين مجدوبي

من خلال تطور المواجهات الحربية بين روسيا وأوكرانيا، يبدو أن هناك حربين، الأولى تتعلق بتوطيد موسكو سيادتها على شرق أوكرانيا وقيام كييف بحرب تشبه المقاومة لطرد المحتل، في حين تجري الثانية بين روسيا والغرب وتتمحور في تجريب الطرفين آخر العتاد العسكري؛ وهذه الأخيرة هي التي قد تدخل العالم في حرب واسعة النطاق. وتعد هجمات 10 تشرين الأول/أكتوبر الجاري التي استهدفت عددا من المدن الأوكرانية منعطفا حقيقيا في هذه الحرب لأنها كانت رسالة موجهة إلى الغرب وأساسا منظمة شمال الحلف الأطلسي أكثر منها ضد أوكرانيا.

وبعد مرور ثمانية أشهر على حرب روسيا ضد أوكرانيا، بدأت الصورة الحربية تتضح، ولعل أبرزها هو استمرارها في صيغ كلاسيكية وجديدة لكن دون الوصول إلى استعمال السلاح النووي. وبعد قرابة أسبوع كامل من حديث الطبقة السياسية والإعلامية في الغرب وبقوة عن فرضية استعمال روسيا للسلاح النووي في أوكرانيا، وأساسا التكتيكي منه، عادت إلى إبعاد هذه الفرضية، وخاصة بعد تصريح الرئيس الأمريكي جو بايدن بذلك.

وبدأ يتضح وجود حربين في النزاع القائم بين روسيا وأوكرانيا، الأولى وهي حرب المقاومة، وهذا يتجلى في قيام الجيش الأوكراني وكذلك ميليشيات مسلحة من المواطنين المتطوعين لاستعادة الأراضي التي سيطرت عليها روسيا في شرق وجنوب البلاد وهي أقاليم: دونيتسك ولوغانسك وخيرسون وزابوريجيا، وتشكل ما يفوق مئة ألف كلم من مساحة أوكرانيا. وهذه الحرب مكلفة للغاية لروسيا لأنها تعني حماية ألف كلم من حدود التماس مع باقي الأراضي الأوكرانية، وهي مطالبة باستعمال قوة عسكرية وبشرية هائلة لفرض سيطرتها. فقد أثبتت الدراسات العسكرية أن الانتصار في الحرب قد يكون سهلا، لكن فرض الاستعمار وتعزيز السيادة ليس بالهين. وحسابيا، في حالة السيطرة على إقليم أو منطقة، يتطلب الأمر وجود جندي لكل 25 مواطنا، ولهذا تقوم موسكو بتجنيد 300 ألف لكي يتحولوا إلى قوات تفرض الأمن في الأقاليم الأربعة في حين يبقى الجيش المحترف مستعدا لتطورات الحرب سواء مع الجيش الأوكراني أو الحلف الأطلسي.

وعليه، ليس مفاجأة إذا نجح الجيش الأوكراني في السيطرة على بلدة أو مدينة صغيرة على طول خطوط التماس لأن الأمر يتعلق بمئات البلدات على طول ألف كلم. هذه الحرب هي استنزاف للقوات الروسية لأنها عليها صد الهجمات يوميا.

وعندما عرضت مختلف وسائل الإعلام الدولية خريطة استهداف الصواريخ الروسية وكذلك طائرات مسيرة المدن الأوكرانية يوم الاثنين 10 تشرين الأول/أكتوبر الجاري كرد على استهداف جسر شبه جزيرة القرم بعملية تفجير، كان الأمر مهولا بكل المقاييس، فقد جرى توجيه ضربات أغلبها بالصواريخ إلى 23 مدينة ضد البنيات التحتية من محطات الكهرباء والماء ووسائل النقل. واستخدم الجيش الروسي صواريخ من نوع إسكندر وكاليبر، وكذلك طائرات مسيرة انتحارية من صنع إيراني وروسي. غير أن المثير من الناحية العسكرية هو ما يلي:

أولا، كمية الصواريخ التي استخدمها الجيش الروسي، لأن هذه العملية تبرز توفره على كميات كبيرة. وثانيا، هو عملية التنسيق الكبيرة بين القوات البرية والبحرية والجوية في إطلاق ما يفوق 80 صاروخا في ظرف لا يتعدى ساعتين. فقد أطلقت القوات الروسية الصواريخ من منصات في البحر ومن غواصات ومن سفن ومن طائرات مقاتلة مثل ميغ 31.

واستعملت روسيا صواريخ متطورة، فصاروخ إسكندر يجمع بين المجنح والباليستي القصير المدى، بينما كالبير صاروخ مجنح. وأكد الرئيس فلاديمير زيلنكسي اعتراض نصف الصواريخ تقريبا وإسقاط ثلثي الدرون التي كان عددها 13/ لقد أرسل الكرملين رسائل إلى الغرب من وراء هذا الهجوم وهي: موسكو تمتلك مخزونا كبيرا من الصواريخ، لا يتوفر الغرب على منظومة صواريخ قادرة على اعتراض الصواريخ الروسية وخاصة فرط صوتية منها مثل تسيركون وكنجال، والرسالة الأخيرة أن موسكو لن تتردد في تدمير البنيات التحتية خاصة المتعلقة بالطاقة في الدول الأوروبية.

لقد استهدفت روسيا في بداية الحرب تدمير البنية العسكرية الأوكرانية، لهذا استهدفت بصواريخ متطورة قواعد عسكرية وسلاح الجو بل واستعملت يوم 19 آذار/مارس الماضي صاروخ كندال الفرط صوتي لضرب مخزون للسلاح بالقرب من الحدود البولندية. واقتصرت لاحقا على الحرب الكلاسيكية وهي الدفاع أساسا على الأراضي التي تسيطر عليها الآن، غير أن الهجوم على جسر القرم دفعها إلى الرد العنيف.

إن هجمات يوم 10 تشرين الأول/أكتوبر الجاري تعتبر منعطفا حقيقيا في هذه الحرب ومؤشرا بشأن السيناريو الذي قد يحصل في مواجهة مفتوحة، إذ أظهرت روسيا قوتها الصاروخية وأنها قادرة على ممارسة الحرب عن بعد بفضل هذه الصواريخ.

خطر توسع الحرب

لا تبدي موسكو قلقا كبيرا من أنظمة الدفاع الجوي التي يقدمها الغرب إلى أوكرانيا، فهي قاصرة على اعتراض الصواريخ أو المقاتلات الروسية من نوع سوخوي 35 أو الميغ 31 أو القاذفات من نوع تو 160. غير أن القلق الحقيقي لروسيا يكمن في تزويد الولايات المتحدة للجيش الأوكراني بصواريخ بعيدة المدى، تفوق صواريخ هيمارس التي كبدت الجيش الروسي الكثير من الخسائر.

وإذا حدث وزودت واشنطن قوات كييف بصواريخ بعيدة المدى، وقتها روسيا قد تدمر معظم البنية التحتية المدنية لأوكرانيا بشكل مرعب، ستكون الهجمات بصواريخ فرط صوتية. وقد تمتد الهجمات إلى ضرب المعابر مع بولندا لمنع مرور السلاح، وقتها قد يقع السيناريو الأسوأ، أي مواجهة مع الغرب الذي سيدافع عن بولندا.

Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

مخاوف في إدارة بايدن من تصدع التحالف الغربي ضد روسيا وتوقف الدعم الحزبي لمساعدات أوكرانيا بعد انتخابات التجديد النصفي

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

أسفرت المخاوف من لجوء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لاستخدام الأسلحة النووية لوقف الخسائر في أوكرانيا إلى إثارة الجدل بشأن «الخطوط الأمريكية الحمراء» في التعامل مع هذا السيناريو المرعب.

وقد تعهدت الولايات المتحدة بعواقب كارثية إذا استخدم بوتين الأسلحة النووية، ولكن الرئيس الأمريكي جو بايدن رفض تقديم أي تفاصيل بشأن طبيعة الرد، وتضاربت تعليقات العديد من المسؤولين الأمريكيين بشأن الرد الأمريكي إذا سلك بوتين الطريق النووي.

وقال محللون أمريكيون أن الغموض في رد البيت الأبيض يمنح إدارة بايدن المرونة المناسبة، وأكدوا أن توضيح واشنطن بأنه ستكون هناك عواقب ، بدون تحديد أي تفاصيل قد يساعد على الردع.

وفي الواقع، تعلم رؤساء الولايات المتحدة درساً قاسياً بشأن وضع «الخطوط الحمراء» وقال محللون إن الكلمة مخيفة في واشنطن بعد فشل الرئيس الأسبق باراك أوباما في «خطوطه الحمراء» في سوريا، حيث ألقى خطاباً في عام 2012 متعهداً بالتدخل في الحرب السورية إذا استخدم رئيس النظام بشار الأسد الأسلحة الكيميائية، ولكنه لم ينفذ تعهده على الرغم من نشر تلك الأسلحة بعد عام من الخطاب.

وأكد خبراء أن بوتين يعرف جيداً أن حلف شمال الأطلسي «الناتو» سيدخل «المسرح» إذا استخدم السلاح النووي، لذلك لا يزال من الحكمة ترك مجال للمناورة، على حد تعبير مجلة «بوليتيكو». ولاحظ محللون أن هناك قيمة للمناقشات المنفصلة مع روسيا حول «حدود ومخاطر» أنشطتها في أوكرانيا لإدارة مخاطر التصعيد.

وقد أوضحت موسكو خطوطها الحمراء في المعركة، إذ حذرت من نشر الصواريخ الأمريكية بعيدة المدى بالقرب من الحدود الروسية، وحذرت، أيضاً، من رد «يوم القيامة» إذا تعرضت شبه جزيرة القرم لهجوم، وفي الفترة الأخيرة، قالت إنها لن تتسامح مع أي اعتداء على المناطق التي ضمتها مؤخراً، ولغاية الآن، لم يحفز الدعم الأمريكي والغربي لأوكرانيا أي رد استثنائي من قبل روسيا، ولكن الخبراء حذروا من عدم الاستخفاف بتهديدات الكرملين وشبه جزيرة القرم وكل السفن الروسية في البحر الأسود.

وقال مسؤول كبير في حلف «الناتو» يوم الأربعاء الماضي إن أي استخدام روسي للأسلحة النووية سيجلب بكل تأكيد رد فعل مادي من العديد من الحلفاء، وقال وزير الدفاع الأمريكي الأسبق ليون بانيتا إن الولايات المتحدة لن تشعر بأنها مقيدة لتقديم الدعم المباشر لأوكرانيا للانتصار في المعركة إذا استخدم بوتين الأسلحة النووية.

وتحدث الرئيس الأمريكي جو بايدن لساعات في الأشهر الأخيرة مع رئيس الوزراء الهندي، ناريندرا مودي، ورئيس جنوب أفريقيا، سيريل رامافوزا، وغيرهما من القادة الأجانب الذين لم يدعموا دائماً التحالف الغربي لدعم أوكرانيا، وحثهم على الوقوف بحزم ضد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وفقا لصحيفة «واشنطن بوست» التي كشفت أن البيت الأبيض قد فوجئ عندما واجه مودي، الذي بذل جهوداً كبيرة ليظل محايداً في الصراع الروسي الأوكراني، بوتين في قمة الشهر الماضي ليقول له إن «عصر اليوم ليس حربا» وأن على بوتين «الانتقال إلى طريق السلام».

وبالنسبة للعديد من المحللين، فإن هذه المناقشات تظهر ضغوط بايدن بقوة من أجل الحفاظ على ما أصبح مهمة مركزية لرئاسته: الحفاظ على التحالف العالمي والمحلي الداعم لأوكرانيا. مع اقتراب الحرب من أول شتاء، حيث يواجه حلفاء الولايات المتحدة رياحاً اقتصادية، بينما أعرب بعض الجمهوريين في الداخل عن شكوكهم بشأن المليارات من المساعدات الموجهة إلى أوكرانيا.

واعترف مسؤولون أمريكيون سراً أنه على الرغم من المواجهة المفاجئة لمودي مع بوتين، إلا أن الشكوك تحوم بشأن حدوث أي انفراجة مع الهند، التي تتمتع بعلاقات سياسية وعسكرية واسعة النطاق مع روسيا. لكنهم يأملون في أن تساعد هجمات بوتين الصاروخية في إقناع جنوب أفريقيا ودولا أخرى بالابتعاد عن الحياد.

ولم تكن الدبلوماسية الأمريكية سهلة، حيث تضررت الدول النامية في افريقيا وأمريكا الجنوبية وجنوب شرق آسيا بشكل غير متناسب من ارتفاع أسعار الوقود ونقص الغذاء العالمي بسبب الحرب، وقد حاول بايدن في محادثاته مع نظرائه بذل كل جهد للقول إن «العدوان الروسي» هو السبب في المشاكل وليس العقوبات الأمريكية على موسكو.

وقد أضافت الأحداث الأخيرة الإحساس بأن الحرب ستكون شاقة وطويلة، خاصة بعد تفجير جسر القرم، الأمر الذي أثار غضب موسكو وجعلها تستهدف كييف ومدنا أوكرانية أخرى.

ويتوقع المسؤولون الأمريكيون تباطؤ القتال خلال فصل الشتاء في أوكرانيا، عندما يؤدي الطقس البارد إلى إعاقة العمليات العسكرية، ولكن مع اقتناع روسيا وأوكرانيا بقدرتهما على الفوز، فإن المفاوضات تبدو بعيدة المنال، خاصة مع التعبئة الأخيرة للقوات في روسيا.

وقد حافظت إدارة بايدن حتى الآن على دعم من الحزبين الديمقراطي والجمهوري لتقديم مساعدات بمليارات الدولارات إلى أوكرانيا، ولكن العديد من حلفاء ترامب من الجمهوريين بدأوا في إثارة تساؤلات حول سبب إنفاق الولايات المتحدة الكثير من الأموال على حرب بعيدة في الخارج، وحسب ما ورد في تقرير لـ«واشنطن بوست» من المحتمل أن ترتفع أسعار الوقود على المستهلك الأمريكي نتيجة قرارات أوبك والسعودية بتخفيض الإنتاج، ما قد يزعج الجمهور أكثر بشأن المساعدات الخارجية.

وقال مسؤول كبير في إدارة بايدن إن البيت الأبيض يفكر دائماً في الحفاظ على الدعم من الكونغرس والجمهور، ولكنه اعترف بأن الأمر سيصبح تحدياً لا محالة، مشيراً إلى أن الكثير من الناس يعتقدون بأننا نمر في أوقات عصيبة مع ما تبقى من توافق بين الحزبين بشأن أوكرانيا.

وعلى الرغم من معارضة قادة أوروبا لبوتين وأجندته إلا أن المخاوف من ارتفاع أسعار الوقود والغاز تهدد هذا الدعم.

وأشار محللون أمريكيون أن العلاقة بين إدارة بايدن والرئيس الأوكراني زيلينسكي ليست سلسة كما يتوقع الكثير من الناس على الرغم من انتظام المحادثات الهاتفية والمناقشات بين الزعيمين، فقد دعا زيلينسكي مراراً الولايات المتحدة تقديم مساعدات وبذل المزيد وفرض عقوبات أشد على روسيا على الرغم من تدفق المساعدات الأمريكية والغربية إلى كييف. وقال محللون أمريكيون إن بايدن يتفهم رغبة زيلينسكي في الدفاع عن بلاده ولكن الرئيس الأمريكي أخبره سراً بأنه لا يستطيع الاستمرار في طلب المال من الكونغرس إذا بدا أنه غير ممتن وظل يقول إن المساعدات غير كافية.

وزير الدفاع الأمريكي ورئيس هيئة الأركان الأمريكية

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ

مشاهد متناقضة على ضفتَي الحرب بدلالات سياسية:

روس يهربون من التعبئة
وأوكرانيون يعودون للقتال وغناء يكسر رهبة صواريخ بوتين

رلى موفّق

يقصف الجيش الروسي المدن الأوكرانية، ومن ضمنها كييف، بصواريخ استراتيجية عالية الدقة تستهدف البنى التحتية الحيوية، فتدوّي صفارات الإنذار ويهرع الناس إلى محطات المترو للاحتماء. ولكن بدل أن تسيطرَ ملامح الرعب على الوجوه، تصدح الحناجر لتنشدَ الأغاني الوطنية في تعبير مهيب عن تلك الروح الوطنية التي يتحلّى بها الشعب الأوكراني، الذي استفاق في الرابع والعشرين من شباط/فبراير الماضي على غزو روسي لبلاده سماه «سيد الكرملين» بـ«العملية العسكرية الخاصة».

كانت توقعات الخبراء العسكريين أن تُحقق العملية أهدافها في غضون أسبوعين إلى ثلاثة تصل فيها القوات الروسية إلى العاصمة، فتُطيح بالحكم الحليف للغرب والمجسّد للنازية الجديدة الذي نفّذ انقلاباً ضد الدستور عام 2014 بدعم «الغرب الجماعي» بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وتنصيب حكم صديقٍ لها. ربما ساهم هذا «الغرب الجماعي» وفق وَصف «سيد الكرملين» فلاديمير بوتين في نصب فخ له، خصوصاً حين سُرّبت تقديرات للاستخبارات الأمريكية بأن يتمّ اجتياح كييف في غضون يوم إلى أربعة أيام من بدء الغزو الروسي.

ما حصل أن الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي لم يهرب، ولم يترك الميدان هو وحكومته وقادة قواته المسلحة وجيشه الذي ما عاد يشبه جيش الحقبة السوفياتية التي يحنُّ بوتين إلى إعادة أمجادها، بل بات أقرب، في عقيدته وتدريبه وسلاحه، إلى الجيوش الغربية رغم الفرق الشاسع بين إمكانات وقدرات وعديد الجيش الروسي والجيش الأوكراني. وبعد سبعة أشهر من الغزو، خرج بوتين ليعلن في الحادي والعشرين من أيلول/سبتمبر التعبئة العسكرية الجزئية والقرار باستدعاء 300 ألف من قوات الاحتياط.

صحيح أن الروس خاضوا معارك طاحنة في الشرق الأوكراني بحيث وسّعوا رقعة سيطرة الانفصاليين الموالين لهم في منطقتي لوغانسك ودونتيسك في إقليم دونباس، واحتلوا أجزاءً من منطقة زابارودجيا متّجهين جنوباً نحو منطقة خيرسون طامحين، إذا ما أكملوا السيطرة عليها، باستحداث شريط يربط ما بين المناطق الأربع التي أعلنت موسكو ضمّها إلى الاتحاد الروسي وصولاً إلى القرم. لكن الصحيح أيضاً أنهم رغم ما تكبّدوه من خسائر كبيرة لم يُحكموا السيطرة الفعلية على تلك المناطق، ونجحت القوات الأوكرانية في استعادة جزء منها.

يروي أحد المحلّلين الذي عاش ردحاً من الزمن في روسيا أيام الاتحاد السوفياتي، وعلى صلة وثيقة بدوائر القرار الروسي، أن استعادة القوات الأوكرانية لمنطقة خاركيف أحدثت إحباطاً في صفوف الجيش الروسي، الذي كشفت الحرب على أوكرانيا ضعف أدائه، وأظهرت الخسائر الكبيرة البشرية والعسكرية التي مُني بها بأنه لم يكن جاهزاً لدخول الحرب كما ظنّت قيادة الأركان الروسية التي عمد بوتين إلى إحداث تغييرات فيها، وقام بإزاحة المئات من كبار الضباط، بل روايات عن استفحال الفساد في الهياكل الرئيسية ضمن المنظومة العسكرية.

وما زاد من حراجة المشهد في روسيا قرار التعبئة الجزئية، الذي كشف حجم الرفض الشعبي للالتحاق بالحرب. ففي الوقت الذي يعود فيه الشباب الأوكراني من الخارج إلى بلاده من أجل القتال دفاعاً عن أرضهم، يهرب الشباب الروس من بلادهم كي لا يلتحقوا بالخدمة العسكرية. مشهدان متناقضان حيال صلابة القضية والروح الوطنية والحوافز المعنوية على كل من الضفتين الأوكرانية والروسية.

على الضفة الأوكرانية، تكثر الروايات عن الروح المعنوية العالية، وعن التضامن الشعبي والالتفاف حول القيادة السياسية والتقدير للقيادة العسكرية. وهي روايات لا تأتي في سياق الدعاية الإعلامية بل يعكسها المواطنون الذين يدفعون ثمن الحرب من أرزاقهم وأملاكهم وبيوميات حياتهم. كُثر منهم تركوا أعمالهم والتحقوا بجبهات القتال كمتطوعين، وباتوا اليوم يُشكّلون ما نسبته 30 في المئة من القوات المقاتلة، فيما آخرون ينتظرون بلا تردد أن يتم استدعاؤهم إلى ميدان القتال لتحرير الأراضي المحتلة والدفاع عن سيادة بلادهم.

لم يتسلّل اليأس إلى نفوس الأوكرانيين. لا بل تكبر الرهانات على مزيد من الدعم العسكري الغربي الذي تتلقاه بلادهم. يُعبّرون عن الثقة بأن الغرب على يقين بأن خسارة أوكرانيا ستفتح شهية بوتين على التمدّد والتوسّع، وستكون أوروبا تحت رحمته وعرضة لابتزازه الدائم. يتحضرون لحرب ستشتدُّ ضراوة وبشاعة. الهجمات الروسية في العاشر والحادي عشر من تشرين الأول/أكتوبر الحالي على البنى التحية مستهدفة الطاقة بشكل مباشر، كرد على تفجير جسر كيرتش الذي يربط شبه جزيرة القرم بروسيا، تؤشّر على أن الكرملين لا يتوانى عن اعتماد استراتيجية التدمير الكلي للبنية التحتية التي ستترك تداعياتها على الكهرباء والماء وحركة القطارات والمواصلات والمستشفيات وكل مناحي الحياة الأوكرانية. وهي استراتيجية سبق أن استخدمتها موسكو ضد المناطق التي كانت تُسيطر عليها المعارضة السورية بلا رادع دولي، بحيث أن المدن السورية – وفي مقدمها حلب – تُشكل مثالاً حياً على وحشية النظام الروسي الذي تغاضى عنه الغرب حينها، ليجد اليوم نفسه أمام مفاعيل حرب نووية بسلاح تقليدي فتّاك ومدمر قد تشهدها أوكرانيا في أي لحظة دون الحاجة على اللجوء للسلاح النووي الحقيقي الذي يلوح به. يأتي الردُّ الغربي ببدء تزويد كييف بأنظمة دفاع جوي متطورة مع التصعيد الروسي في تكتيكات الحرب، وهو تصعيد، وإنْ استطل تفجير جسر القرم كسبب، فهو في حقيقة الأمر، ردٌّ على الهجوم المضاد الذي شنّته القوات الأوكرانية خلال الأسابيع الماضية وأدى إلى تقهقر القوات الروسية وخسارتها مساحات واسعة من الأراضي التي احتلتها، في ضربة مُوجعة لهيبة بوتين وجيشه وترسانته العسكرية. والآتي لا يزال في علم الغيب، صعب التكهن مع بوتين.

Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

الحرب في أوكرانيا: دروس فيتنام لوقف النزاع
وتعويل بوتين على النفط والشتاء لتحقيق أهدافه

إبراهيم درويش

إلى أين وصلت الحرب الروسية في أوكرانيا، وما هو منظور نهاية قريبة للعبة التي بدأت قبل ثمانية أشهر، وهل سيحرف الجنرال أرماغادون، أو جنرال القيامة مسار الحرب وتعويض الإهانة التي وجهت للرئيس فلاديمير بوتين بضرب جسر مضيق كيرتش الرابط بين شبه جزيرة القرم وروسيا، والذي تقول السلطات الروسية إن إصلاحه لن ينتهي إلا في العام المقبل؟

في قمة سيكا باستانا عاصمة قازخستان، قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إن الغارات الجوية التي شنها جيشه على مواقع عدة في أوكرانيا لم يكن الغرض منها تدمير البلد وأن الغارات دمرت 29 موقعا من البنى التحتية وأن الصواريخ الروسية أصابت 22 هدفا وستكمل على السبعة.

وعلى الصعيد الميداني لا تزال القوات الأوكرانية تواصل تقدمها في الجنوب والشرق، وفي مناطق أخرى بدأ الجيش الروسي عمليات هجومية محدودة حيث استعاد قريتين في الجنوب. وفي السياق نفسه لا يزال الغرب وتحديدا الولايات المتحدة يحذر من الخيار النووي ويدرس كيفية الرد عليه، في ظل السيناريوهات التي تشير إلى أن بوتين قد يلجأ إلى الأسلحة النووية التكتيكية كحل نهائي لو واجه الهزيمة. وقال الرئيس جو بايدن إن تهديد بوتين بالأسلحة النهائية يعرض البشرية لخطر نهاية العالم وأن واشنطن أرسلت رسائل سرية تحذيرية لموسكو بهذا الشأن. وفي ضوء زيادة التهديدات الروسية رفع الغرب من مستوى المواجهة مع بوتين بمساعدات عسكرية جديدة، فقد أمر بايدن بمساعدات جديدة بقيمة 725 مليون دولار ما يرفع المساعدات الأمريكية لنظام الرئيس فلاديمير زيلينسكي إلى 17.6 مليار دولار منذ بداية الحرب في 24 شباط/فبراير. وتضم المساعدات الجديدة ذخيرة وعربات عسكرية، ولن تضم قدرات عسكرية جديدة كتلك التي يستخدمها الأوكرانيون بنجاح مثل أنظمة الصواريخ المدفعية عالية الحركة المعروفة بهيمارس. وزودت ألمانيا أوكرانيا بنظام دفاع جوي مضاد للصواريخ جديد لم يستخدم أبدا، وحتى في الجيش الألماني.

وفي إشارة إلى نهاية عملية التعبئة الجزئية التي أعلن عنها بوتين في الشهر الماضي، قال إن نشر أكثر من 222.000 مجند سيتم خلال أسابيع. وجاءت التعبئة ردا على النقد الموجه للقوات الروسية في أوكرانيا وخسارتها المناطق التي سيطرت عليها في خاركيف ومدينة إزيوم الإستراتيجية، وفي انسحاب متعجل وغير منظم. ورغم اعتراف بوتين بأخطاء في عملية التعبئة إلا أنه دافع عن الحرب وأكد أن ما فعله هو صحيح وجاء في الوقت الصحيح.

ماذا يريد بوتين؟

لكن إلى متى ستستمر لعبة بوتين في أوكرانيا، فقد مضى 234 يوما على الحرب، بشكل دعا الكثيرين لتحليل تصرفات بوتين المتهورة في الحرب وأنها صورة عن شخصيته، أي التحدي والتصعيد حتى النهاية وسط نكسات جيشه وثقته المفرطة بالنفس وسوء التخطيط الذي رافق العملية من بدايتها. فقد اعتقد الروس أنهم قادرون على إسقاط نظام كييف وتنصيب نظام جديد، ومن ثم تراجعوا نحو الجنوب والشرق. ومع استمرار النكسات في الساحة الأوكرانية رد بوتين بالتحدي وأمر بتعبئة جزئية ونظم مهزلة استفتاء في أربع مناطق بشرق وجنوب أوكرانيا أعلن ضمها للأراضي الروسية وأصدر تهديدات نووية وشن موجات من الهجمات الصاروخية ردا على تدمير الجسر في القرم.

دروس من فيتنام

ومشاكل روسيا في أوكرانيا ليست استثنائية، فقد عانى الجيش الأمريكي من المشاكل نفسها في فيتنام. ويرى غيدون روز في «فورين أفيرز» (2022/10/14) أن الولايات المتحدة رضيت في عهد نيكسون بالواقع وسحبت قواتها من فيتنام، بعدما هددت بتصعيد الهجمات والقصف واستخدام السلاح النووي. والسؤال هل سيحصل نفس الشيء مع بوتين؟

يعتقد الرئيس الروسي أنه لو صمد حتى الشتاء، فسيكون في وضع جيد، فالحملة الجديدة من التجنيد ستعيد الاستقرار لميدان المعركة وستنخفض وتيرة الحرب وسيخيف الجميع بتهديدات التصعيد وستتزايد المعارضة للحرب في الغرب نظرا لارتفاع أسعار الوقود، وعندها سيصبح النزاع مجمدا أو يحصل بوتين على تسوية عبر المفاوضات تمكنه من الإعلان عن النصر.

لكن الخطة هذه قد يحبطها استمرار الدعم الغربي لأوكرانيا واستمرار تزويد واشنطن وأوروبا القوات الأوكرانية بأنظمة السلاح المتقدم بشكل يدفع القوات الروسية التراجع للوراء ويجبر موسكو على القبول بالواقع والتفاوض على تسوية تؤكد الوضع الراهن قبل شباط/فبراير.

وعندما يحصل سيناريو كهذا فعلى الولايات المتحدة وحلفائها في أوروبا قفل النزاع وإنهاء القتال. فالحرب مثل لعبة الشطرنج لها بداية، وسط ونهاية. ففي البداية يخوض الطرفان الحرب وينشران الجنود، وفي الوسط يحاولون البحث عن مخرج وفي النهاية يتباحثان في تفاصيل التسوية. وتظل عملية التحول لنهاية الحرب نفسية أكثر منها سياسية أو عسكرية. وهي اعتراف أن الحرب دخلت حالة جمود أو تتحرك في اتجاه واحد، واعتراف كهذا هو صعب على الخاسرين الواجب عليهم التخلي عن أمل النصر والدخول فيما وصفته المحللة النفسية إليزابيث – روز كوبل المراحل الخمس من الحزن: إنكار، غضب، مقايضة، كآبة وقبول.

ويحصل هذا في الكرملين الآن، حيث يتبدد حلم النصر، فالتهديد النووي يشير إلى نوع من الغضب والمقايضة. ولا يمكن عزو هذا لفرد أو سياق وطني، فالولايات المتحدة تصرفت بنفس الطريقة عندما واجهت الهزيمة في فيتنام وقبل أن تبدأ بعملية الجلاء. وهو نفس الطريق الذي ستسير فيه روسيا لو وجدت نفسها في وضع استنفدت فيه كل خطط النصر.

فيتنام 1965

ولنفهم السياق الحالي بالعودة إلى عام 1965حيث شعر ليندون جونسون أن استخدام القوة المفرطة ستجبر الشيوعيين في شمال فيتنام على الاستسلام، ولم يحدث هذا، بشكل دفع جونسون عام 1968 لزيادة الضغط ونشر مزيد من القوات وإعلان عدم الترشح للرئاسة وخرج تاركا الأزمة لخليفته. وفي عام 1969 جاء ريتشارد نيكسون إلى السلطة ملتزما بنفس أهداف الحرب الأولى، وهي تأمين نظام جنوب فيتنام، لكنه كان يعرف ان الرأي العام الأمريكي بات معارضا للحرب ولهذا قرر استخدام المفاوضات وجلب هانوي إليها من خلال العصا والجزرة. وكما وصف مدير طاقم البيت الأبيض آتش ار هالدمان، فقد اراد نيكسون مزج التهديد بالوعود السخية، وهو ما أسماه «نظرية الرجل المجنون» و«أريد أن يفهم الفيتناميون الشماليون أنني وصلت لمرحلة أستطيع عمل أي شيء لوقف الحرب».

لم ينجح نيكسون في استراتيجيته الأولى، التهديد والوعد، واعترف أن مواصلتها يعني تدهور الأوضاع للأسوأ، ومن هنا تبنى استراتيجية جديدة تقوم على سحب القوات الأمريكية بشكل تدريجي والالتزام بالحفاظ على نظام سايغون حيث ظهرت اتفاقية عبدت الطريق لسقوط جنوب فيتنام بعد عامين من توقيعها. ولو نقلنا هذه الدروس للمشهد الأوكراني، فإن الولايات المتحدة تعتقد أنها تستطيع النصر بطرق غير مباشرة مثل العقوبات والتهديد برد قوي على أي استخدام للسلاح النووي مع أن الحرب تقرر في النهاية في ساحة المعركة. والمطلوب من واشنطن تجاهل التهديدات والتنمر الروسي والتركيز على دعم الأوكرانيين لتحقيق النصر. ويضاف إلى هذا مزج الدبلوماسية بالحرب، ففي المراحل الأخيرة من حرب فيتنام تجنب الطرفان ارتكاب أخطاء، حيث زادت وتيرة الحرب ومعها اقتربت التسوية.

رد بوتين

ويمكن مشاهدة هذا من خلال رد بوتين على تدمير جسر مضيق كيرتش، وسيرد بنفس الطريقة لو حقق الأوكرانيون نجاحات جديدة، ومرة أخرى فهذا ليس محصورا في روسيا، فقد فعلت الولايات المتحدة ما هو أسوأ فيما أطلق عليه قصف عيد الميلاد بمدينة هانوي وهايبونغ في كانون الأول/ديسمبر 1972. وهو أسوأ قصف في كل حرب فيتنام. وكما قال جون نيغروبونتي مساعد هنري كيسنجر «قصفنا الفيتناميين الشماليين لإجبارهم على قبول تنازلاتنا» ولم يستسلموا أو يسمحوا للأمريكيين بوقف جهودهم العسكرية والدبلوماسية. ويجب ألا يسمح الغرب لبوتين وتهديداته وقف جهودهم في دعم الأوكرانيين. فبوتين لا يتصرف كهتلر ولكن ككيصر، ورغم خطابه المعادي للاستعمار إلا أنه يقاتل لاستعادة المناطق التي خسرتها الإمبراطورية الروسية. وكأي قوة إمبريالية تقلل من خسائرها وترحل إلى مناطقها عندما تفشل في تحقيق أهدافها. وحتى ضم أراض جديدة للإمبراطورية لا يضمن النجاح كما في مثال الأقدام السود في الجزائر. ولو استطاع الأوكرانيون مواصلة الضغط، فعندها سيبحث الروس عن نهاية للعبة، ومعها ستأتي التنازلات والمقايضات. وفي النهاية ستتلقى روسيا ضربة وليس هزيمة ولن تتلقى إهانة بل وتذكيرا بمكانتها المتواضعة. وهذا لا يعني تخلي روسيا عن جهودها لمواصلة التأثير في الداخل والخارج. وستؤجل روسيا أهدافها المعلنة في أوكرانيا وتحافظ على أخرى، وربما بنى الغرب على الحرب من خلال الضغط لاستعادة مواقع ما قبل شباط/فبراير والضغط من خلال اتفاقيات إقليمية جديدة تقيد تصرفات موسكو وملاحقة النظام هناك بتهم جرائم الحرب. ولن يختفي التهديد الروسي لأوكرانيا، نظرا لأن بوتين أقام غزوه على رؤية لا تعترف بوجود البلد أصلا، وفي غياب التهديد الداخلي والمعارضة قد يتعرض لنقد لكن لن يحمل المسؤولية، خاصة أن النقد ظل موجها على القيادة العسكرية. ولو تابعنا منشورات القوميين الروس وحلفاء بوتين على منصات التواصل الاجتماعي، كتلك التي ينشرها رمضان قديروف على منصة «تيلغرام» فالهجوم على القيادة العسكرية وضرورة تغييرها، وقد استجاب بوتين لها بتعيين الجنرال المسؤول عن قيادة العمليات في سوريا، سيرغي سوروفيكين.

تنافس وتهديد

في ضوء التزام الولايات المتحدة بأوكرانيا أصدر فريق بايدن استراتيجية الأمن القومي بمقدمة كتبها بايدن نفسها أعلن فيها نهاية فترة ما بعد الحرب الباردة رسميا، وحددت الإستراتيجية الصين وروسيا كأكبر تهديد للأمن القومي الأمريكي. وأوردت مجلة «بوليتكو» (20222/10/12) أن إعلان الإستراتيجية تأخر بسبب الحرب في أوكرانيا. ورغم تصنيف الإدارة للصين وروسيا كأكبر خطر على المصالح الأمريكية إلا أن هناك مجالا للتعاون معها لمواجهة التهديدات العالمية مثل التغيرات المناخية والتعاون مع روسيا مثلا في معالجة الملف النووي الإيراني. واعتبر بايدن أن العقد الحالي حاسم لدعم المصالح الأمريكية الحيوية. وستعمل أمريكا على تحقيق أهداف إستراتيجية الأمن القومي من خلال الاستثمار في الداخل، اجتماعيا واقتصاديا وعسكريا وبناء تحالفات وائتلافات وتحديث المؤسسة العسكرية الأمريكية. وسيسمح هذا لأمريكا مواجهة الأنظمة الديكتاتورية المتمثلة بالصين وروسيا. وقال مستشار الأمن القومي جيك سوليفان إن غزو بوتين لأوكرانيا لم يغير موقف بايدن من السياسة الخارجية بل وقواه. وتعكس لغة الوثيقة ما ورد في إستراتيجية الأمن القومي لدونالد ترامب عن «عودة التنافس بين القوى العظمى».

النفط كسلاح

إلا أن تعاون الولايات المتحدة في القضايا الدولية ليس ضامنا للنجاح وتحقيق أهداف الأمن القومي، كما لاحظنا في قرار أوبك+ خفض معدلات الإنتاج بمليوني برميل في اليوم، وهو ما قاد عاصفة انتقاد للسعودية باعتبارها زعيمة الكارتل مع روسيا. وحاول فريق بايدن تعطيل القرار لمدة شهر، حتى تمر الانتخابات النصفية. ما يعني دافعا سياسيا وليس حرصا على استقرار أسعار النفط. وبالنظر للعاصفة في الولايات المتحدة ضد السعودية واتهامها بالخيانة والوقوف مع روسيا كما بدا من تصريحات المتحدث باسم الأمن القومي جون كيربي، فالدول النفطية ومنها السعودية ترى أن القرار تدفعه العوامل الاقتصادية البحتة. لكن النواب الديمقراطيين ونقاد السعودية رأوا فيه تحولا في المسار واصطفافا مع بوتين وتدميرا لإستراتيجية عزله وحرمانه من موارد النفط لتشغيل آلة الحرب في أوكرانيا. ولا ريب فالعلاقات السعودية – الأمريكية تمر في أزمة، ولم تنجح قبضة بايدن لحمد بن سلمان، ولي العهد والحاكم الفعلي في إصلاح العلاقات، وسط دعوات لمعاقبة الرياض وسحب القوات الامريكية وأنظمة الدفاع ومعاقبة أوبك ضمن قانون مكافحة الاحتكار. وتحدث بايدن إلى شبكة «سي أن أن» عن عواقب لقرار السعودية الأخير. وبالمحصلة فلم تنجح إدارة بايدن بإقناع بقية العالم الوقوف معها في الحرب ضد بوتين، وهذا واضح في دول الجنوب، وحتى الهند حليفة واشنطن لم تغير موقفها «الحايد» من الحرب في أوكرانيا وتوقف تعاملها النفطي والعسكري مع موسكو. ويظهر التناقض بين عالم الشمال والجنوب في استطلاع نشرت نتائجه صحيفة «الغارديان» (2022/10/14) ونظمه مشروع يوغوف–كامبريدج العالمي وشمل 25 دولة في العالم. واظهر أن الرأي العام الأوروبي لا يدعم تنازلات لبوتين بل ويطالب بمزيد من العقوبات الاقتصادية والعسكرية ضد الكرملين. وكشف التقرير عن دعم للعقوبات يتراوح من 57– 70 في المئة بدءا من فرنسا والمانيا ومرورا بكندا والولايات المتحدة وبولندا إلى بريطانيا والدنمارك. وعبر الكثير من الغربيين عن استعداد لدفع الثمن لهذا بنسبة 66 في المئة في الدنمارك و63 في المئة في بريطانيا. وبعيدا عن المجال الغربي فالاستطلاعات في البرازيل والمكسيك وتركيا ومصر، السعودية والهند والايابان وتايلاند وكينيا ونيجيريا وجنوب أفريقيا، فقد أعربت عدة دول عن مواقف مؤيدة لروسيا. ودعمت نسبة 35 في المئة في تركيا وأندونيسيا ومصر والسعودية وتايلاند إرسال الناتو أسلحة ثقيلة لأوكرانيا.

ونفس الأمر يصدق على من يتحمل مسؤولية الحرب، حيث قالت نسبة 23 في المئة في مصر أن روسيا مسؤولة و26 في المئة في تركيا و34 في المئة في تايلاند 44 في المئة في نيجيريا.

حوار

حنين الزعبي العضوة السابقة في الكنيست: على الشعب الفلسطيني في الداخل أن يدرك أن إسرائيل تطرفت وتغولت كثيرا

حاورها: عبد الحميد صيام

في زيارتي لفلسطين، حرصت أن التقي حنين الزعبي العضوة السابقة للكنيست بين عامي 2009 و2019 ومن مؤسسي حزب التجمع الوطني الديمقراطي. الأمور السياسية هناك تغيرت كثيرا في الأشهر الأخيرة. فالحملات الانتخابية لحشد أصوات العرب لا تسير كما يجب بعد عزوف الفلسطينيين عن التصويت إما عن قناعة بعدم جدوى الانتخابات أو بفقدان الثقة في الأحزاب العربية جميعها التي قد تساهم في فوز أحزاب اليمين المتطرف، وبشأن موضوع انقسام القائمة المشتركة تقول الزعبي إنها انتهت، ونستطيع تلخيص تجربتها أنها انتهت بالفشل وليس فقط بالانقسام. وفي موضوع قرار المحكمة الدستورية الإسرائيلية منع حزب التجمع برئاسة سامي شحادة من خوض الانتخابات، ترى الزعبي أن المحكمة الإسرائيلية قامت بإلغاء شطب التجمع، ومن قام بشطبه هي لجنة الانتخابات في الكنيست، لكن المحكمة أرادت في قرارها الذي وضح أن التجمع يحمل مشروعا خطيرا يتطاول على كيانية الدولة وجوهرها وهذا تمهيد لشطب مقبل. لقد كان الحكم مختلفا تماما عن الأحكام السابقة وهم أرادوا بذلك ردع التجمع وتضييق مساحة حريته.

وهنا نص الحوار.

○ **سأبدأ الحوار من النهاية، هل قرار المحكمة الإسرائيلية بإبعاد حزب التجمع عن الانتخابات نهائي؟ إن حدث هذا ما هي خطتكم البديلة؟**

● المحكمة الإسرائيلية قامت بإلغاء شطب التجمع، من قام بشطبه هي لجنة الانتخابات في الكنيست. لكن المحكمة أرادت في قرارها الذي وضح أن التجمع يحمل مشروعا خطيرا يتطاول على كيانية الدولة وجوهرها وهذا تمهيد لشطب مقبل. لقد كان الحكم مختلفا تماما عن الأحكام السابقة وهم أرادوا بذلك ردع التجمع وتضييق مساحة حريته، لكن التجمع تعلم أن أي ارتداد عن خطنا الوطني يحمل نهايتنا السياسية ويحمل انهيارا وطنيا لشعبنا، علينا أن نقرر نحن أن نترك الكنيست قبل أن نسمح لذلك في الحدوث.

○ **ما الذي حدث بالضبط؟ هل الانقسام داخل المشتركة جاء فجأة أم أن المؤشرات منذ زمن بعيد كانت تشير إلى أنه مقبل؟**

● المشتركة انتهت، ونستطيع تلخيص تجربتها أنها انتهت بالفشل وليس فقط بالانقسام، لقد اتضح أن الوحدة لشعب يصارع منظومة تطهير وإبادة في ظل غياب مشروع وطني ستخضع في النهاية لموازين القوة الداخلية أكثر من أي معايير أو محظورات وطنية، ونحن نعيش في فترة انهيار المحظورات الوطنية تماما. الحزب الشيوعي أو ما يعرف بالجبهة، دخلت المشتركة على أساس أن الصراع هو بين مواطنين – يشكلون أقلية عادية داخل دولة عادية– ضد الفاشية الإسرائيلية، أي ضد اليمين المتطرف، كأي يسار أوروبي يخوض صراعا ضد الفاشية في دولته، وعلى أساس أن الأقلية تستطيع بناء تفاهمات انتخابية، بل دعم مباشر لجزء من الطيف الصهيوني ضد الجزء الآخر الفاشي الاستيطاني بقيادة نتنياهو. من جهة أخرى دخل التجمع الوطني الديمقراطي المشتركة باعتبار أن الداخل، مثل شعبه الفلسطيني عامة يخوض صراعا وطنيا ضد دولة تمثل مشروع إبادة وتطهير سياسي ومادي ورمزي، بالتالي اعتبر المشتركة لحمة وطنية ضد دولة معادية. ما حصل ليس نقاشا بين توجهين، وكان على العضو الأول في المشتركة أيمن عودة من «الجبهة» أن يحمل مسؤولية قيادة هذا التحالف غير المسبوق والحرص على احترام الشركاء ووزنهم السياسي. وبدل أن يستوعب عودة ثقل المهمة التي تتطلب منه استثمار القوة الجماهيرية للمشتركة في اتجاه يثبت الخط الوطني والرؤية الوطنية من دون أن تخاف الجبهة من أن يفسر ذلك كفقدانها للسيطرة، إذ هي في مرحلة تاريخية تترأس بها المشتركة والمتابعة معا، بدل ذلك جير عودة قوة المشتركة والتي وصلت إلى 85–90 في المئة من نسبة المصوتين العرب، لصالح بناء تحالفات وتقاربات مع الأحزاب الصهيونية رغم قناعته أن هذه التقاربات تمثل مصلحة انتخابية لتلك الأحزاب وليست قناعة بمواطنة غير صهيونية أو تغييرا في موقفها الصهيوني العدائي. هذا الاختلاف الجوهري في التعامل مع المشتركة كجسم سياسي انفجر سياسيا خلال قانون القومية أي في كانون الأول/ديسمبر 2018 أي بعد ثلاث سنوات من قيام المشتركة، وكانت هي اللحظة التي وصلت بها شخصيا إلى قناعة بأن المشتركة لن تستمر، لكنها خاضت قبل ذلك مسارا من خلافات متواصلة ظهرت في قضايا عديدة مثل منع النواب العرب من دخول الأقصى، وقضية جثامين الشهداء، وإقحام اسم المشتركة في بناء معسكر يهودي–عربي، وإقحام اسم المشتركة في مؤتمرات تجمع بين السلطة الفلسطينية وأحزاب صهيونية وفي جنازة شمعون بيريس وفي إحياء ذكرى رابين وغيرها من قضايا ليست برلمانية بل سياسية من الدرجة الأولى. ومحاولة فرض خط سياسي يمثل أقل من 10 في المئة من شعبنا (يلقى توجه عودة معارضة داخل الجبهة نفسها، والجبهة تمثل 3 مقاعد من 23 مقعدا هي القوة الانتخابية للفلسطينيين في الداخل). لقد حاول عودة فرض تحالفات ومنطق سياسي يتعلق بعلاقتنا مع الدولة العبرية وبمفهومنا للدولة العبرية، لقد أراد تحويلنا من شعب يحمل قضية وطنية إلى أقلية سياسية مرتزقة.

○ **ما موقف لجنة المتابعة؟ هل حاول محمد بركة التوسط قبل الانقسام؟**

● الدور الذي لعبته لجنة المتابعة في الثمانينات كجسم سياسي يتخذ قرارات سياسية مهمة باتجاه تصورنا كجماعة قومية انتهى من زمان، كما أن لجنة المتابعة ليست جسما سياسيا منبثقا عن رؤية وطنية جامعة، وهي ليست جسما سياسيا له دستوره التنظيمي. رئيس اللجنة يحدد هويتها وقوتها السياسية واستقلالها عن حسابات الأحزاب الجماهيرية. في النهاية بركة يمثل مصلحة الجبهة أكثر من مصلحة المتابعة كجسم أعلى، تستطيع أن تبحث في غوغل عن تصريح واضح له بهذا الخصوص خلال الانتخابات الأخيرة. الجبهة تدخل رئاسة المتابعة لكي تهيمن كجسم سياسي وليس لتبلور إجماعا وطنيا صلبا، والمتابعة نفسها لا تعامل نفسها كمرجعية وطنية. بالإضافة لذلك محمد بركة لا يملك القرار في الجبهة. وإذا تتبعت الخط الذي يقوده عودة رغم المعارضات الداخلية القوية ربما في الجبهة، ستدرك أن له حتى الآن أغلبية، لكنني أعتقد أن ذلك سيتغير قريبا جدا.

عصابات الجريمة هي المرجعية المجتمعية والسلطة الجديدة التي تبنيها إسرائيل للداخل

○ **كيف تقرأين الخريطة الانتخابية ونحن على بعد أقل من شهر من الانتخابات؟ هل ستحتفظ القائمة الموحدة بمقاعدها الأربعة أم تكسب المزيد؟**

● الحركة الإسلامية الجنوبية سائرة في طريقها في غياب أي خطاب وطني رادع يردعها، ولن يردعها سوى عودة التجمع الوطني للحلبة السياسية بقوة

علينا أن نقرر نحن أن نترك الكنيست قبل أن نسمح لذلك في الحدوث

وبقراءة متجددة لما يجري إسرائيليا وفلسطينيا، لن يردع خطاب التوصيات ودعم الحكومات الاستيطانية رادع داخلي أخلاقي، فقط قوة الشارع وقوة الخطاب الوطني. حسب كل الاستطلاعات، ستجتاز الموحدة نسبة الحسم وهي تعتمد على حالة من الضياع في الشارع أكثر من أنها تعتمد على قناعات مصوتيها. هناك من يخلق هذا الضياع ثم يعتمد عليه. وإزاء حالة التبعية الاقتصادية والمؤسساتية يعتمد الداخل على الحالة المعنوية الفلسطينية والعربية ونحن في مرحلة انهيار الحركة الوطنية الفلسطينية الإبراهيمي» تحتاج القضية الفلسطينية بعده لإحياء قيمتها الرمزية والسياسية.

○ **ألا ترين أن إسرائيل قد تنبهت لخطورة الوحدة بين القوى السياسية العربية في الداخل الفلسطيني وبدأت تستخدم أساليب شريرة غير تقليدية لتفتيت العرب وتحويلهم إلى أفراد وجماعات متناحرة مثل ارتفاع مستوى الجريمة ونشر المخدرات؟ من المستفيد الأكبر من هذا التشرذم؟**

● أنا من الذين يؤمنون بالوضوح، وبأن الوضوح هو دائما من مصلحة الضحية ومن مصلحة الضعيف، نحن بحاجة للوضوح لأن القوي هو الذي يكسب من الالتباس، ما يحدث هو فرز سياسي نحتاجه، لأن تجربة المشتركة وأدت النقاش والاختلاف السياسي الجوهري لصالح الوحدة، والوحدة هي لا شيء لشعب يناضل من أجل بقائه إذا لم تستند على مشروع مقاومة وطني واضح، وهي خطيرة إذا استندت على تمييع لمعنى الوطنية وتبييض لسلوكيات ذليلة ومتنازلة تحت غطاء الوحدة. لبيد نفسه، الذي تخلوا عن التجمع من أجله، قال قبل 7 أعوام «دعهم يتوحدون فإن هذه الوحدة ستجعلهم يركزون – على القضايا المدنية ويبتعدون عن خطابهم القومي». هذا التصريح أدرك أن الوحدة للأحزاب العربية ستجلب تنازلا وطنيا وليس تماسكا وطنيا. بعدها تغيرت حاجة الأحزاب الصهيونية و«تطورت» وأصبحت في حاجة لدعم مباشر لائتلافاتها الصهيونية وهنا ظهر مرة أخرى التجمع الوطني الديمقراطي كعائق لهذه التوصية. الشارع الإسرائيلي نفسه يرفض توصية حزب قومي وطني فلسطيني كالتجمع لكنه يرضى بتوصية المعتدلين المقبولين إسرائيليا.

وصحيح ما تقوله عن الجريمة، عصابات الجريمة هي المرجعية المجتمعية والسلطة الجديدة التي تبنيها إسرائيل للداخل، وسلطتها «التوحيدية» هذه هي ليست أقل خطورة من قدرتها على الشرذمة والنكوص للمجال الفردي. لكن مرة أخرى، السؤال هو ليس لماذا تريد إسرائيل ذلك، بل لماذا لا نقوم نحن ببناء مرجعياتنا الوطنية، مفهوم أن تكون عصابات الجريمة ضد ذلك، لكن ليس مفهوما أن تكون قوى سياسية «وطنية» ضد ذلك.

○ **والآن أين تسير الأمور؟ وكيف تتوقعين رد فعل الجماهير العربية هذه المرة؟ وما هي قراءتك لمستقبل حزب التجمع والقوى الوطنية التي تعتبر نفسها جزءا من الشعب الفلسطيني وتتبنى رؤية وطنية شاملة وتعتبر نضالها جزءا لا يتجزأ من نضال الشعب الفلسطيني ككل.**

● الفلسطينيون في الداخل في غالبيتهم محجومن عن هذه اللعبة، وحان الوقت لكي يتراجع الكنيست عن الدور الكبير والمهم الذي كان يلعبه حتى وقتنا هذا. الوعي الوطني عليه أن يدرك أن إسرائيل خلال السنوات العشر الأخيرة تغيرت وتطرفت بشكل كبير، أو بالأحرى تغوّلت، تحولت من رجل أبيض استعماري يلبس ربطة عنق ويستدير لكي يوقع في الخفاء على أوامر طرد وتطهير وإبادة إلى رجل يحمل بندقية ويطلق الرصاص علنا. وزير الأمن الداخلي أمر مؤخرا إطلاق الرصاص في الشارع. إنه شعبوي فاشي، خلال شهرين فقط قدم هذه السنة 33 ألف طلب جديد للحصول على تصاريح حمل السلاح، المستوطنون يقودون الجيش وتحركاته في الضفة، المجتمع الإسرائيلي الآن هو مجتمع عسكري ليس فقط من قيمه وأراؤه بل في بطولاته وتغنياته، الذي يطلق الرصاص هو البطل، ولا يهم مدى التهديد الفعلي الذي يشكله الفلسطيني، وعلى هذا يتربى الطفل الإسرائيلي. الصراع ضد الفلسطيني هو ليس كسرا للروتين بل هو الروتين، الحياة العادية هناك هي أن تخوض صراعا وأن تشعر بالتهديد من رؤية الفلسطيني لأنك لا تريد أن تراه أصلا، وأن تقوم بإطلاق النار عليه. إحدى حصانات المجتمع الإسرائيلي وقدرته على استيعاب هذا الكم من العنف والقمع هي أنه تمت هندسته على استيعاب الصراع والحياة كعملية متواصلة من «التهديد» والـ«دفاع» أي القمع والقتل.

هذا هو الروتين بالنسبة للإسرائيليين وهم لا يرون هذه الحياة غريبة أو حتى مقيتة. لا جسم سياسيا يعطي هذا المجتمع خيارا آخر، الجميع في إسرائيل يرى في هذا الخيار ضرورة حياة وليس اختيارا سياسيا، وهذا ما يجعل المجتمع في إسرائيل مجتمعا عنيفا ومتسامحا مع القتل اليومي، ليست الدولة هي فقط العنيفة، دعم عودة والطيبي للبيد يعني أننا نحن أيضا نتسامح مع قتل شعبنا.

المرحلة السياسية المقبلة ستقوم على: أولا الفرز بين قوى تريد أن تتفاهم مع إسرائيل عبر تنازلات مستمرة، وقوى سياسية ترى أن تحدي الساعة هو في بناء إجماع وطني مقابل ومواجه للدولة العبرية ومجتمعا وطنيا متماسكا يبدأ في البحث عن حلول داخلية لقضاياه وفي بناء مرجعيات وطنية متماسكة وفي تجنيد الطبقة الوسطى لدعم بناء مؤسسات وتمويل حركات شعبية ضمن خطاب سياسي مقنع. ضمن هذه العملة سيتم تحجيم العمل البرلماني والكنيست لأن هذا الحيز الإسرائيلي لم يعد يحتمل الحراك السياسي الوطني والتحدي الذي اعتدناه والذي يجب أن يكون جزءا من كل حيز سياسي، وألا فعلينا أن نترك الحيز الذي لا يتيحه ونبحث عن بدائل.

المستوطنون يقودون الجيش وتحركاته في الضفة

حريات

انتهاكات لا تتوقف لحرية الإعلام والرأي في العراق

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تتعرض وسائل الإعلام والعاملون فيها في العراق إلى حملة جديدة واسعة من الاستهداف، لإسكاتها عن كشف الحقائق والفساد المستشري، أو لمنع انتقاد أحزاب السلطة أو المسؤولين الحكوميين.

ورغم إطلاق تسمية «السلطة الرابعة» على الإعلام، فالواقع يؤكد يوميا بأن الإعلام والعاملين فيه، هو الحلقة الأضعف في المشهد السياسي العراقي منذ 2003 حيث أصبح الضحية الأولى للصراع بين الأحزاب والفصائل المسلحة.

وجاءت آخر الانتهاكات لوسائل الإعلام قبل أيام، عندما اقتحم محتجون من أتباع التيار الصدري مكتب إحدى القنوات المحلية وسط بغداد، بعد اتهام إدارة القناة بـ«الإساءة إلى جيش المهدي» وهو الجناح العسكري للتيار الصدري.

وأثار تعليق مقدمة البرامج السياسية في قناة «الرابعة» منى سامي، غضب أنصار التيار، حين قالت إن «جيش المهدي أقدم على بيع سلاحه للقوات الأمريكية، بعد أحداث عام 2004» في إشارة إلى المواجهات التي جرت آنذاك بين جيش المهدي والقوات الحكومية المسنودة بالقوات الأمريكية.

وقام المهاجمون بطرد منتسبي القناة وتحطيم الأثاث والأجهزة فيها وتعطيل بثها عدة أيام، فيما اكتفت القوات الأمنية المهاجمين من دون محاولة منعهم، لكونهم ينتمون للتيار الصدري المتنفذ.

وكانت الحادثة مناسبة لإثارة حملة استنكار شعبي وسياسي واسع، باعتبارها استهدافا جديدا لوسائل الإعلام وقمعا لحرية الرأي.

جمعية الدفاع عن حرية الصحافة في العراق، «أدانت استخدام الجهات السياسية جماهيرها لمهاجمة وسائل إعلام، مهما كان توجهها أو أيديولوجيتها ما دامت تعمل وفق أسس دستورية وقانونية» وعدت ذلك مؤشرا على انسحاب خطير للصراع السياسي على حرية التعبير والعمل الصحافي. وهي إشارة إلى ان الحادث يندرج ضمن الصراع السياسي للأحزاب والفصائل. كما أبدت الجمعية استغرابها من «عجز الحكومة عن حماية هذا الحق الدستوري، وتجدد مطالبتها للقائد العام للقوات المسلحة الإيفاء بالتزاماته، وتوفير الحماية اللازمة لكل العاملين في الصحافة والإعلام، لا سيما وان عمليات قمع حرية العمل الصحافي في غضون السنوات الثلاث الماضية بلغت مستويات غير معقولة، يقابله عدم اكتراث واضح من لدن القائد العام للقوات المسلحة الذي تعهد فور وصوله للسلطة بحماية حرية التعبير والصحافة المكفولتين دستوريا».

وتؤكد الجمعية ان «سيطرة الأحزاب السلطوية والمجموعات المسلحة على الفضاء والمساحات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي والإعلام والنشر بكل أشكاله يمثل جزءا من مشكلة قمع حرية العمل الصحافي في العراق، ومنهجا مقصودا لتغييب الصحافة المستقلة وخنقها، ومحاربة جميع الصحافيين الأحرار ممن واجهوا أقسى أنواع التهديد والملاحقة والاغتيالات من قبل المسلحين، بهدف حماية حالة إبقاء سيطرة تلك الأحزاب السلطوية على هذا الفضاء».

أسلوب البلطجة ومنطق القوة

وفي السياق قال النائب الكردي السابق هوشيار عبدالله، في تدوينة على «تويتر» إن «الاعتداء على قناة الرابعة سلوك مخزي ومعيب، ثم أليس من الواجب تواجد قوات أمنية بالقرب من مقرات وسائل الإعلام؟».

وأضاف عبد الله «علما أن المهاجمين لا يعترفون بالقانون أساساً ولا يقيمون وزناً لأية جهة». معتبرا «أسلوب البلطجة ومنطق القوة بأنه السبب في دمار العراق» وختم متسائلا «كيف نثق بأن أصحاب هذه العقول يصلحون حال البلاد؟».

ويذكر ان قناة الرابعة تعود لأحد أطراف الإطار التنسيقي، الذي يضم الأحزاب والفصائل الولائية، وان الهجوم جاء ضمن الخلاف والصراع الحالي مع التيار الصدري على خلفية تشكيل الحكومة الجديدة.

ومن جهة أخرى أفادت مصادر مطلعة، أن جهاز الأمن الوطني في نينوى، اعتقل مدير إذاعة محلية داخل مدينة الموصل، وفق مذكرة قبض قضائية، صادرة بحقه على خلفية التهجم على أحد مديري الدوائر في المحافظة، عبر مواقع التواصل. وجاء الاعتقال بناء على شكوى من مدير المنتوجات النفطية في الموصل، الذي قامت القناة بتوجيه انتقادات له بسبب أزمة شح الوقود في المدينة.

والحقيقة ان استهداف القنوات الفضائية المحلية، ليس جديدا في العراق، حيث وجهت بعض الفصائل المسلحة سابقا، تهديدات طالت مؤسسات إعلامية عربية أبرزها «الحدث» و«العربية» لقيامها بتغطية اقتحام الصدريين للبرلمان في شهر تموز/يوليو الماضي. وقبل ذلك قامت مجاميع مسلحة أخرى بمهاجمة قناة «دجلة» وإحراقها، بحجة عدم احترام مشاعر الشيعة في إحدى المناسبات الدينية، وغيرها الكثير من حوادث الاستهداف لوسائل الإعلام.

وفي حادث آخر، أدان مركز النخيل للحقوق والحريات الصحافية، استهداف منزل الإعلامي قصي شفيق، في تموز/يوليو الماضي، معبراً عن قلقه إزاء استمرار استهداف الصحافيين ومحاولات تكميم الأفواه. وذكر المركز في بيان: «تابعنا بأسف بالغ الهجوم الذي طال منزل الإعلامي الدكتور قصي شفيق فجرا في العاصمة بغداد والذي أسفر عن إصابة والدته ونجله».

كما أصدر المركز بيانا آخر، دعا فيه إلى احترام دور الإعلاميين وإبعادهم عن المضايقات خلال تغطية أحداث التظاهرات، معبرا عن «القلق البالغ لتعرض عدد من الصحافيين والإعلاميين لإصابات ومضايقات خلال تغطيتهم للتظاهرات التي تشهدها المنطقة الخضراء ومحيطها».

ودعا المركز إلى «ضرورة عدم التعامل مع الصحافي كخصم سياسي واستخدام لغة الكراهية والتحريض ضده وضد المؤسسة التي يعمل فيها، ما يعرض حياتهم وذويهم إلى الخطر في ظل الظروف المتوترة التي تشهدها البلاد».

انتهاكات الإعلام في كردستان

ولم يكن إقليم كردستان العراق بعيدا عن استهداف الإعلام، حيث أعلن جهاز مكافحة الإرهاب في السليمانية، عن اعتقال رئيس تحرير مؤسسة «بوار ميديا» ويسي قشقاي ومدير أخبارها ابراهيم علي، أثناء عودتهما من السليمانية إلى حيث يقيمان في أربيل، الأحد الماضي. وعلمت جمعية الدفاع عن حرية الصحافة في العراق من منسقها في الإقليم أن الزملاء كانوا في مهمة صحافية في السليمانية، وتوجهوا لها الأحد الماضي، وأثناء العودة في الطريق إلى أربيل، صادفتهم إحدى مركبات عناصر جهاز مكافحة الإرهاب واعتقلتهم، على خلفية نشر الزميل ابراهيم علي مقالا صحافيا، تزامنا مع ذكرى وفاة زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني جلال طالباني تحدث فيه عن الفساد والاغتيالات في السليمانية التي تنفذ بأوامر من قيادات حزب الاتحاد الوطني. وقد استنكرت مؤسسة «بوار ميديا» في بيان، اختفاء الصحافيين وإغلاق هواتفهم، فيما عدت اعتقالهما انتهاكا لحرية العمل الصحافي والإعلامي في البلاد، وإرهابا من نوع آخر يمارس ضد أصحاب الرأي والقلم.

وفي السياق ذاته، منعت القوات الأمنية في أربيل ثلاثة فرق صحافية من تغطية حادثة اغتيال ضابط في انفجار سيارة ملغومة يوم الجمعة الماضي في أربيل، وحطمت معداتهم، واعتدت على آخرين بالضرب.

ونقلت «جمعية الدفاع عن حرية الصحافة» عن مراسلها، ان القوات الأمنية في مكان الحادث، منعت الصحافيين من التغطية واستولوا على معداتهم، وكسروا بعضها. ولفت إلى ان عناصر أخرى من القوة قامت بالاعتداء بالضرب على مصور «روداو» أحمد يونس الذي كان مع زميله المراسل فرهاد دولاماري يقومان بتغطية الحادث.

وأعربت جمعية الدفاع عن حرية الصحافة في العراق عن قلقها من إصرار القوات الأمنية على منع وسائل الإعلام من أداء مهامها، عادة ذلك انتهاكا لحرية العمل الصحافي والإعلامي في الإقليم. كما أشرت الجمعية في التقارير الأخيرة، ارتفاع وتيرة العنف في الإقليم ضد الصحافيين، وتجدد مطالبتها للسلطات الحاكمة، بايقاف الاعتداءات على الفرق الإعلامية.

سلبيات المنظومة التربوية

وفي شكل آخر لقمع حرية الرأي والتغطية الإعلامية، أصدرت مديرية تربية البصرة توجيها إلى إدارات المدارس كافة بمنع أي موظف أو معلم، الكشف لوسائل الإعلام أو النشر في مواقع التواصل الاجتماعي، عن القضايا ومشاكل المؤسسة التربوية، لمنع اطلاع الرأي العام عليها. وجاء هذا التوجيه على خلفية تغطية وسائل الإعلام، تظاهرات المتقاعدين من الكوادر التربوية في البصرة، للمطالبة بإطلاق مستحقاتهم المالية، وعجز المسؤولين عن حل قضاياهم، الأمر الذي أثار غضب الجهات المعنية، وأصدرت التعميم الذي هدد بعقوبات لكل من يكشف سلبيات المنظومة التربوية.

واعتبرت الجمعية تصرف مديرية تربية البصرة، مخالفا للدستور الذي كفل حرية التعبير عن الرأي، داعية إلى الكف عن وضع العراقيل لعمل وسائل الإعلام بهدف تضليل الرأي العام، وتكميم الأفواه.

وازاء تدهور أوضاع الإعلام والعاملين فيه في العراق، أصدرت منظمة «مراسلون بلا حدود» الدولية، تقريرها السنوي العشرين الخاص بالتصنيف العالمي لحرية الصحافة. وحسب مؤشر المنظمة، فإن «العراق تذيل قائمة الدول العربية في حرية الصحافة، حيث حل بالمركز 172 بعدما كان في المركز 163 العام الماضي» وهو ما يؤكد استمرار تدهور أوضاع حرية الإعلام والرأي في العراق.

وهكذا فإن قدر وسائل الإعلام في العراق من قنوات وصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي، ان تبقى هي العاملون فيها، الهدف الرئيسي للأحزاب والفصائل، في صراعها للاستحواذ على السلطة ومغانمها، عبر مصادرة حرية الرأي والقلم وقمع الرأي المعارض وتكميم الأفواه، من أجل تضليل الشارع وتمرير أجنداتها، فيما تقف الحكومة عاجزة عن توفير الحماية للسلطة الرابعة.

محكمة عراقية خاصة بالقضايا ضد الصحافيين

قرر مجلس القضاء الأعلى في العراق إنشاء محكمة خاصة للنظر بالقضايا المرفوعة ضد الصحافيين، مع حظر استجواب أي صحافي من دون وجود ممثل عن نقابته، وذلك بالتزامن مع تصاعد كبير لأعداد القضايا المرفوعة ضد الصحافيين في المحاكم، عقب انتقادهم للفساد وسلبيات الحكومة وبعض الأحزاب الحاكمة، وسط دعوات لإصدار قانون يحمي عمل الصحافيين ويرسم حدود تحركهم وحقوقهم في مواجهة التهديد برفع الدعاوى القضائية ضدهم.

وذكر بيان لمجلس القضاء الأعلى في بغداد قبل أيام، أن المجلس قرر الاستجابة لطلب نقابة الصحافيين العراقيين بتشكيل «محاكم نشر» في مركز محاكم الاستئناف تختص بالنظر بالشكاوى الخاصة بالصحافيين المتعلقة بأعمالهم، كما أكد ضرورة إبلاغ النقابة عند تقديم أي شكوى بحق أحد الصحافيين.

ويأتي القرار بالتزامن مع تزايد الدعاوى التي تعرض فيها صحافيون عراقيون لعمليات استجواب واعتقال وسجن بسبب قضايا النشر، حيث بلغ عدد الدعاوى التي أقيمت ضد الصحافيين العراقيين خلال العام الحالي أكثر من 30 شكوى قدمت للمحاكم العراقية وفي مختلف محافظات البلاد.

وفي السنوات الأخيرة ارتفعت وتيرة الدعاوى القضائية بحق الصحافيين العراقيين، أغلبها مقدمة من سياسيين ومسؤولين بالحكومة تعرضوا إلى انتقادات من وسائل الإعلام حول قضايا فساد أو فشل إداري.

ويرى محامون مختصون بقضايا الدفاع عن حقوق الصحافيين، ان خطوة المحكمة الاتحادية العليا، بتشكيل محكمة مختصة في كل محافظة، ستمنح الإجراءات القضائية التي تؤخذ بحق الصحافي شفافية أكبر، كما أن القاضي في تلك المحكمة سيكون مختصاً بالتعامل مع مثل هذا قضايا، إضافة إلى إن قرار المحكمة قد يحد من عشوائية أوامر الاستدعاء والاعتقال التي تطال الصحافيين في الوقت الحاضر.

وانسجاما مع هذا التوجه كان رئيس «مرصد الحريات الصحافية» هادي مرعي، قد دعا إلى دعم الصحافيين والصحافيات عبر القانون وحمايتهم من التضييق على حرية النشر والحصول على المعلومة.

وعد مرعي تدخل نقابة الصحافيين العراقيين واللجان البرلمانية والحكومة لدعم حرية التعبير بـ «المهم والضروري خصوصا في المرحلة الحالية».

وحسب المرصد، فإنّ الفترة ما بين أيار/مايو 2021 وأيار/مايو 2022 شهدت «تنامياً في نفوذ الأطراف التي لديها مصلحة في معاداة حرية التعبير وتقويض مساحة العمل الصحافي في العراق». فيما كشف عن اضطرار «عشرات الصحافيين إلى الهجرة من جنوب ووسط العراق إلى إقليم كردستان أو إلى بلدان أخرى، إثر تهديدهم وملاحقتهم وما تعرض له زملاؤهم».

وليس بعيداً عن هذا الإطار وضمن الانتقادات لقمع حرية الرأي والتعبير، أصدرت شبكة تضم عشرات المحامين العراقيين، في حزيران/يونيو الماضي، مذكرة احتجاج على حالات التضييق التي تطال حرية التعبير والنشر، متهمين أعلى سلطة قضائية في البلاد بـ«مخالفات قانونية» تتعلق بمذكرات إلقاء قبض على إعلاميين ومواطنين عراقيين.

واتهمت «شبكة المحامين المتطوعين للدفاع عن حرية التعبير» مؤسسات عراقية بينها القضاء، بـ«إصدار أوامر اعتقال ومنع وفصل بحق إعلاميين ومواطنين عراقيين» مشيرة إلى أن هذه الأوامر «تصادر حرية التعبير» التي كفلها الدستور العراقي ومعايير حقوق الإنسان الدولية.

وفي بيان نشرته دانت الشبكة، التي تضم 130 محامياً، أي انتهاك لمبدأ سيادة القانون، ورفضت التعامل مع قضايا الاختلاف في الرأي خارج الأطر القانونية.

وجاء بيان الشبكة اثر اتهام رئيس مجلس القضاء الأعلى، فائق زيدان، الإعلامي، سرمد الطائي، بـ«الإساءة» للقضاء، بعد مداخلته في برنامج حواري بث على قناة العراقية، وأثارت المداخلة ردود فعل غاضبة من القضاء، أدت إلى إصدار مذكرة إلقاء قبض بحقه.

ويكفل الدستور العراقي، حق التعبير عن الرأي ويلزم كافة السلطات بحماية حرية الرأي والتعبير، الا ان الصحافيين والإعلاميين وفي غالبية المحافظات العراقية، يتعرضون إلى الاعتداء وتكميم الأفواه ورفع الدعاوى الكيدية في المحاكم العراقية التي أدت بعض الحالات إلى سجن الصحافي وخروجه بكفالات كالمتهمين والمجرمين.

وكانت منظمة «هيومن رايتس ووتش» الدولية أكدت في تقرير أصدرته حول قمع التظاهرات المطالبة بالإصلاح في العراق، انها أشرت «تصاعدا في انتهاكات الحق في حرية التعبير وسط الاحتجاجات الواسعة النطاق، يُبين ضرورة قيام الحكومة العراقية الجديدة بإصلاح قوانينها». وأضاف التقرير «تستخدم السلطات العراقية، بما في ذلك سلطات إقليم كردستان، بشكل روتيني قوانين فضفاضة الصياغة لتوجيه اتهامات جنائية ضد الأشخاص الذين يعبرون عن آراء لا تعجبهم».

ودعا التقرير «برلماني العراق وإقليم كردستان، إلى استبدال مواد التشهير الجنائي في قانون العقوبات بعقوبات تشهير مدنية وتعديل القوانين التي تحد من حرية التعبير تماشيا مع القانون الدولي» وبما يتناسب مع تعهدات مصطفى الكاظمي رئيس الوزراء، بمعالجة القيود المفروضة على حرية التعبير.

بلقيس والي، الباحثة في قسم الأزمات والنزاعات في منظمة هيومن رايتس ووتش، قالت «إن جميع الصحافيين والنشطاء العراقيين الذين قابلناهم أكدوا إنهم يتلقون تهديدات بانتظام، عادة من مصادر مجهولة عبر الهاتف أو وسائل التواصل الاجتماعي، وأحيانا من قوات الأمن أو مسؤولين حكوميين».

وقالت والي: «نظرا الى انعدام الثقة بين المجتمع المدني ووسائل الإعلام من جهة والسلطات من جهة أخرى، على الحكومة العراقية والسلطات الكردية إصلاح القوانين لجعلها تتماشى مع المعايير الدولية والغاء الأحكام المبهمة».

ويبدو ان ضغوط المنظمات الصحافية ومنظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية، ساهمت في قرار تشكيل المحكمة الخاصة بالقضايا المرفوعة ضد الصحافيين في العراق، وسط القناعة بان قرار إنشاء محكمة الصحافيين يبقى ناقصا بدون إصدار قوانين وتعليمات تنظم عمل الصحافيين وحدود تحركاتهم وحقوقهم، تختلف عن القوانين الجنائية التي يتعرض لها الصحافي حاليا.

كتب

«حجاب الساحر» رواية المصري أحمد الشهاوي: تكشّف سيكولوجية المرأة ومعاناتها شرور الذكور

المثنى الشيخ عطية

يسحرُنا «العقل الجميل»، لعالم الاقتصاد جون ناش، عندما يوضع في مرآة فنّ الرواية والسينما؛ تسحرُنا عقول البشر الأكثر حساسيّة فينا لما يعترينا من شرور وآثام، فتنبِّهنا إليها بموتها وقيامتها كما اليعازر، بمسيح الروايات، خلال فصامها الذي يصل إلى تداخل الذكر والأنثى الجميل في «مستر نون» نجوى بركات. ويسحرُنا ما بين أيدينا حقاً من «حجاب السّاحر»، رواية الشاعر المصري أحمد الشهاوي، الأولى، التي تعالج موات العالم بشرور سحر شياطين الإنس، وقيامته الغريبة في محاولة الخلاص، في رحلاتها السندبادية السحريّة الصوفيّة إلى الجزر العجيبة، كما لو كانت داخل ليالٍ أخرى جديدة بعد ليالي شهرزاد، واكتشافها بعد كل هذا العناء أن الخلاص هو البقاء في شرْك سحر الفصام كعقلٍ جميل يسحرُنا وينجينا من السحر، عبر شخصيتها المحورية الآسرة شمس حمدي، العاشقة المعشوقة التي تضربها شرور الأقارب، والإلهة إيزيس، في ارتقاء مصرية سِخمت، والإلهة إيزيس، في ارتقاء شبحي يمكن لخيلة القارئ أن تخلقه، إلى كونها مصر المسحورة بشياطين ناسها كذلك:

«لم تكُن شمس نبيةً ترعَى غنماً، ومن ثم تقُود أمماً بعد ذلك، لكنّها كانت ترى أضواء بيضاء باهرةً وتشعر بالطمأنينة، وهي تخرُج من جسدها متى شاءت، وفي مرةٍ اتصلتْ بي وقالتْ: «الآن سخْمت تتكلم»، الصّوت هو الصّوت، لكن الكلام ليس كلام شمس، إنه كلام ربّة مصرية قديمة».

وفي مرة ثانية حدّثتني هاتفياً، ونبّهتني أولاً إلى أنّ المتحدثة هي إيزيس، وقالت: «أنا في رحلة رُوح، الناس يعطشُون في البراري، وأنا عطشى على شطّ النيل، عُدتُ من مرقدي إلى زمنكم لأبْعدَ الشرّ، وأشيعَ السّلام، وأجمع ما تناثر أو تفرّق على هذه الأرض، التي تستحقُّ أفضل ممّا هي عليه الآن». وصارت ترى العالم بطريقة أفضل من ذي قبل، وأنها متوازنة، وتعيش في فرح ونشوة، وأنها الأفضل في هذه الدنيا».

«حجاب السّاحر» عمر الحديدي، بطلها والراوي الأول لها، وأحمد الشهاوي كما يبدو في الكثير الكثير من فلسفته الشعرية الصوفية في فنّ العشق، روايةٌ تتجاوز ما اعتيد عليه في روايات معالجة الفصام، حتى في روايات الواقعية السحرية، إذ تعالج السّحر بالسحر نفسه وبأهم ما يحمل السحر من دلالات في مقدمتها اللغة والحروف، التي تجد عمق وامتدادات دلالاتها في لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية بمعالجة السحر. وإذ هي كذلك لا تنطلق من إدانات عمل السحر وكشف خداعات السحرة، وإن فعلت ذلك، وإنما بمدّ المعالجة إلى القيام برحلات سحرية مدهشة لفكّ ربط المسحور (المصاب بالفصام)، تذهِل القارئَ وتُغنيه بما يفتح الشهاوي من سجلّات تغوص في عوالم ما رحل وما بقيت آثاره كامنةً وفاعلةً في حياة أهل الواقع الحاضر، ومن سجلّات ثرية كشافةٍ لأدوات ما يحيط بعالم السّحر، من سحرةٍ ورقع تُكتب عليها الطلاسم وكتب تصل إلى كُتّاب السّحر العظيم لدى ملكِ الجنّ في جزيرة سقطرى اليمنية. ومن أشجارٍ تصل إلى شجرة دم الأخوين فيها، وعطورٍ تصل إلى مغامرات الحصول على العنبر من بطون الحيتان، ومن أزهارٍ تتقدّمهنّ زهرة اللوتس المقدّسة في رمزها للحياة والتجدّد لدى المصريين القدماء كملكة متوّجة، وأحجارٍ كريمة ليس أقلّها الزمرد والزبرجد واللآلئ، وسجادات تضيء الوانُها بالطاقة الإيجابية. وأماكنَ ومدنٍ وقرى وأنهارٍ ومحيطاتٍ مثل المحيط الهندي أو بحرِ الظلمات، والعديد العديد من العوالم الغنية بتفاصيلها التي لا تُروى كتسجيل يودي بارتقاءٍ إلى السّرد الذي يحييها، من خلال أحداث الرواية والحكايات التي تتفتح فيها كما ألف ليلة وليلة. ويزيد الشهاوي ذلك بإدخال عيشه، ومعرفته بفن العشق، ليخلقَ رواية حبّ يقوم فيها العاشق بما عليه من عشق خارج مفهوم الواجب، بجواب الأرض والسماء والمجرات لينقذ معشوقته وعاشقته من شرور ما علق بها من أدران أفعال البشر؛ ويرتقي فيه بذلك إلى التجرّد من أنانية الذات، والذوبان في ذات المعشوق، في ظلّ عالَم شرير بارد يكاد الحبّ فيه أن يضمحلّ، وتكاد الرجولةُ العميقة النبيلة فيه أن تنسحق بسطحية الذكورية. وأكثر من ذلك يزيد الشهاوي عمل يستوحي طاقته من فيزياء الكوانتوم؛ يشكّل أحمد الشهاوي روايته في بنيةٍ يتتالى فيها سبعة وعشرون فصلاً، تركت اكتمالها الرباعيّ إلى مضاعفات الرقم المقدّس سبعة للقارئ، ويفتتحها بفصل: «الإلهة اللبوة في بيت شمس حمدي»، المقصود كما يبدو بدقّة، من حيث تكوينه كأحد أهم عناصر الرواية، ليس في حمل جانب الشخصية الأخرى، الإلهة سخمت، التي انضمت إليها شخصية شمس فحسب، وإنما أيضاً في حمله الجانب الفلسفي الفني في الرواية. وهذا يتمثل في قلب المفاهيم التي تُراكمها وتُكرّسها الإيديولوجيات، وتُجسّدها في مصطلحاتٍ وحِكَمٍ وأمثالٍ توجّه حياة الكثير من الناس، حول الحياة والمرأة بشكل خاص، وبما تتم معالجته فيما يتفاعل داخل الشخصية من أحداث تمر بها. فشمس العاشقةُ التي تمتلك ما لا يمكن تخيّله من فنون ممارسة الحب، ترتقي من لفظ «اللبوة» المعبّر عن سبةٍ تنال من المرأة الموصوفة به كلعوب خبيثة توقع بالرجال، في الحياة المصرية الحالية، إلى الإلهة سخمت التي تُصورها الفنون الفرعونية كسيّدة برأس لبؤة جالسة على العرش أو واقفة تحمل بيدها مفتاح الحياة، في مكانتها كأحد أعضاء ثالوث منف العائلي (بتاح، سخمت، نفرتم) وكإلهة أنثى من القابها: السيّدة العظيمة، محبوبة بتاح، عين رع، سيّدة الحرب، سيّدة الأرضين، مصر العليا والسفلى، والجبّارة، القوية.

وداخل هذه العناوين التي تعكس شخصية شمس وتطوّرها في حياة عشقها ومرضها الفيزيائي بسرطان الرحم، ومرضها النفسي بالفصام، تتجلى فلسفة الشهاوي الوجودية القائمة كما يبدو على وحدة وصراع الأضداد، وعلى «التشابك الكمي» الذي تعكسه عناوين من مثل الجنون القمري، كأنها لم تكن، أين هي بالضبط، ويمكن أن تسميها اللاوجود، وتتقاطع هذه الفلسفة مع لغته الشعرية الصوفية الثرية بالتراث الصوفيّ ولغة القرآن.

في حجابه الذي يغلّف منظومةً سرده، يتكشّف السّرد عن راوٍ عليم هو عمر الحديدي الذي كان ساحراً قبل أن يتحول إلى كاتب وشاعر، يسرد عن امرأة لا مثيل لها هي شمس حمدي، معشوقته التي عانت من اغتصاب عمّها لها وهي طفلة، وأصابها زوج أختها وشريك والدها في مصنعه غازي الشحات، وللاسم دلالته، بشرور السّحر، والدسائس التي تلوّث سمعتها، ذكْرُها، فهي دائماً ما تقول لي: «لكلّ شيء آفة، وآفة العالم النسيان»؛ وكي تقرأ هي رواياتها في حياتها، قبل أن تذهب إلى عالمها السري والغامض، حيث تعيش ما تبقّى من عمرها في رحاب ربّات قديمات يحيين في غرفتها، تتقدمهن سخمت الإلهة اللبؤة، التي تُلقّب بالمُنتقمة من المخطئين، ويركبن سيارتها الجديدة التي أسهم أبوها الثري في شرائها».

في حجابه الذي على القارئ كشفه إن أراد المزيد من متعة عيش الأعمال الإبداعية، بالفصام داخل القراءة تجزّءاً من ذات إلى ذواتٍ، والتوحّد، والسير باتجاهين متعاكسين في ذات الوقت إن أراد إبداع عمل يستوحي طاقته من فيزياء الكوانتوم؛ يشكّل أحمد الشهاوي روايته في بنيةٍ يتتالى فيها سبعة وعشرون فصلاً، تركت اكتمالها الرباعيّ إلى مضاعفات الرقم المقدّس سبعة للقارئ، ويفتتحها بفصل: «الإلهة اللبوة في بيت شمس حمدي»، المقصود كما يبدو بدقّة، من حيث تكوينه كأحد أهم عناصر الرواية، ليس في حمل جانب الشخصية الأخرى، الإلهة سخمت، التي انضمت إليها شخصية شمس فحسب، وإنما أيضاً في حمله الجانب الفلسفي الفني في الرواية. وهذا يتمثل في قلب المفاهيم التي تُراكمها وتُكرّسها الإيديولوجيات، وتُجسّدها في مصطلحاتٍ وحِكَمٍ وأمثالٍ توجّه حياة الكثير من الناس، حول الحياة والمرأة بشكل خاص، وبما تتم معالجته فيما يتفاعل داخل الشخصية من أحداث تمر بها. فشمس العاشقةُ التي تمتلك ما لا يمكن تخيّله من فنون ممارسة الحب، ترتقي من لفظ «اللبوة» المعبّر عن سبةٍ تنال من المرأة الموصوفة به كلعوب خبيثة توقع بالرجال، في الحياة المصرية الحالية، إلى الإلهة سخمت التي تُصورها الفنون الفرعونية كسيّدة برأس لبؤة جالسة على العرش أو واقفة تحمل بيدها مفتاح الحياة، في مكانتها كأحد أعضاء ثالوث منف العائلي (بتاح، سخمت، نفرتم) وكإلهة أنثى من القابها: السيّدة العظيمة، محبوبة بتاح، عين رع، سيّدة الحرب، سيّدة الأرضين، مصر العليا والسفلى، والجبّارة، القوية.

وداخل هذه العناوين التي تعكس شخصية شمس وتطوّرها في حياة عشقها ومرضها الفيزيائي بسرطان الرحم، ومرضها النفسي بالفصام، تتجلى فلسفة الشهاوي الوجودية القائمة كما يبدو على وحدة وصراع الأضداد، وعلى «التشابك الكمي» الذي تعكسه عناوين من مثل الجنون القمري، كأنها لم تكن، أين هي بالضبط، ويمكن أن تسميها اللاوجود، وتتقاطع هذه الفلسفة مع لغته الشعرية الصوفية الثرية بالتراث الصوفيّ ولغة القرآن.

في حجابه الذي يغلّف منظومةً سرده، يتكشّف السّرد عن راوٍ عليم هو عمر الحديدي الذي كان ساحراً قبل أن يتحول إلى كاتب وشاعر، يسرد عن امرأة لا مثيل لها هي شمس حمدي، معشوقته التي عانت من اغتصاب عمّها لها وهي طفلة، وأصابها زوج أختها وشريك والدها في مصنعه غازي الشحات، وللاسم دلالته، بشرور السّحر، والدسائس التي تلوّث سمعتها، من أجل الاستيلاء على المصنع. ويتداخل سرد عمر مع سرد شمس بسلاسة تتداخل مع اختلاف الزمن طيلة الرواية وبما يمنحها الحيوية والتشويق والتنوع.

وفي هذا الحجاب الذي يكشف عن إيمان عمر الحديدي بردّ المظالم وعدم ترك الظالم دون عقاب، وفق فلسفة العين بالعين والسنّ وبالسنّ، تجري الرواية بتشويق عميق، يتضمّن الأبعاد النفسية واللغوية في مسألة تمس وتكشف نظرة المجتمع الذكوري إلى المرأة كوعاء للإنجاب، وتتمثل في تجربة إصابة شمس بسرطان الرحم، واستئصال رحمها، ومناقشة هذا، بجمع شمس لتسع نساء يبدين آراءهنّ التي تتكشّف فيها نظرة المجتمع ونظرة المرأة إلى نفسها. كما يتضمّن التشويقُ محاولة عمر إنقاذها بفكّ ربط السحر وكشف الجاني، وتشويق المعلومات الثرية عن عوالم السحر بسحر اللغة والكشف، إلى ختام إبقاء الرواية مفتوحةً بما يثير تساؤل القارئ عن مصير شمس، داخل الرواية وخارجها، حيث «لا ينسى عُمر قولها عندما التقته أوّل مرة: «أنا لحنٌ لم يُعزَفْ بعد»، «أنا امرأةٌ لن تشهدها مرتين أبداً»، «أنا امرأة تُخْلَقُ مرّة واحدة ولن تتكرّر أو تعود»، ويؤمن أنها ستتركُ بصمتَها على ما هو قادم.

أحمد الشهاوي: «حجاب الساحر»
الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 2022
344 صفحة.

«سوداد (هاوية الغزالة)» رواية الفلسطيني فاروق وادي: أزمة تشكيل الهوية خارج حدود الوطن الأم واللغة

سارة سليم

يقول الكاتب الفلسطيني فاروق وادي في روايته «سوداد (هاوية الغزالة)» إن «النجوم لا تضيع مهما اتسعت رقعة السماء!». قد تبدو عبارته هذه حكمة تنطبق على كل شيء، لكنه أتى على ذكرها ضمن عمل روائي كان آخر ما كتبه قبل أن يغادر دنيانا، وكأنه أدرك أن روايته لن تضيع فهي الآن في سماء فلسطين وقد انطلقت من سمائها وفي معرضها للعالم بأسره. لابد أنه اطمأن أخيرا أن الرواية لن تضل طريقها ما دامت وصلت حيث انطلقت حكايتها، حكاية فلسطين التي تذكرنا بمقولة للشهيد ناجي العلي، يقول فيها: «أرسم كي أصل فلسطين». وها هو فاروق وادي يكتب كي يصل فلسطين، فالكاتب الحقيقي هو الذي يعيش ليكتب، متماهيا مع فعل الكتابة الذي يصبح مع الوقت ذا صلة روحية به وكأنه محكوم وإياه بخيط رفيع يصعب تخيل أنه بالفعل موجود لكنه كذلك، إذ تصبح الكتابة سبيله لقول ما يريده بالطريقة التي يتمناها، وهكذا فإن كل شيء في قانونه يؤدي بالضرورة لها.

قرأت مرة عبارة للشاعر الأمريكي بيلي كولينز يقول فيها إن: «الأغصان العارية في الشتاء، ليست إلا شكلا من أشكال الكتابة»، هذه الجملة على بساطتها خطيرة في مقاصدها، إذ تقودني إلى عبارة في رواية «سوداد» لوادي تقول: «كان الكون برمته، بكل هيبة الصمت فيه، يصيخ السمع للكلمة الأولى التي يمكن أن تقال في قصة عشق ستكبر.. في قصيدة حب ترددها الريح الجذلى على امتداد الزمان والمكان».

في «سوداد» نقترب كثيرا من الشعر، إذ نلحظ أن الروائي يعود لشرح العنوان ضمن المتن الروائي بلغة الشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا وأنداده، أي الأسماء المستعارة التي كان يكتب بها، وكتأويل خاص أعتقد أن سوداد اسم اتخذه وادي ليكون ندا لأنداد بيسوا، وقد ذكر في النص قصائد له جاءت على ذكر كلمة سوداد.

إذ يقول بيسوا مرة باسم ألفارو دي كامبوش :

«هو سُوداد يشدُّنا إلى شيءٍ ما. أم ارتباك في المشاعر؟

نحو أي وطنٍ مُبْهَم؟
نحو أي ساحل؟
أية سفينة
وأيّ رصيف؟»

ومرة ثانية باسم ألبيرتو كاييرو

«سوداد مبهك تحمله هذه الهنيهة إليّ
ثمة رغبة هادئة
تظهر ثم تختفي».

ومرة ثالثة باسمه أي بيسوا نفسه:

«بعد النهار يجيء الليل
بعد الليل يجيء النهار
ويعد سوداد
يحلّ سوداد آخر يستبدُّ بنا».

وسوداد كلمة برتغالية بحسب ما شرح الكاتب: «تقترب من الشوق، الاشتياق، الحنين، النوستالجيا، المتعة التي تكمن لنا في الألم و تمتزج فيه، وفي الوقت نفسه النعيم الذي يتضمن العذاب».

فيما يبدو أن وادي وبيسوا اتحدا في هاوية الغزالة لينتصرا للشعر واللغة الشاعرية حين تعبر عنها الرواية، ما يحيلني لمقولة إرنستو ساباتو التي يرى فيها أن «النثر هو النهار والشعر هو الليل، طعامه الوحوش والرموز، وهو كلام الظلمات والمهاوي. إذن ليس هناك من رواية عظيمة لم تكن في الحصّلة شعرا».

ففي هذه الرواية لا يكتب وادي عن الحب والكثير من القضايا التي حين يطرقها فإنه يطرقها بأسلوبه الخاص جداً، بل يكتب ليقول في الأخير إن كل مشاعر الحنين تؤدي إلى فلسطين، إذ تقول إحدى شخصيات الرواية: «اكتشفت أن جذوري تمتد، من دون أن أدري، إلى تلك المأساة التي اسمها فلسطين، ما فاقم من حزني وبؤسي. من قال إن المعرفة لا تجلب الشقاء؟ لكن الأمر، رغم ذلك كله، أشعرني بشكل من الأشكال، بالانتماء إلى شيء ما، إلى جرح لم يكن موجوداً في روحي من قبل».

الغربة وقود الحنين والشيء الذي يجعل الواحد منا دائم الاتصال بمكانه الأول وذكرياته الأولى، التي بدونها يستحيل كل شيء وتتعطل الذاكرة، فما بالك إن كان هذا المكان وهذه المدينة فلسطين، فلسطين التي رسمها وادي بكل كلمة من كلمات نصه هذا. تقول الرواية: «حكى لي باقتضاب عن قريته الأولى التي سقطت عام 48 وتشريده عنها مع عائلته، وعن رام الله التي عاش فيها شبابه، والقدس التي لا تبعد عنها كثيراً وتتضوع شوارعها القديمة وطرقاتها وأزقتها بروائح التاريخ والبهار والبخور، وعن حلمه بالعودة هناك. رقصنا في تلك الليلة معاً على الأضواء الشاحبة للشموع، وعلى صوت مجروح ملوع يعني مرددا كلمة «سوداد».. «سوداد». أما أنا، فلم أتردد في أن ألقي برأسي على كتفه. وعندما رفعت عيني لأتأمل وجهه، كانت عيناه تضطرمان حزنا وندى».

أعتقد أنه ليس على القارئ شرح أو تلخيص حكاية قصة الرواية كما وردت بالعمل فهو بطريقة ما يقتل فرصة التأويل عند القراء الآخرين، ولكن من المهم أن يؤول النص وفقا لتصوراته الخاصة، أو درجة فهمه له في تلك اللحظة بالذات، لأننا عندما نعيد ما قرأناه لا نخرج بالضرورة بنفس التأويلات السابقة، وهذا من من جماليات الأدب أي التأويل، التفكيك، طرح التساؤلات، إضافة إلى المتعة ومدى اندماجنا والكتاب الذي بين أيدينا.

ونص «سوداد هاوية الغزالة» من النصوص التي تجعلك تندمج معها لدرجة تشعر أنك إحدى شخصياتها وكأن الكاتب يحدثك بلسان الراوي عن سيرة حقيقية لشخص عرفه بحياته، أو ربما في الرواية شيء من سيرته الشخصية، لكن الأكيد فيها حنينه لفلسطين، ولكل ما يربطه بتلك البلاد التي رغم بعده عنها ظلت قريبة منه، وقد استعار من فرناندو بيسوا كلماته ليعبر عن ذلك، إذ يقول بيسوا: «من أجل مدينتي البعيدة كافحت وسقطت/ لم أعبّر جيدا عما كانت تريد،/ بيد أنها كانت في حاجة إليّ/ لقد تحررت أسوارها،/ لسانها يحفظ ما قلت، والرجال يموتون/ لكنها مثلي لا تموت».

ونلحظ أنه حتى وهو يكتب عن البرتغال يكتب عن فلسطين، لكنه يكتبها بصدق لا مبالغة فيه، فهو حين ينتقد ما يرى أنه يستوجب النقد روائيا ينتقده دون مواربة أو تسمية الأشياء بغير مسمياتها، وهذا من الأشياء الجميلة في هذه الرواية التي تنحاز في الأخير للأدب ولا شيء سواه.

كما أننا نرى في سوداد المرأة وكأنها وطن، ونرى الوطن وكأنه امرأة، ولابد أن الروائي كتب الاثنين معا. فالغزالة تعبير عن كليهما وعن أمور أخرى تحتاج من القارئ عودة ثانية وثالثة لقراءة هذا النص المثقل بالرموز والمنشغل بتفكيكها. تقول الرواية: «ربما تكون الحكاية قد أثارت مواجعه، وأعادته إلى غزالة تعدو في روحه الكسيرة.. غزالة لا بد وأن تكون قد أصابتها سهام الأمير.. لاحقتها السهام الطائشة المتراشقة خلفها، وصرعها سهم صائب منها».

تتناول الرواية أزمة تشكيل الهوية خارج حدود الوطن الأم واللغة، وتلك الغربة التي تُحدث الكثير في حياة الإنسان وفي نشأة أولاده بالمستقبل، هنا الكاتب توسع في هذه الفكرة كثيرا، فنقرة على لسان إحدى الشخصيات الروائية تقول:

«هل رأيتَ ياسمين؟! صبية سمراء طويلة، بشرتها بلون بشرتي.. عيناها تشبهان عيني، وملامحها تشبه ملامحي.

... هل رأيتَ ياسمين؟

– صبية سمراء بتقاطيع عربية، لكنها لا تتقن لفظ كلمة عربية واحدة.

هل رأيتَ ياسمين؟

ستعرفها من ملامحها، وإن لم يكن، فمن لغتها، وإذا وجدتم صبية سمراء تتحدث البرتغالية، فهي ياسمين تتحدث بلغة أمها!

وإذا وجدتم صبية تتحدث الإسبانية، فهي ياسمين... تتحدث بلغة طفولتها.

وإذا وجدتموها تتحدث الفرنسية، فهي ياسمين تتحدث لغة صباها.

بأية لغة تحدثت ياسمين، فإنها تبقى ياسمين. ابنتي

وإذا أصغيتم إليها وهي تعزف الموسيقى، فهي ياسمين تتحدث بلغة الكون.. بلغة الروح.. بلغة الريح والعصافير والسنونو. لن تجدوها تتحدث العربية، لأنني لم أعلمها ذلك. لقد فاتني أن أعلمها العربية. قصرت في ذلك. هل رأيتم فتاة عربية لا تتقن العربية؟ إذا رأيتموها فإنها ياسمين.. ابنتي ياسمين».

«مات فاروق وادي دون أن يمسك كتابه بيده. ذهب في هاوية الغزالة» كما كتب ناشره الشاعر خالد سليمان الناصري، رحل وآخر كلماته «بدي أكتب»، كما ذكرت ابنته شهد، وهذا يؤكد أن الكاتب المسكون بالكتابة سيظل حيا متجاوزا اللحظة الراهنة، ما يحيلني لما كتبه الروائي الفلسطيني عباد يحيى حين رثى فاروق وادي قائلا: «اكتمل في فاروق وادي كل ما يحتاجه الأدب ليحيا، ليتجاوز لحظته الراهنة وحسابات المؤسسات وأساليب الترويج وانحيازات السياسة. اكتمل فيه الكاتب والناقد والقارئ والإنسان الرهيف، وفي نصه اكتمل كل هذا. رغم تعبه ومرضه ظل يقرأ ويكتب، تستطيل حياته لتتجاوز لحظة الموت. يكمل بريشته أجزاء من لوحة رام الله، رام الله التي تحاول كتابتها، نراودها بالكلمات علها تفشي لنا شيئا، أما هو فكأنما أحبته وكشفت له كل شيء من نفسها».

وهكذا ختم وادي مسيرته الإبداعية برواية «سوداد (هاوية الغزالة)»، لتظل وباقي كتبه شاهدة على مسيرة هذا المبدع الذي قال على لسان إحدى شخصيات روايته هذه: «في البدء كان الكلمة، والكلمة نواة الفكرة، والفكرة نواة المشروع».

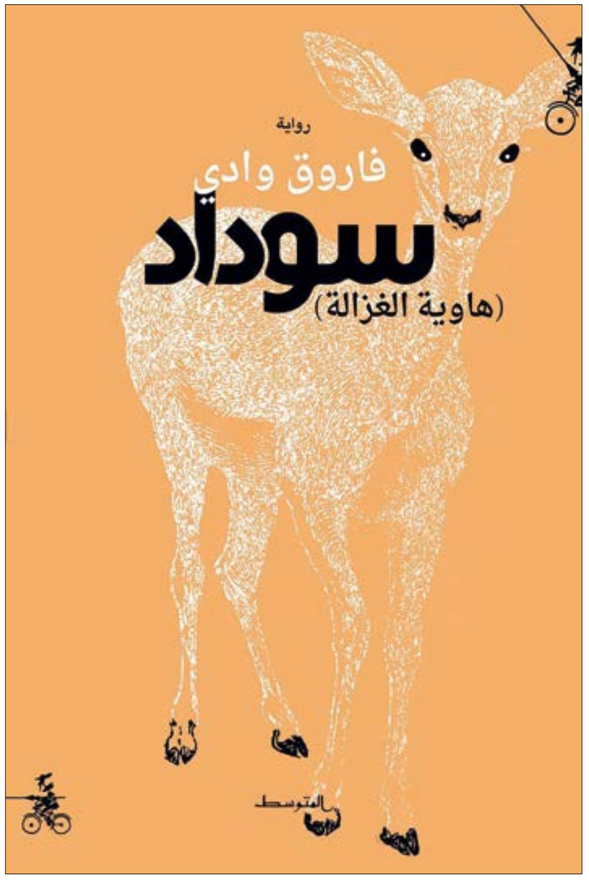

فاروق وادي: «سوداد (هاوية الغزالة)»
المتوسط، ميلانو 2022
304 صفحة.

المقال

زياد ماجد

في جذرية الاحتجاجات النسوية الإيرانية

توق للحرّية يتخطّى ما عرفته إيران تكراراً من تحرّكات معارضة

تدخل المظاهرات المناهضة للنظام في إيران أسبوعها الخامس، وتصدح فيها هتافات «الموت للدكتاتور» المعطوفة على الشعار الأثير «المرأة، الحياة، الحرّية». وإذا كان زخم هذه المظاهرات قد تراجع بعض الشيء نتيجة القمع والعمليات الأمنية التي اتّخذتها السلطات، فإن جذرية شعاراتها واتّساع نطاقها وأعمار المشاركات والمشاركين فيها وبلوغها المدارس المتوسطة والثانوية، وليس فقط المنشآت الجامعية، يُشير إلى صعوبة مهمّة ضبطها وإلى استحالة استرضائها بإجراءات إصلاحية تجميلية أو بمعاقبة بعض المسؤولين عن التوقيفات والقتل أو بالاعتذار عن «العنف غير المسؤول».

والمظاهرات هذه في ما تُعبّر عنه من غضب متراكم ومن توق للحرّية تتخطّى ما عرفته إيران تكراراً في العقدين الأخيرين من تحرّكات معارضة، اجتماعية الطابع أو معيشية أو سياسية ترتبط بخيارات أو بتزوير انتخابات أو بفضائح على صلة بتدهور الخدمات. كما أنها تتخطّى الانقسامات القائمة ثقافياً وقومياً أو تلك المتمحورة حول الطبقات الاجتماعية أو مناطق السكن الريفية والمدينية أو حتى خصائص المدن نفسها وجامعاتها وبعض أنشطتها الاقتصادية.

بهذا المعنى، تستفيد التظاهرات اليوم من مجمل التناقضات والتراكمات الكفاحية التي شهدتها وتشهدها إيران منذ فترة طويلة، لكنّها تذهب أبعد منها في وضوح شعاراتها وفي انعدام قابلية هذه الشعارات للتطويع أو للمعالجة التسووية.

فلا نحن أمام اعتراضات بالوشية أو عربية في مواجهة تمييز وتهميش، ولا نحن أمام حركة احتجاج كردية رغم هوية الضحية الأولى مهسا أميني ورغم سعة الغضب في المناطق ذات الأغلبية الكردية والعنف المستهدف تجمّعاتها من قبل الشرطة والباسيج. والجموع لا تتحرّك لأسباب ترتبط بغلاء أسعار الوقود على ما جرى في تظاهرات الأعوام 2017 و2018 و2019، ولا هي ترفض تزوير الانتخابات الرئاسية وسرقة أصواتها كما جرى العام 2009 وما تبعها من حراك سياسي ما زال بعض قادته مسجونين أو مُغيّبين أو منفيّين.

فهذه جميعها شهدتها إيران وبعضها استمرّ لأشهر طويلة، لكنها بمجملها ظلّت موضعية أو مرتبطة بحدث أو بتداعيات قرار أو نتيجة تصفية حسابات داخل القوى والنفوذ والفساد فيه.

ما يجري هذه المرّة يختلف عن كلّ ذلك لأنه يُشهر في وجه النظام رفض إيديولوجيّته المؤسِّسة ورموزها، وليس فقط سياساته أو قراراتها أو تزويرها لنتائج صناديق الاقتراع.

وما يجري، إذ ينطلق من إرادات النساء والفتيات في تحدّي الحجاب كتكريس لسلطة النظام عليهنّ وكأداة حدّ لحرّياتهنّ باسم الدين، يُصيب الجمهورية الإسلامية في تعريفها وفي وظائفها. كما أن تحطيم تماثيل ومجسّمات للإمام الخميني مؤسّسها ولقاسم سليماني رمز سياساتها التوسعية في «الشرق الأوسط» والهتاف بإلموت للدكتاتور ككثيف للمعنى المُعطى للنظام ذاته وإحالته إلى «شخص رمزي» هو الدكتاتور المطلوب خلعه، يُعلن أن المتظاهرات والمتظاهرين لا تفاوض يبحثون عنه ولا تراجع عن قرار يريدونه. فهُنّ وهم لا يرون في غير سقوط النظام بديلاً، ولا يحسبون أن حرّيتهم واردة أو مضمونة دون ذلك.

ويمكن لتفسير التطوّرات راهناً وأهمّية دلالاتها الركون إلى عدّة معطيات.

الأول، يرتبط بمبادرات النساء والفتيات العفوية أو المنسّقة للخروج الدوري الجماعي من المنازل والجامعات والمدارس إلى الشوارع وخلع الحجاب أو المجاهرة بالسفور في الطرقات والساحات، بما يعني «خلعاً» لما يلتصق بالجسد النسائي من رموز «الجمهورية الإسلامية» ومن آليات تظهير حضورها وقوّتها في الحيّز العام من ناحية، وفي إخضاع الأفراد النساء لطقس طاعة يفرضه ارتداء زيّ قسريّ يحقّ للرجال الأفراد أيضاً مراقبته والتدخّل والزجر للتأكّد من مدى تغطيته الشعر بأكمله من ناحية ثانية.

والمبادرات هذه إذ تستمرّ وتتصاعد تصدّع السطوة التي تُخضع الناس في إيران، وتستدعي من النظام عنفاً وملاحقة فردية وجماعية لنساء ولداعمين رجال لهنّ، بما لا طاقة لأي أجهزة على احتماله والسير به ليل نهار لفترات طويلة.

المعطى الثاني يرتبط بالديموغرافيا الإيرانية التي تراجعت معدّلات الولادات فيها الأكثر تداولاً «الموت للدكتاتور» و«المرأة، الحياة، الحرية» على اختراق الأقواس أو الأعراق والطبقات الاجتماعية في إيران. فهما يوحّدان جميع النساء اللواتي يردن التخلّص من قمع اللباس المفروض عليهنّ، ويوحّدان جميع من يرى في الانتفاضة النسائية منطلقاً لمواجهة ما يعدّه «النظام الدكتاتوري»، بمعزل عن الكثير من الخلفيات. وهذا المعطى لم نقف على مثيل له في السابق نظراً لخصائص ما كان يُثار في الانتفاضات الشعبية المتكرّرة.

المعطى الخامس يتأتّى من الضائقة المعيشية والبطالة والتسرّب المدرسي التي يشكو منها أكثر الإيرانيين، نتيجة الأزمة الاقتصادية الحادة التي تسبّبها العقوبات الدولية، ونتيجة فساد بعض السلطات وسوء إدارتها للموارد المتوفّرة وتهريبها أموالاً إلى الخارج وتخصيصها موازنات كبرى للتسلّح ولدعم السياسة الإقليمية الإيرانية على حساب التقديمات الداخلية. وتعاني المعيشة على عدّة صعد صحّية وتعليمية ومهنيّة نتيجةً التمييز ونتيجة انعكاس الأزمات على حياتهنّ اليومية وهوامش حريّاتهن المحدودة. ولعلّ انضمام عمّال مصافٍ نفطية ومشتغلين في قطاعات حيوية أخرى إلى التجمّعات الغاضبة سيؤجّجها إن هي استمرّت أو نجحت في تخطّي قدرة الأجهزة الأمنية والاستخبارية على محاصرتها ووأدها.

المعطى الأخير هو ذلك الذي يربط الدياسبورا الإيرانية الناشطة في العالم، لا سيما في أوروبا والغربية وأميركا وكندا وأستراليا، وهو متنوّع سياسياً وثقافياً وتعليمياً، يساراً ويميناً، وفي أوساطه أجيال جديدة لم تعرف إيران إلا كجمهورية إسلامية ولا ترى في نظامها غير قمع للحرّيات العامة والخاصة. والدياسبورا هذه تحاول التحوّل إلى صوت للداخل أو إلى محفّز له على الاستمرار في معركته التحرّرية.

لهذه المعطيات ولغيرها، يصعب التكهّن بمستقبل الانتفاضة الإيرانية المستمرّة اليوم، وبمدى قدرة النظام على سحقها أو احتوائها، وهو الخبير في الحالين. الأكيد في المقابل، هو ترسّخ التوق النسائي لتحطيم قيود سبق لنساء إيرانيات أن انتفضن أكثر من مرّة في العقود المنصرمة للتخلّص منها ولانتزاع حقوق في التعليم والعمل وكرامة الحضور في الحيّزين الخاص والعام. والأكيد أيضاً أن في الجيل الإيراني الجديد تيارات نسوية (ولو غير منظّمة) يناصرها شباب في معظم المناطق والمدن وداخل أكثر الفئات الاجتماعية، وهي مرشّحة للتجذّر وللاشتباك المستمر مع نظام بات يرى فيها الخطر الوجوديّ الفعلي عليه...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: فهد

سعيد يقطين

سرد البحر في الثقافة العربية

انعقدت بالشارقة خلال اليومين 22 و23 أيلول/سبتمبر 2022 الدورة الـ«22» لملتقى الشارقة الدولي للراوي تحت محور: «حكايات البحر». وعلى غرار كل الدورات اتسع برنامج الدورة لندوات وأنشطة وفعاليات وورشات مختلفة، ساهم فيها عدد كبير من الباحثين والمنشطين والرواة، من مختلف الدول تتضمنه من أنواع فرعية. ولعل مرد التقصير في هذا الجانب يكمن في أننا لا نأخذ بأسباب البحث العلمي في الأدب وغيره. وأنا أستعد للبحث في سردية البحر، وجدتني أتساءل أين يمكنني تأطير قصة «عبد الله البري وعبد الله البحري»؟ ما أسهل أن أقول إنها قصة من قصص الليالي، أو أنها قصة عجائبية، أو أنها تنتمي إلى الحكاية الشعبية. أو أنني أسلك مسلكا آخر ينسجم مع ما تتطلبه الدورة، وهي تتمحور حول «حكايات البحر»، فأعالج تلك القصة بالتركيز على «تيمة» البحر فيها. وهذا المسلك الأخير هو الذي اعتمده كل المتدخلين على اختلاف مقارباتهم لموضوعة البحر في الحكايات والأمثال والتاريخ، والشعر، والسينما، والمسرح، وغيرها من الخطابات.

قادني البحث في الكتابات الأجنبية فوجدتها تزخر بما يسمى بـ «أدب البحر»، أو «سرد»ـه. وتدرج في ذلك روايات وخطابات متعددة، وكلها تتقدم من خلال متون كثيرة تعطي لهذا «النوع»، خصوصيته وطبيعته المميزة. وبالذهاب إلى الثقافة العربية سنجد أن الجزيرة العربية يحيط بها البحر الذي نجد له حضورا في الشعر العربي، وفي الأمثال العربية قبل الإسلام، وفي القرآن الكريم ذكر البحر لفظا حوالي عشرين مرة، وظل التاريخ العربي يقدم لنا تراثا زاخرا حول البحر بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية مع الفتوح، وبروز الكتابات التاريخية والجغرافية، والرحلات، وكتب العجائب والمسالك والممالك. وكان وصول البحارة العرب إلى الهند والصين، والتعرف على العوالم الغريبة عن طبيعة البلاد العربية أن انتشرت جزء من أي عملية علمية لأنه يضبط لنا مميزات أي ظاهرة أو خطاب، على مستوى الطبيعة والوظيفة.

يبدو غياب التصنيف في تفكيرنا مثلا في أننا لا نمتلك تصورا محددا للتمييز بين الخطابات الروائية. فكل شيء عندنا رواية، ولا فرق لدينا بين الطويلة والمتوسطة والقصيرة، ولا بين أنواعها الكبرى، وما تتضمنه من أنواع فرعية. ولعل مرد التقصير في هذا الجانب يكمن في أننا لا نأخذ بأسباب البحث العلمي في الأدب وغيره. وأنا أستعد للبحث في سردية البحر، وجدتني أتساءل أين يمكنني تأطير قصة «عبد الله البري وعبد الله البحري»؟ ما أسهل أن أقول إنها قصة من قصص الليالي، أو أنها قصة عجائبية، أو أنها تنتمي إلى الحكاية الشعبية. أو أنني أسلك مسلكا آخر ينسجم مع ما تتطلبه الدورة، وهي تتمحور حول «حكايات البحر»، فأعالج تلك القصة بالتركيز على «تيمة» البحر فيها. وهذا المسلك الأخير هو الذي اعتمده كل المتدخلين على اختلاف مقارباتهم لموضوعة البحر في الحكايات والأمثال والتاريخ، والشعر، والسينما، والمسرح، وغيرها من الخطابات.

قادني البحث في الكتابات الأجنبية فوجدتها تزخر بما يسمى بـ «أدب البحر»، أو «سرد»ـه. وتدرج في ذلك روايات وخطابات متعددة، وكلها تتقدم من خلال متون كثيرة تعطي لهذا «النوع»، خصوصيته وطبيعته المميزة. وبالذهاب إلى الثقافة العربية سنجد أن الجزيرة العربية يحيط بها البحر الذي نجد له حضورا في الشعر العربي، وفي الأمثال العربية قبل الإسلام، وفي القرآن الكريم ذكر البحر لفظا حوالي عشرين مرة، وظل التاريخ العربي يقدم لنا تراثا زاخرا حول البحر بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية مع الفتوح، وبروز الكتابات التاريخية والجغرافية، والرحلات، وكتب العجائب والمسالك والممالك. وكان وصول البحارة العرب إلى الهند والصين، والتعرف على العوالم الغريبة عن طبيعة البلاد العربية أن انتشرت أخبار التجار، مثل التاجر سليمان، وإقدام أبي زيد حسن الصيرافي على جمع الأخبار التي سمعها عن البحر، فظهرت كتبات تتناول أخبار الهند والصين، وما فيها من العجائب. وتقدم لنا الحكايات الشعبية، وخاصة ما تضمنته ألف ليلة وليلة من قصص، مثل رحلات السندباد، وغيرها من القصص عوالم خاصة تبرز شغف العرب بأخبار المحيطات وعجائبها. وفي السيرة الشعبية، وخاصة سيرة الأميرة ذات الهمة، والظاهر بيبرس نجدها تقدم لنا حوض البحر الأبيض المتوسط بصورة دقيقة، وما جرى فيه من حروب وصراعات ومخابرات إبان المواجهات مع الروم والصليبيين.

كل هذا التراث العربي حول البحر يتقدم إلينا من خلال الثقافة العالمة والشعبية. وفي كل الأقطار العربية نجد حضور البحر في اللغة والأمثال والقصص. وحتى الرواية العربية تستثمر عوالم البحر باعتباره فضاء ومتخيلا، يمكن أن يكون مصدرا للغنى أو الشقاء، للحياة أو الموت، وما نعرفه حاليا مع قوارب الموت، والهجرة السرية إلى العوالم الشمالية سوى مثال على ذلك. يتجلى البحر بصور متعددة ومختلفة، إما كليا أو جزئيا في مختلف الخطابات، وأيا كان الوسيط الموظف فيها.

إن الانتقال من التعامل مع البحر باعتباره «تيمة» أو «موضوعة»، إلى التفكير فيه بصفته واقعا حقيقيا أو متخيلا من خلال الخطاب المهيمن في تقديمه يدفعنا إلى البحث فيه من منظور «النوع» الذي يتحدد من خلاله، والذي نجده بارزا من خلال السرد. فمعظم الخطابات التي تتعامل معه تبرز من خلال الإخبار عنه لتقديم المعرفة أو المتعة، سواء كان ذلك الإخبار صادقا أو كاذبا، وأيا كانت اللغة التي تقدمه، يومية أو أدبية. إن الكتابات التاريخية والجغرافية والرحلات والمسالك والممالك قدمت لنا إفادات ومعلومات عن البحار التي تعامل معها المستكشفون والذين عاينوا تلك الفضاءات وسجلوا عنها ملاحظاتهم وتقاريرهم. كما أن الذين استمعوا إلى مختلف تلك الثقافة البحرية العيشة والمتخيلة، استغلها بعضهم ليجعلها مادة سردية للمتعة وإعمال الخيال المبدع. ولعل رحلات السندباد، خير مثال على ذلك. لقد استغل الراوي الشعبي مختلف الذخيرة البحرية، وقدمها لنا من خلال نص يحفل بما تخيله الإنسان العربي، وهو يعبر عن همومه وآلامه، ورؤيته للحياة. ولا غرابة أن نجد صورة السندباد غير مختلفة إلا في التفاصيل عن سيرة الملك سيف في مغامراته البحرية، والراوي الشعبي يرمي به بين الفينة والأخرى في جزر غريبة وعجيبة.

كما أن المتابع للرواية العربية يجد نفسه أمام نصوص كثيرة تجعلنا أمام إمكانية الحديث عن «رواية البحر»، تماما كما نتحدث مثلا عن «رواية الصحراء». وإذا كان بإمكاننا إدراج هذين النوعين ضمن نوع أوسع هو «رواية المكان»، فإن قراءة رواية البحر مثلا ضمن السرد العربي ستعطينا إمكانية إعادة تصنيفها بالنظر إلى تطور سرد البحر في التاريخ العربي، فنكون بذلك أمام تاريخ لنوع سردي خاص. وهذا النوع قابل لأن ينظر إليه ضمن نوع آخر هو «سرد المكان»، وبذلك يمكننا أن نعدد مداخل التصنيفات، وننظر من خلال ذلك في الأنواع وهي تتحول في التاريخ، وتتقارب، وتتباعد. فتكون نتيجة البحث المتواصل تكوين صورة عامة وشاملة عن الأنواع والأشكال، وهي تتقاطع، وتتداخل، وتتمايز سواء في علاقتها وبنياتها وتحققاتها.

إن هذا النوع من البحث يتطلب مجهودا نظريا ومنهجيا. كما أنه يتطلب رؤية شاملة للإبداع. أما الموضوعات فهي المركب السهل للتلخيص والتجميع والتأويل.

كاتب من المغرب

العبور إلى الاتحاد الأوروبي

ارتفع عدد حالات العبور غير الشرعي إلى الاتحاد الأوروبي بنسبة 70 في المئة في الأشهر التسعة الأولى من 2022 مسجلة أعلى مستوياتها منذ 2016 على ما ذكرت وكالة الحدود الأوروبية.

وقالت وكالة فرونتكس إن ما مجموعه 228.240 حالة دخول غير شرعي سُجلت، تشمل 106.396 من منطقة البلقان، أي بزيادة بنسبة 170 في المئة مقارنة بالفترة نفسها في 2021.

وسجل ثاني أعلى عدد عبر طريق وسط البحر المتوسط، 65.572 حالة، أي بزيادة 42 في المئة عن الأشهر التسعة الأولى من العام الماضي.

وغالبية المهاجرين الساعين لدخول الاتحاد الأوروبي عبر منطقة البلقان يحملون الجنسيات السورية والأفغانية والتركية.

ورصدت الوكالة أيضا 52.700 مهاجر حاولوا دخول بريطانيا عبر بحر المانش منذ مطلع 2022 مقارنة بـ52.000 عن العام 2021 برمته.

أداب وفنون

إدوارد سعيد والمسألة الفلسطينية

إيف كلافارون

يسعى إيف كلافارون في هذا الجزء الخاص بفلسطين إلى الوصل بين تفكير إدوارد سعيد في «المسألة الفلسطينية» ومشروعه الأكاديمي الخاص بالاستشراق وتفكيك خطابات الهيمنة الامبريالية الغربية بمختلف تمثيلاتها واستراتيجياتها. ويصبح الاحتلال الصهيوني باعتبار ذلك امتدادا للاحتلال الأوروبي الذي ناءت تحت وطأته أصقاع عدة من العالم وضمنها البلاد العربية. ويحتكم الكاتب إلى قراءة دقيقة للأبحاث التي خصصها سعيد لهذه المسألة كي يؤكد «القناعة الانسية» لصاحب الاستشراق ويدحض أي اتهام بالشوفينية والتطرف والانغلاق. (*)

فلسطين والاستشراق وخطاب الهيمنة

رفض سعيد باطراد الصورة المزدوجة السائدة في خصوصه؛ الجامعي والأكاديمي المتخصص من جهة والفاعل السياسي الذي نذر حياته لخدمة القضية الفلسطينية من جهة أخرى. ذلك ان الفاعلية النقدية لا يسعها الحضور إلا في سياق عالم متجذر. ومنذ عام 1967 وحرب الأيام الستة بنتائجها الكارثية بالنسبة للعرب أصبحت فلسطين الانشغال الرئيس لإدوارد سعيد والذي ناضل من أجل قضيتها بدون هوادة. كان التزامه الذي لا لبس فيه إلى جانب عرفات وحركة فتح هدفا لهجوم عنيف في الولايات المتحدة والعالم العربي أيضا. كانت اتفاقية أوسلو المبرمة عام 1993 في نظر سعيد بمثابة نسخة فلسطينية من معاهدة فيرساي المبرمة عقب نهاية الحرب العالمية الأولى. وكان من جراء ذلك ان التزم بمساقة حيال عرفات الذي اتهمه علاوة على ذلك بتدبير وتنظيم الارتشاء. وبعد ان دعم فكرة دولتين منفصلتين؛ وهو الحل الذي أصبح مستحيل التحقق بفعل مضاعفة بناء المستوطنات وتفتيت الأراضي بفعل الجدار الأمني العازل الذي أقامته إسرائيل فقد أصبح مؤثرا لحل التعايش بين شعبين متساويين ومتصالحين فوق الأرض التاريخية لفلسطين.

كتب سعيد أبحاثاعدة تهم العلاقات الحديثة بين الإسلام والعرب والشرق من جهة وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والغرب بشكل عام من جهة أخرى. يرصد كتاب الاستشراق المحطات الكبرى التي تبدأ بالحملة الفرنسية في مصر وبروز الهيمنة الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية مرورا بالحقبة الاستعمارية وتبلور المعرفة الاستشراقية في أوروبا إبان القرن التاسع عشر. ويصف كتاب «مسألة فلسطين» تطور الصراع بين سكان فلسطين وغالبيتهم من المسلمين والحركة الصهيونية التي يعتبرها سعيد غربية بعمق. ويجلي الكتاب ما تسعى الرؤية الغربية إلى طمسه وتغييبه وأقصد صراع الشعب الفلسطيني من أجل فرض حقه في تقرير المصير. ويعالج كتاب «تغطية الإسلام» قضية راهنة تتمثل في ردود الفعل الغربية والأمريكية بشكل خاص حيال العالم الإسلامي الذي ينظر إليه بوصفه بؤرة استراتيجية وحساسة منذ سنوات السبعينات من القرن الفارط. ويمكن اعتبار هاته الأبحاث الثلاثة مؤسسة للدراسات ما بعد الاستعمارية.

يبدو كتاب «مسألة فلسطين» للوهلة الأولى بمثابة تطبيق لنظريات الاستشراق على منطقة وتاريخ خاصين ونقلا للاستعمار إلى سياق الصهيونية. ويتمثل موضوع هذا البحث في التعبير عن الوضعية الفلسطينية في علاقتها بالغرب والولايات المتحدة بشكل خاص واسباغ طابع مثالي على استراتيجية المقاومة ضدا على خطاب الهيمنة. ويعين سعيد بدقة هدفه والذي يتمثل في الصهيونية وليس اليهود ويعارض بشدة المعادلة التي مؤداها ان العداء للصهيونية يعادل العداء للسامية. تصبح سيرورة الأحداث في فلسطين قابلة للمقارنة في نهاية الأمر بالظاهرة الموصوفة في «الاستشراق»؛ إذ يجري اختزال الفلسطينيين إلى مجرد أشياء ويتم انكار وجودهم واكراههم على الاختفاء بتأثير البروباغاندا الصهيونية. ويستعيد تأسيس دولة لليهود في فلسطين بعض مبادئ الاستعمار الأوروبي وهيمنة لم تتوقف منذ تأسيس إسرائيل وانما ازدادت حدتها على العكس من ذلك. وتتمثل خصوصية هذا الاحتلال في ارتباطه بتحقق وعد إلهي «الأرض الموعودة»؛ وهو ما يضعنا أمام احتلال شبه ديني: تتمثل مهمة اليهود في شراء هذه الأرض ونوعا من التقويم والترميم. لا يتعلق الأمر بتأسيس وانما إعادة تأسيس «البيت اليهودي» في فلسطين حسب تعبير حاييم وايزمان. تتوخى الصهيونية خلق مجتمع لا يمكنه إلا ان يكون متأسسا على أصالة العرق والدين ويفتقر إلى مدينة كبرى اللهم إلا إذا اعتبرنا الولايات المتحدة وجاليتها اليهودية المهمة مضطلعة بهذا الدور. يشدد سعيد في هذا المعرض على مفارقة وظلم صارخين. فلكي تستقبل اليهود المنفيين فانها عمدت إلى تهجير فلسطيني إسرائيل وحولتهم من ثم إلى لاجئين. وينزع سعيد بموازاته بين الصهيونية والامبريالية الأوروبية إلى تحويل حركة التحرير اليهودية المزعومة إلى إجتياح تحفزه أيديولوجيا غازية.

يوسع الكتاب الثالث «الاستشراق» سؤال تمثيل الإسلام في وسائل الإعلام الغربية والأمريكية بشكل خاص انطلاقا من سنوات السبعينات. ويؤكد سعيد ان الخطاب حول الإسلام ينزع بشكل أكثر وضوحا إلى تأكيد سلطة. بيد انه يعمد شأن صنيعه في كتاب «الاستشراق» إلى مساءلة مصداقية وأصالة المعرفة في خصوص الإسلام والمتأثرة بوضعية من يقومون بإنتاجها. يشكل الإسلام بالنسبة للغربيين نعتا اختزاليا ينهل من الاستيهام والايديولوجيا. وقد أصبح منذ أزمة البترول في مستهل عقد السبعينات كبش فداء وموصولا بالأنظمة القمعية والقرسطوية. أصبح الوسم الملصق بالإسلام مشبعا أيديولوجيا كما تشهد على ذلك مقالة صمويل هتينغتون «صدام الحضارات» والتي قامت بتثبيت الإسلام في وضعية مضادة للحداثة وحولته إلى العدو الأول للغرب منذ انهيار الاتحاد السوفياتي. يلاحظ سعيد على الرغم من ذلك فروقا جلية بين أوروبا والولايات المتحدة؛ اذ تتوفر البلدان الأوروبية على تجربة مباشرة مع العالم الإسلامي من خلال تجربة الاحتلال والهجرة فيما تفتقر الولايات المتحدة إلى ذلك وحيث لا وجود للإسلام عندها خارج وسائل الإعلام والتي تمثله بشكل شبه حصري بوصفه غريبا ومصدر تهديد. تشكل هاته التمثيلات جزءا لا يتجزأ من المسألة الفلسطينية باعتبار النتائج التي تترتب عنها والمتمثلة في تبخيس الفلسطينيين وارغامهم على الركون إلى الصمت.

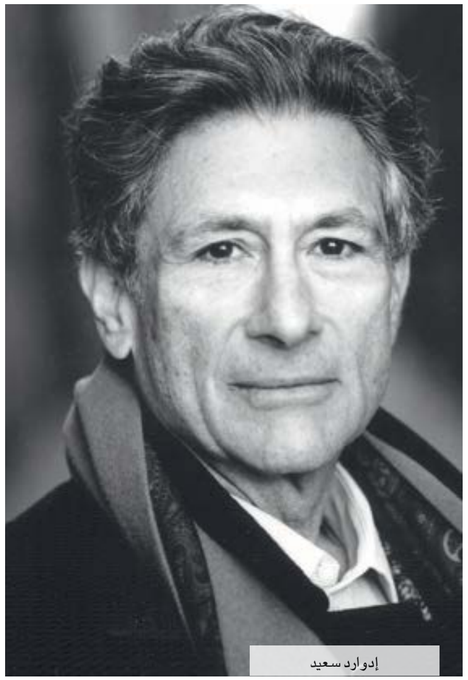
إدوارد سعيد

تتيح السيرة الذاتية «خارج المكان» الصادرة عام 1999 الوصل بين بدايات حياة سعيد ونهايتها والتي اتسمت بالمنفى والنبذ. بدأ التفكير في السيرة منذ عام 1994 وتزامن تحريرها مع اكتشاف إصابة سعيد بسرطان الدم. وهي تشكل من ثم نوعا من الكتابة ضد الموت والتي تتوخى إعادة بناء للذات واستعادة تاريخية لفلسطين الوطن المفقود. واللافت للانتباه في هذا المعرض ان سعيد يعيد قراءة سنوات التكوين هاته بطريقة سياسية جدا ومن خلال وعي مبكر مفترض بمقاومة الامبريالية الأوروبية المنهارة. أضحى الركون إلى الشغب والوقاحة واحتقار الأساتذة البريطانيين والحالة هذه فعل تمرد ضد الاستعمار.

إدوارد سعيد والأسلوب الأخير.

تولي فلسفة سعيد بارتباطها بالبدايات وضرورة استشراف الانسجام والتناغم مع حقيقة العالم أهمية خاصة للحظات النهائية والمتأخرة. يتمثل منطلق تحليل ادورنو الذي سوف يستلهم منه سعيد في «الأسلوب الأخير» لبيتهوفن الذي أسبغ بعدا دراميا على مرحلة خاصة في التاريخ الثقافي. وبمعزل عن استشراف شكل من الهدوء والحكمة فإن هذا الأسلوب الأخير لا يشكل خلاصة أو ذروة العمل ولكنه يتشكل في سياق علاقة غرابة واستلاب مع الجمهور في حدود ايحائه بفكرة الموت.

هكذا إذن تبدو الأعمال الأخيرة لسعيد وخصوصا «الأنسية والنقد الديمقراطي» الصادر عام 2004 معاكسة لما يترقبه القارئ بابرازها تلكم الرغبة في إعادة ادراج الإنسية في صلب العلوم الإنسانية وتحويلها إلى سيرورة للنقد الديمقراطي. لا يتمثل الأسلوب الأخير لسعيد في المصالحة المعجزة ولكنه يتضمن نوعا من التراجع من خلال هذه الرغبة في العودة إلى الأنسية التي تبدو مضادة لأهداف وغايات النظرية المعاصرة. تعتبر أنسية سعيد علمانية ومتأسسة على ممارسة القراءة النقدية. يدافع سعيد عن أنسية متعالية على النزهات الوطنية وتتأطر داخل الفضاء الما بعد الأوروبي المتحرر من الامبريالية ومنسجمة مع عالم معولم وغير متجانس وبالاستناد إلى ثورة كوبرنيكية.

يكمن نجاح سعيد في إضفاءه طابعا اشكاليا على الغرب وخطاباته أكثر منه في خلخلته وتفكيكه للتمثيلات الخاصة بالشرق. وقد عرف مشروعه وخصوصا كتاب الاستشراق الذي اكتسب بفضله المؤلف حضورا عالميا نجاحا ساحقا وان كان في الآن نفسه عرضة لاشكال عدة ومختلفة من التحفظات. وتمثل لذلك بالنقد المنهجي الذي أنجزه روبير اروين في كتابه «العرفة الخطرة: الاستشراق والمستاءون منه». وإذا كان سعيد قد شكل مدرسة بتصوره في خصوص الاستشراق الذي تحول إلى مصطلح شامل يبين الطريقة التي تمثل وتعامل بها الثقافات الخاضعة للهيمنة. غير ان مواقفه الأيديولوجية وسجالاته أثارت ردود أفعال لا نظير لعنفها. ويعتبر برنار لويس الذي صنفه إدوارد سعيد ضمن العصابة المنبوذة للمستشرقين المعاصرين أكثرهم حدة وشراسة. وقد انثالت الانتقادات في حقه بكونه هاويا غير مقتدر وصاحب روح مفرطة في سجاليتها ومن ثم هجومها وعدوانيتها في حق الجميع بمن فيهم العرب علاوة على اعتناقه أيديولوجية قريبة من الأصولية الإسلامية. وضمن السجل ذاته وصف إدوارد الكساندر سعيد بكونه «أستاذ الرعب» متهما إياه بمشاركة المثقفين افتئاتهم بالإرهاب. ورغم تعرضه للتهديد بالقتل فقد حرص سعيد على الرد بحيوية لا تنضب على هاته الهجمات وبطريقة لا أثر فيها لأي انفعال أو سعار.

(*) ترجمة وتقديم: عبد المنعم الشنتوف

في افتتاح المهرجان الثقافي «جو تونس»:
«شاهد على التغيير» معرض للصور الفوتوغرافية يُلامس مشاغل التونسيين

تونس–القدس العربي: روعة قاسم

«شاهد على التغيير» هو معرض للصور الفوتوغرافية تمّ افتتاحه ضمن فعاليات المهرجان الثقافي «جو تونس» في دورته السادسة في المقر السابق لبورصة الشغل في العاصمة.

شارك في المعرض مصورون من عدد من الدول منها إسبانيا وبولندا وسويسرا وفرنسا وروسيا وتونس البلد المنظم.

وللإشارة فقد أنشئ هذا المهرجان الفريد سنة 2013 وكان هدفه جذب فئة أخرى من الجماهير تجتمع في فضاءات غير مألوفة يقع فيها فتح نوافذ على الفن المعاصر في البلدان العربية والمتوسطية. وتشرف عليه مؤسسة كمال لزعر للثقافة والفنون التي ألقى صاحبها الكلمة الافتتاحية معتبرا أن هذه التظاهرة جاءت لتنشيط الحركة الثقافية في العاصمة التونسية من خلال مشاركة مئة فنان من أربعين دولة من العالم. وقد عرضت الصور في عدد من الفضاءات وقاعات العرض المغلقة والشوارع الكبرى للعاصمة وكذلك اللافتات الإشهارية العملاقة، وبالتالي تحولت مدينة تونس بأسرها إلى معرض ضخم وعملاق للصورة الفوتوغرافية.

الآثار المعاصرة

ومن بين المعارض الفوتوغرافية اللافتة في هذا المهرجان معرض المصور هشام إدريس الذي يوثق لموضوع فريد لم تتناوله عدسة المصورين من قبل يمكن تسميته بـ«الآثار المعاصرة». فقد أكد إدريس من خلال معرضه أن الآثار لا تشمل فقط ما يعود إلى العصور الغابرة وإنما يمكن أن توجد آثار معاصرة لم يمض على إنشائها وهجرانها وقت طويل.

وباعتبار أن تونس هي بلد سياحي يهتم شعبه كثيرا بهذا القطاع ويوليه أهمية بالغة، وباعتبار تعرض السياحة في موطن القرطاجيين إلى نكسات في بعض المراحل بسبب الثورات والعمليات الإرهابية وأزمة كوفيد19 وغيرها، فقد قام هشام إدريس في معرضه بتوثيق صور بعض الفنادق التي اضطرت إلى الإغلاق وإيقاف نشاطها السياحي، وصنفها في عداد الآثار الحديثة. وطرق بالتالي موضوعا كثيرا ما أرق مضاجع التونسيين وهم يلمحون مشاهد الخراب التي طالت سياحتهم من خلال هذه الفنادق المهجورة.

لقد تحولت هذه الفنادق التي كانت تعج بالحياة والحركة الدائمة إلى قفار وخرائب بعد أن تركها أصحابها ورواداها مضطرين، فألهمت هشام إدريس ومن معه لتوثيقها بصوره الفريدة التي اختار من خلالها زوايا رآها معبرة وقادرة على إيصال الرسالة التي رغب في إرسالها. انقطع وجدران طالها الخراب ولفها الصمت والسكون وبدت موحشة إلى حد كبير وأعطت الإنطباع للمشاهد بأنها مساكن لأشباح ترتع في كل ركن من أركانها.

وتظهر الصور مسابح جافة من المياه وواجهات قديمة ومظلات واقية من الشمس وقد اهترأت بعد أن كانت تقي المصطافين على الشواطئ من أشعة الشمس الملتهبة. صور تجعل زائر المعرض يتساءل لماذا أصبحت هذه المنتجعات على هذه الشاكلة؟ أية لعنة أصابتها لتتحول الحياة فيها إلى موت مطبق يبعث على الحزن والأسى؟

إن كل صورة من هذه الصور، التي قضى هشام إدريس سنوات لالتقاطها وفتح من خلالها مجددا أبواب هذه الفنادق التي تم إغلاقها، هي بحد ذاتها تاريخ تحيل المرء ليس فقط على الحاضر وإنما على الماضي والزمن الجميل حين كانت هذه الفنادق حية وتعج بالرواد وليس كما هو الحال الآن حيث الفراغ والصمت في كل ركن. أين هم يا ترى رواد هذه الفنادق المنتشرة في مناطق كثيرة من البلاد التونسية في الحمامات وجزيرة جربة والجريد جنوب غربي البلاد حيث الصحراء والواحات في مدن توزر ودوز وغيرها. هل تعود هذه الفنادق إلى النشاط يوما ما متجاوزة آثار الثورة التي أجهزت على أشياء جميلة كثيرة؟

وللإشارة فإن هذا العرض أبرز حقيقة مؤلمة مفادها أن السياحة التونسية فقدت الكثير من بريقها وفنادقها، فهناك فندق في قلب العاصمة تم إغلاقه في وقت سابق لكن وقع استغلاله لاحقا في أغراض أخرى، ومن ذلك تحويل جزء منه إلى فضاء للعروض الثقافية. وقد أقيم هذا العرض بالتعاون مع «تونس وجهتنا» وهو برنامج تابع للاتحاد الأوروبي هدفه إعادة الروح للسياحة التونسية.

تحدي الظروف الصعبة

وفي حديثها عن هذا المهرجان ترى الصحافية التونسية المختصة في الشأن الثقافي منى بن قمرة في حديثها لـ«القدس العربي» أن هذه التظاهرة الثقافية جاءت لتثبت أن التونسيين يتنفسون الثقافة وأنهم يتحدون كل الظروف الصعبة من أجل أن يستمر بلدهم منارة حضارية في محيطها المغاربي. وقد خلقت هذه التظاهرة حسب محدثتنا حركة هامة في العاصمة بانتظار أن تتواصل خلال الأيام المقبلة مع مهرجان أيام قرطاج السينمائية، أعرق المهرجانات السينمائية العربية والأفريقية على الإطلاق.

وتضيف بن قمرة قائلة: «إن ميزة مهرجان جو تونس أنه متنوع، فيه المسرح والسينما والموسيقى والرقص والمعارض الفوتوغرافية وغيرها وهو ما خلق حركة ثقافية استثنائية في هذه الفترة من العام التي تتزامن مع نهاية موسم سياحة الشواطئ. كما أن هذا الحدث الثقافي يتميز بكون عروضه تدور في أماكن غير اعتيادية لكن لها رمزيتها على غرار المطابع القديمة التي ساهمت في نشر الفكر والوعي في صفوف التونسيين في عصر ما ثم تم الإستغناء عنها مع تطور تقنيات الطباعة.

وحتى الصور الفوتوغرافية المعروضة، فيها تجديد على مستوى المحتوى والغايات والرسائل التي يرغب في إيصالها المصور والمشرفون على المشروع وهو ما انتبه إليه من زاروا هذه المعارض واهتموا بهذا الحدث الثقافي الاستثنائي. فتدهور القطاع السياحي في تونس نتيجة الأزمات المتعاقبة التي كادت تعصف به معضلة تشغل بال أغلب التونسيين ومن الجيد أن تهتم الثقافة بالمشاغل الاقتصادية والاجتماعية لأبناء الخضراء وأن لا تكون في قطيعة مع بيئتها».

أنشطة متعددة

ولم يقتصر الأمر على العاصمة كما جرت العادة بل شملت العروض هذا العام مدينتي سوسة وصفاقس ووعد صاحب المؤسسة المنظمة في هذا الإطار بأن ينفتح المهرجان على مدن أخرى داخل الجمهورية وذلك في إطار لا مركزية الثقافة. كما سينفتح المهرجان على فضاءات لم تشهد في السابق مثل هكذا معارض وتتميز برمزيتها الثقافية والتاريخية مثل مطابع سيراس القديمة بالإضافة إلى مراكز ثقافية هامة منها المعهد الثقافي الفرنسي والفضاء الثقافي سنترال وقصر العبدلية بالمرسى ودار الثقافة المغاربية ابن خلدون.

وشهدت هذه الدورة أنشطة ثقافية أخرى منها على وجه الخصوص العروض الفنية الراقصة ومنها عرض «شوشرة» لسليم بن صفية وعرض سيلابرسيون لحفيظ ضو وعائشة مبارك وغيرها. كما شهدت الدورة عرض أفلام سينمائية وذلك قبيل أيام من انطلاق فعاليات مهرجان قرطاج السينمائية، فتم عرض فيلم ملح الأرض لـ«فيم فندارس» وفيلم «بلو أوب» لمايكل أنجلو أنتونيوني.

وكان للفن الرابع نصيب أيضا في هذا المهرجان حيث تم عرض مسرحية «فلاغرونتي» لأسيا الجعايبي و«غودو» لأيمن الماجري. كما شهد المهرجان عروضا موسيقية أمنها فنانون من تونس وفلسطين وسوريا ولبنان وموريتانيا وغيرها لاقت استحسان جمهور الحاضرين.

تحقيقات

عامان على اعتماد الدستور الجديد في الجزائر: تغيير حقيقي أم حبر على ورق؟

الجزائر ـ «القدس العربي»: محمد سيدمو

في مثل هذه الأيام قبل سنتين، كانت الحملة الانتخابية للاستفتاء على الدستور في الجزائر، مشتعلة بين فريقين، الأول مؤيد بقوة لمضمونه والثاني رافض له بشدة، بينما اعتبر فريق سياسي ثالث نفسه غير معني بهذا الاقتراع لأن طريقة إعداد الدستور لم تكن، حسبه، محل توافق. كان كل ذلك يجري وسط قلق سياسي بعد مرض الرئيس عبد المجيد تبون ونقله للعلاج في ألمانيا، وعزوف شعبي عن مواكبة الحدث، في ظل الأزمة الصحية التي صاحبت انتشار فيروس كورونا وعدم وجود شفء حتى عند المقتنعين بالاستفتاء بمناقشة مواد دستورية مجردة.

ورغم كل تلك الظروف، مرّ استفتاء الدستور الذي اختير له تاريخ رمزي في الفاتح من تشرين الثاني/نوفمبر (يوم انطلاق الثورة الجزائرية) بسلام من ناحية الشكل عموما، وحصل على أغلبية الأصوات التي تجعله من وجهة نظر القانون، الدستور الجديد للبلاد في الفترة التي تلت الإطاحة بالرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة. لكن الإقبال الشعبي على الاستفتاء كان ضعيفا متجاوزا بقليل 20 في المئة فقط، وهي أضعف نسبة تسجل في انتخابات بالجزائر. كما أن كتلة المصوتين بلا، كانت أيضا هامة وكادت تبلغ 40 في المئة. وكل ذلك، دفع سياسيين في المعارضة للمطالبة بإلغاء نتائج الاستفتاء والعودة لحوار جديد حول دستور تسنده الأغلبية من الشعب ولا يتمتع فقط بشرعية قانونية شكلية. لكن هذه الأصوات لم تعرها السلطة اهتماما، وتم تبرير النسبة الضعيفة بطبيعة الاستفتاء الذي لا يثير في العادة اهتماما كبيرا فضلا عن الظروف الاستثنائية التي جرت فيه. وهكذا، صار للجزائر دستور جديد، هو الرابع منذ فتح التعددية السياسية في البلاد، بعد كل من دساتير 1989 و1996 و2016.

وقبل أن يصبح ساري المفعول، احيط الدستور بهالة كبيرة من قبل الموالين للسلطة، من حيث أنه سيؤسس حسبهم، لبداية عهد «الجزائر الجديدة» التي هي شعار الرئيس عبد المجيد تبون، وسينقل البلاد إلى نمط جديد من الحكم تغيب فيه الممارسات السابقة التي تكرس السلطة في يد شخص الرئيس وتهمش باقي الفواعل السياسية، كما سيضمن في الجانب الاقتصادي حرية الاستثمار وسيبقى مدافعا عن الطابع الاجتماعي للدولة. أما من جانب الحريات، فبشّر المدافعون عن النص، بعهد جديد تكرس فيه الحريات الفردية والجماعية ويسهل فيه تأسيس الأحزاب والجمعيات بمجرد التصريح. أما الرافضون للدستور، فمنهم من اعتبر أنه يشكل خطرا على الهوية الوطنية ومرجعيتها الإسلامية، وهم في الغالب الأحزاب ذات التوجه الإسلامي. ومنهم من خشي على العقيدة العسكرية للبلاد من التغير، بعد إقرار إمكانية السماح لجنود جزائريين بالقيام بعمليات خارج البلاد بموافقة البرلمان. وهناك من خاض في نقاش الهوية اللغوية بعد تكريس الأمازيغية للمرة الثانية، لغة رسمية وإدراجها في المواد الصماء التي لا تقبل التغيير مستقبلا.

البرلمان وتشكيل الحكومة

وكان أول اختبار للدستور الجديد، هو تنظيم الانتخابات التشريعية في 12 حزيران/يونيو2021 والتي أشرفت عليها السلطة الوطنية للانتخابات، وهي هيئة استحدثها الدستور الجديد للإشراف على الانتخابات كبديل للإدارة التي كانت تتهم في السابق بالتزوير. وقد حملت هذه الانتخابات التي قاطعها طيف واسع من المعارضة الديمقراطية، فعلا بعض التغيير في النتائج لكن مع الاحتفاظ بنفس هيكل الموالاة السابق، فتقلصت مقاعد السائد بالاعتماد على وزراء في أغلبهم تكنوقراط والاكتفاء بعدد قليل من الوزراء عددهم ثمانية يمثلون أحزاب الموالاة ولا يوجد بينهم من يتولى وزارة سيادية، بدون أن يثير ذلك احتجاجا كبيرا من قبل هذه الأحزاب التي رضيت بالأمر الواقع واكتفى بعضها بإبداء انتقاد ناعم. وتسبب عدم تحمل أحزاب الأغلبية مسؤولية تسيير الحكومة، في جعلها تعيش حالة من الازدواجية اليوم بعد سنتين من إقرار الدستور، فهي توجه انتقادات لاذعة للوزراء مثلما ظهر خلال عرض بيان السياسة العامة قبل أيام، لكنها في الوقت ذاته تساند بقاء الحكومة وتمنحها الثقة في البرلمان. وتجد أحزاب الأغلبية طريقة في التكيف مع هذا الوضع، عبر تحميل الوزراء مسؤولية الإخفاق في تطبيق برنامج الرئيس الذي تسانده.

أما علاقة الحكومة بالبرلمان، فكانت محل انتقاد واسع حتى من نواب الموالاة الذين خاطبوا الوزير الأول مؤخرا بحسرة، كونهم كما قال بعضهم ينتظرون الوزراء لأكثر من 10 أشهر أحيانا لجرد الرد على سؤال كتابي أو شفوي. وتحدث بعضهم عن مشروع قانون الاستثمار الذي استغرقت الحكومة في تحضيره أكثر من سنة ثم لما طرحته على المجلس الشعبي الوطني طلبت عدم مناقشته من قبل النواب بداعي الاستعجال وحصلت على ما تريد بتمريره دون نقاش. هذه الدعاوى قابلها رد الوزير الأول الذي تحدث عن «وجود علاقة تكاملية بين السلطتين التنفيذية والتشريعية» مشيرا إلى أنه «في مجال الرقابة البرلمانية تم طرح 1708 سؤالا كتابيا على أعضاء الحكومة من قبل نواب الغرفتين، وتقديم الرد على 392 سؤالا شفهيا، وتسهيل تنفيذ 23 بعثة استعلامية مؤقتة ولجنة تحقيق برلمانية، ومشاركة أعضاء الحكومة ومسؤولين آخرين في 47 جلسة استماع عقدت من قبل اللجان الدائمة للبرلمان».

جدل الهوية وإرسال الجيش للخارج

ولم يثبت في الجوانب التي كانت محل تحفظ شديد من الأحزاب الإسلامية حول الهوية جبهة التحرير الوطني لكنها بقيت القوة السياسية الأولى وصعدت حركة مجتمع السلم إلى المرتبة الثانية بينما تراجع التجمع الوطني الديمقراطي ثاني أحزاب الموالاة الرئيسية إلى المرتبة الثالثة في الترتيب، مع تسجيل صعود لافت لكتلة الأحرار (غير المتحزبين). ورغم تقلص الشكاوى من التزوير، إلا أن عدة أحزاب خاصة حركة مجتمع السلم التي اختارت المعارضة، اتهمت جهات في السلطة بالتلاعب بالنتائج وحرمانها من مقاعد مؤكدة.

وبعد أن استقر البرلمان الجديد، وُضع الدستور أمام امتحان آخر، يتعلق بمدى الالتزام بمنطق سيطرة الأغلبية البرلمانية على الحكومة، واحترام التشريعية واستقلاليتها وجعلها شريكا في صياغة القوانين لا غرفة تسجيل مثلما كانت تشكو في السابق. لكن أول حكومة مشكلة في ضوء الدستور الجديد ونتائج الانتخابات التي منحت للرئيس أغلبية رئاسية، لم تخرج عن التقليد السائد في تكليف شخصيات من خارج البرلمان، بتشكيل الحكومة، وهو ما حدث مع نور الدين بدوي الذي كان وزيرا للداخلية في حكومة سابقة، ثم أحمد أويحيى الذي كان مديرا لديوان الرئاسة، ثم عبد العزيز جراد الذي كان وزيرا للمالية في حكومة سابقة.

زاد في تأكيد هذا التوجه، الظرف الدولي الذي دفع بالجزائر إلى إبراز الحياد وإعادة تفعيل دور منظمة دول عدم الانحياز بعد تفجر الحرب في أوكرانيا.

وكان حزب العمال الذي تقوده لويزة حنون من أبرز من هاجموا اقتراح دسترة مشاركة قوات الجيش الوطني الشعبي في عمليات حفظ السلام، معتبرا أن ذلك يشكل قطيعة واضحة مع أهداف الثورة الجزائرية التي طبعت سياسة الدولة الجزائرية القائمة على عدم التدخل في شؤون البلدان الأخرى. وحذر الحزب ذو التوجه اليساري، من أن المشاركة في مثل هذه العمليات هو فقدان كامل لسيادة القرار، وانخراط مباشر في الجرائم التي ترتكبها القوى العظمى في حق العديد من الشعوب. وذكر أن تدخل الجيش خارج التراب الوطني، قد يكون مدعاة لجلب الإرهاب الدولي لبلادنا من أجل الانتقام.

جدل الحقوق والحريات

ولعل القضية الحقوقية، تبقى من أكثر مسائل الجدل حول ما جاءت به مواد الدستور وبين الواقع على الأرض. ويقول المحامي والحقوقي عبد الرحمن صالح، في حديثه مع «القدس العربي» إنه من حيث المبدأ لم يتخلف أي دستور جزائري منذ 1963 عن تأسيس فكرة حماية الحقوق والحريات، بل صرنا نشهد على الأقل من الناحية النظرية تطورا في مجال صيانة هذه الحقوق كلما كان هناك تعديل دستوري أو إقرار لدستور جديد سواء باستحداث هيئات جديدة كالمجلس الدستوري ثم المحكمة الدستورية أو التوسع في مجال تحديد هذه الحريات والحقوق و حمايتها. وأبرز أن دستور 2020 خصص للحقوق والحريات فصلًا كاملا من الباب الثاني بـ 44 مادة، فقد حرص على ترقية حقوق المرأة وتعزيز المساواة بين الجنسين، وألغى القيود على تأسيس الجمعيات والأحزاب والصحف وكرس حق المواطن في الوصول للمعلومة وحماية معطياته الخاصة وحقه في الصحة والسكن والتعليم وحتى في المياه والبيئة النظيفة.

غير أن الإشكال حسب صالح، هو في «تعارض النص النظري مع التطبيق أو كما يقال حساب الحقل لا يطابق حساب البيدر». كما توجد حسبه حالات لاختلاف بين الدستور والقوانين المطبقة له لدرجة التعارض. وكمثال على ذلك، يقول إن «قانون المظاهرات العمومية الصادر سنة 2016 الذي ينظم شروط ممارسة حق التظاهر والتجمهر والتجمع ما زالت نصوصه تفرض الإذن المسبق للإدارة أو الترخيص بعقد الاجتماع سارية المفعول رغم أن الدستور الجديد ألغى هذا الشرط». ومن ناحية أخرى، يضيف، «نجد استمرار المتابعات القضائية ضد الصحافيين بالمخالفة للنص الدستوري الذي ألغى تجريم العمل الصحافي، أو استمرار ملاحقة الأشخاص بناء على ممارستهم حقوقهم الأساسية في التعبير والرأي، إضافة إلى تسجيل العديد من القضايا أمام مجلس الدولة والمحاكم الإدارية للمطالبة بحل أحزاب وجمعيات لا يمكن أن تصنف إلى أحزاب وجمعيات معارضة».

ويتطلب ردم الهوة بين النص والواقع في الميدان، حسب المحامي، إرادة سياسية قوية وديناميكية تشريعية على مستوى النصوص، بحيث «تكون هناك عقوبات قوية ضد مرتكبي هذه الانتهاكات سواء كانوا إدارات أو أفراد، فلحد الآن بشكل عام مع بعض الاستثناءات، لا يوجد تجريم للمخالفات التي ترتكب ضد ما يقرره ويأمر به الدستور».

رسم التوجه الاقتصادي

وفي الميدان الاقتصادي، أعقب اعتماد الدستور الجديد، تغيير وتعديل جملة من القوانين تماشيا مع التوجه الذي كرسه الدستور في تحرير المبادرة وتشجيع الاستثمار وضمان حرية التجارة والمقاولة.

ويقول الدكتور المختص في الاقتصاد رابح دارم في حديثه مع «القدس العربي» إن ما أبرز ما تم المصادقة عليه، قانون الصيرفة الإسلامية الذي يهدف حسبه إلى تقنين عمل البنوك الإسلامية ويحدد آليات نشاطها، ويسمح للبنوك التقليدية بفتح شبابيك ونوافذ إسلامية، وهي محاولة لاستقطاب جزء من الكتلة النقدية المتواجدة خارج الدائرة الرسمية.

وأضاف دارم أن الدور جاء بعدها على قانون الاستثمار الذي كان يشكّل عائقا هاما أمام المستثمرين سواء المحليين أو الأجانب، ففي اب/أغسطس الماضي، تمّ استصدار قانون الاستثمار الجديد الذي شمل جملة من الإجراءات التي تشجّع على استقطاب المستثمرين عموما والأجانب بالأخص عبر طمأنتهم وتوضيح آليات تحويلهم الأرباح للخارج التي كانت مشكلة عويصة بالنسبة لهم في السابق، بالإضافة إلى تأكيد إلغاء قاعدة 49/51 (إجبار المستثمر الأجنبي على إيجاد شريك جزائري تكون له الأغلبية) التي كانت سائدة من قبل وحصرها فقط في قطاعات استراتيجية.

ومن بين القوانين الأخرى الصادرة على ضوء الدستور الجديد، يشير المتحدث إلى قانون خاص بإنشاء الشركات الناشئة والحاضنات الموجّهة لدعم الشباب وتشجيع العمل المقاولاتي لديهم خاصة الطلبة حديثو التخرّج، وقانون آخر حول المقاول الذاتي.

ويرى دكتور الاقتصاد في تقييمه، أنه رغم كل هذه المساعي إلا أنّ البيئة الاستثمارية في الجزائر تبقى غير محفّزة كثيرا خاصة في ظل منظومة بنكية مهترئة تحتاج إلى تطوير بالخصوص مسألة سوق الصرف الموازي، وهو ما يستدعي تعديل أو تغيير قانون النقد والقرض بما يسمح بالتخلص من السعر المزدوج للعملة (سعر رسمي وسعر موازي) ويسمح للبنوك بتبني استراتيجية جديدة مبنية على الرقمنة والمنتوجات البنكية الحديثة وتطوير السوق المالي خاصة البورصة التي تعتبر في سبات منذ إنشائها.

ميديا

اعتقال صحافي في الجزائر ووضعه تحت الرقابة بسبب مقال عن السيارات

لندن-«القدس العربي»:

اعتقلت الأجهزة الأمنية في الجزائر أحد الصحافيين بسبب مقال نشره عن السيارات، ومن ثم أحالته إلى المحكمة التي قررت وضعه تحت «الرقابة القضائية» وهو ما أثار موجة من الغضب في الوسط الإعلامي والحقوقي، خاصة وأنها ثاني حالة اعتقال يتعرض لها صحافي في الجزائر خلال أسابيع قليلة.

واعتقلت الأجهزة الأمنية في الجزائر يوم الثلاثاء الماضي الصحافي نذير كري الذي يدير موقعاً إلكترونياً متخصصاً في استيراد السيارات في موقعه الذي يديره والمتخصص بمجال السيارات، وهو موقع «أوتو الجزائر».

واستمع قاضي التحقيق بمحكمة سيدي امحمد وسط العاصمة الجزائرية مساء الأربعاء لإفادة الصحافي نذير كري ومن ثم قرر إطلاق سراحه بعد يوم على توقيفه، مع وضعه تحت الرقابة القضائية.

وتعني «الرقابة القضائية» أن الصحافي سيظل قيد الإقامة الجبرية، ويتحتم عليه التوقيع لدى مركز الأمن في مواعيد محددة، وذلك لحين صدور حكم نهائي بحقه، وقد ينتهي به الأمر إلى السجن.

وقررت السلطات الحكومية في الجزائر ملاحقة الصحافي كري بموجب قانون المضاربة الجديد، والذي يعتبر نشر معلومات خاطئة عن سلع أو بضائع أو مواد تموينية أو قضايا ذات صلة بالسوق والتجارة، جرماً يعاقب عليه القانون.

كما أوقفت السلطات عضو تجمع وكلاء السيارات، فتحي جمعي، والذي يمثل إحدى علامات السيارات الإيطالية في الجزائر، بعد نشره فيديو على «فيسبوك» انتقد فيه مباشرة وزارة الصناعة الجزائرية لتفاوضها مع الشركة الإيطالية من دون إعلامه بالأمر، رغم كونه وكيلاً.

واعتبرت السلطات قيام جمعة بنشر الفيديو إفشاءً لأسرار ومعلومات، كان رئيس الحكومة أيمن بن عبد الرحمن قد اعتبر أنها يجب أن تظلّ طيّ الكتمان إلى غاية إنهاء المفاوضات.

وهذه ثاني حالة اعتقال لصحافيين في الجزائر خلال أسابيع قليلة، حيث يقضي الصحافي بلقاسم حوام، من صحيفة «الشروق اليومي» شهره الثاني على التوالي في السجن المؤقت إلى حين محاكمته، بعد توقيفه في 9 أيلول/سبتمبر الماضي، على خلفية نشره مقالاً حول وقف تصدير التمور الجزائرية ورد شحنة من فرنسا، بسبب مشكلات تتعلق بمدخلات كيميائية في التمور.

وتعرّضت الحكومة الجزائرية لانتقادات من قبل الهيئات النقابية الصحافية وعدد من نواب البرلمان خلال مناقشة بيان السياسة العامة في البرلمان الأسبوع الماضي، بسبب ما اعتبر «دوسا على الدستور الجزائري» الذي يمنع تسليط العقوبات السالبة للحرية على الصحافيين في ما يخص قضايا النشر، لكن الحكومة لم تعلق على هذه الانتقادات.

صحافيو تونس يواصلون الاحتجاج ضد الحكومة لتحسين أوضاعهم

لندن-«القدس العربي»:

شارك مئات الصحافيين التونسيين في اعتصام احتجاجي يوم الخميس الماضي أمام مقر الحكومة في العاصمة مطالبين بتحسين أوضاعهم، وذلك ضمن سلسلة احتجاجات أعلنوا عنها في وقت سابق قد تصل إلى مقاطعة تغطية الانتخابات المقرر أن تجري في البلاد قبل نهاية العام الحالي.

ونظم الصحافيون التونسيون وقفتهم الاحتجاجية أمام مقر رئاسة الحكومة بدعوة من النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين والجامعة العامة للإعلام التابعة لاتحاد الشغل العام.

ورفعت في الوقفة شعارات «لا للتركيع لا للتجويع» و«لا لتصفية الإعلام» و«لا تنازل ولا تراجع عن الحقوق» و«المشاكل هي هي، من يتحمل المسؤولية».

وجاءت الوقفة على خلفية عرض مشروع قرار على رئاسة «دار الصباح» وإذاعة «شمس إف إم» ودار «سنيب لابراس».

ومن المفترض أن يتم تصفية هذه المؤسسات بإعلان إفلاسها بسبب عجزها عن سداد الديون المتراكمة عليها وعدم رغبة الحكومة التونسية في ضخ أموال لمساعدتها للخروج من أزمتها المالية.

وقال رئيس الجامعة العامة للإعلام محمد السعيدي إن «قرار التصفية القضائية الذي عُرض على الحكومة التونسية يعني القضاء على مؤسسات إعلامية وإحالة العاملين فيها على البطالة الإجبارية، وهو أمر لن نسمح به، وسنعمل على دفع الحكومة التونسية إلى رفض هذا المقترح من مؤسسة الكرامة القابضة، التي تتولى إدارة المؤسسات الإعلامية المصادرة».

من ناحيتها، اعتبرت رئيسة فرع النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين في إذاعة «شمس إف إم» خولة السليتي أن «البعض يريد تركيع الإعلام التونسي حتى وإن اضطر إلى إغلاق مؤسسات إعلامية لها تاريخ عريق، مثل دار الصباح ودار سنيب لابراس، اللتين تعتبران من أعرق المؤسسات الإعلامية التونسية وتشكلان جزءاً من الذاكرة الوطنية».

وهددت النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين والجامعة العامة للإعلام بمقاطعة الإعلام التونسي للانتخابات البرلمانية المقرر إجراؤها في 17 كانون الأول/ديسمبر 2022 في حال عدم استجابة الحكومة التونسية لمطالبهما بإنقاذ المؤسسات الإعلامية التي تعاني من صعوبات مالية.

يذكر أن إذاعة «شمس إف إم» و«دار الصباح» من المؤسسات الإعلامية التي صادرتها الدولة التونسية بعد ثورة 2011.

وتعود ملكية «شمس إف إم» إلى سيرين بن علي، نجلة الرئيس التونسي الراحل زين العابدين بن علي، وتعود ملكية «دار الصباح» التي تصدر صحيفتين يوميتين، إلى محمد صخر الماطري، الصهر السابق للرئيس التونسي الراحل، أما «دار سنيب لابراس» التي تصدر صحيفتين يوميتين، فهي مؤسسة رسمية تعاني من أزمة مالية جعلت الحكومة التونسية تفكر في التخلي عنها.

غضب قطري واسع على شبكات التواصل بعد نشاط تطبيعي لأحد المواطنين

لندن-«القدس العربي»:

اندلعت موجة من الغضب الواسع على شبكات التواصل الاجتماعي في قطر بعد أن ظهر أحد المواطنين القطريين على قناة تلفزيونية إسرائيلية داعياً للتطبيع مع الاحتلال ومعتبراً بأن «إسرائيل موجودة وستبقى وقطر ستكون صديقة للإسرائيليين».

وسارع آلاف المغردين على «تويتر» والمعلقين على «فيسبوك» وشبكات التواصل الاجتماعي الأخرى إلى إدانة ما قام به المواطن حمد السويدي، معتبرين أنه لا يمثل الشعب القطري ولا الدولة الرسمية في قطر، ومؤكدين إنه لا يمثل غير نفسه، رافضين التطبيع مع دولة الاحتلال الإسرائيلي.

وأجرت هيئة الإذاعة والتلفزيون الإسرائيلية «كان» لقاءً مع سائق الراليات القطري حمد السويدي الأسبوع الماضي تحدّث فيه عن إنجاز منحوتته التي تمثّلت في تمثال ضخم يجسّد كأس العالم، وذلك بمناسبة قرب انطلاق مونديال قطر 2022.

وأجرى اللقاءَ مع السويدي مراسل القناة وعبري كايس عبر تطبيق «زووم» حيث تحدّث عن التمثال البالغ طوله نحو 3 أمتار، ووزنه البالغ أربعة أطنان، في حين كشف بأنّ المنحوتة كلّفته نحو 55 ألف دولار بدون الشحن والمصاريف الثانوية.

وخلال حديثه من منزله الكائن في الدوحة، وعد السويدي باستقبال حارٍّ للإسرائيليين الذين سيحضرون المونديال، قائلاً: «الدوحة ملك للجميع».

وعبّر السويدي عن أمنيته بعودة العلاقات الرسمية بين إسرائيل وقطر، زاعماً أن العلاقات التي كانت بين الطرفين ما زالت قائمة، كما تمنّى زيارة إسرائيل، واعداً المراسل روعي كايس بأن يكون أول قطري يزور تل أبيب علناً، وفق قوله. كما وجّه السويدي كلمة للإسرائيليين قائلاً: «أهلاً بكم في الدوحة الجميع» مضيفاً: «هذه بلدهم وانتم أخوة لنا وأهلاً بكم في قطر».

وسرعان ما اشتعلت موجة من الغضب والانتقادات ضد الرياضي القطري بسبب نشاطه التطبيعي مع الاحتلال الإسرائيلي في الوقت الذي تقوم فيه القوات الإسرائيلية بارتكاب جرائم يومية في الأراضي الفلسطينية، وفي الوقت الذي يزداد فيه أعداد الشهداء الفلسطينيين برصاص الاحتلال في الضفة الغربية.

وكتب الإعلامي القطري جابر الحرمي على «تويتر» معلقاً على الحادثة: «الظهور على وسائل إعلام صهيونية، والحديث عن ترحيب وودّ حديث رخيص، صاحبه لا قيمة له ولا وزن في كل المجتمعات العربية.. انظروا لكل الذين ظهروا على وسائل إعلام صهيونية.. إنهم يبحثون عن أدوار، باختصار.. الصهاينة ليس لهم إلا الأحذية».

أما الكاتب الصحافي والمؤلف الدكتور عبد الله العمادي فغرد يقول: «تاهُون في الأرض، باحثُون عن شهرة، لا يمثلون إلاّ أنفسهم.. دوماً وأبداً القطريون ضد التطبيع».

وعلق عضو الجمعية الدولية للعلاقات العامة جاسم ابراهيم فخرو قائلاً: «محمد السويدي يمثلني في كل كلمة قالها وفيها من الصدق والألم والشموخ ما فيها.. رايتك بيضاء أخ محمد والله يجزاك عنا وعن أهل قطر كل خير.. أما حمد السويدي فهو لا يمثل إلا نفسه ونسأل الله له الهداية».

استثناء وصوت نشاز

وغرد أحد النشطاء القطريين قائلاً: «بالرغم من الأسف الشديد الذي نشعر به حيال مشاركة القطري حمد السويدي في قناة صهيونية للترحيب بجنود الاحتلال إلى قطر، إلا أنها لحظة مهمة لتسليط الضوء على هامشية هذا النموذج الذي يعد المثال الصارخ لاستثناء القاعدة».

وقال المواطن القطري أحمد بن خليفة البنعلي: «ظهرت مؤخراً بعض الأصوات النشاز المنادية بالتطبيع مع الكيان الصهيوني، والمرحبة بالمستوطنين لزيارة الدوحة.. يا هذا، منذ متى كان الكيان المحتل «شعب»؟ ومنذ متى كانت قطر بلدهم؟ ومنذ متى كانوا أخوة لنا وأصدقاء؟! لا أهلا ولا سهلا بمن يقتل شعب وأطفال فلسطين.. استح، استح!».

وكتبت شيخة بنت علي مُغردة على «تويتر» تقول: «حمد السويدي: سأكون أول قطري يزور تل أبيب علانية، ونقول للإسرائيليين أهلا بكم في دوحة الجميع، هذي بلدهم ويكونوا أخوة لنا ونقول لكم كشعب إسرائيلي صديق أهلا بكم في قطر راح تشوفوا كرم الضيافة عندنا وتتغير نظرتكم.. وردنا على السويدي: فعلاً إذا لم تستح فافعل ما تشاء».

وغرد حساب «عُمانيون ضد التطبيع» على «تويتر» والذي يديره نشطاء من سلطنة عُمان: «لأول مرة وصدمة لنا جميعاً، مواطن قطري يقول: سأكون أول قطري يزور تل أبيب علانية، ونقول للإسرائيليين أهلا بكم في دوحة الجميع، هذي بلدهم ويكونوا أخوة لنا ونقول لكم كشعب إسرائيلي صديق أهلا بكم في قطر».

وكتب أحمد العيناوي: «حمد السويدي أطلق حملة التطبيع مع إسرائيل في قطر وتحدث باسم الشعب القطري فما هي صفة حمد السويدي في بلده ليروج للعلاقات القطرية الإسرائيلية في ظل رفض شعبي للتطبيع وظهور وسم (#قطريون_ضد التطبيع) مع اقتراب كأس العالم قطر 2022.. تراجع حمد مع تزايد الضغط الشعبي حيث فشل أمام إرادة الشعب».

وعلق إبراهيم الباكر قائلاً: «أدين بشدة ما قام به أحد القطريين من تطبيع مع إحدى وسائل إعلام الكيان الصهيوني وما تفوه به، حيث إنه لا يمثل إلا نفسه وشعب قطر العربي الأبي يرفض التطبيع بكل وسائله».

وكتب سعود محمد الخليفي: «تصرف فردي لا يمثل فيه إلا نفسه، ولا يحق له ولا لغيره أن يتحدث باسم الشعب». فيما قال عبد الله المالكي: «الفتنة أشد من القتل، أميتوا الباطل بالسكوت عنه، لا تقدموا لباطل الصهاينة هدية ودعاية ترويج مجانية، وسيبقى موقفنا قيادةً وشعباً –وآل السودان الكرام– من قضية فلسطين موقفاً مبدئياً لا يتغير».

وغردت سلوى مخاطبة السويدي بالقول: «لا تتكلم بصيغة الجمع لأن الدعوة تمثلك انت فقط ولا تمثل أي قطري أو قبيلة، اختيارك هذا التوقيت تحديدا والخروج للتحدث بحديث غير مقبول له دلالة واحدة فقط، هو تأجيج الرأي وعمل بلبلة ليس لها أول ولا آخر».

وعلق إبراهيم القحطاني بالقول: «اخس على من يطعن مجتمعه وأمّته ويظن بانه يحسن صنعاً، الإسرائيليون مغضوب عليهم ومن والهم يُحشر معهم». فيما كتب الرياشي قحطان: «أراد الشهرة على حساب دينه ووطنه وشعبه نسأل الله الهداية والثبات ونعوذ بالله من الفتن والمحن».

وغرد عبد الهادي الدوسري: «للأسف بدأت تظهر بعض الأصوات المطالبة بالتطبيع مع المحتل الصهيوني، أولاً: منذ متى كان هؤلاء دولة أصلاً؟! لا مرحباً بهم ولا سهلاً في بلاد المسلمين.. فعلاً إن لم تستح فافعل ما شئت».

وكتبت إيمان العمري: «ما الذي يجعل أي شخص مسلم عربي يظهر على وسائل إعلام العدو، لا لينتقده أو يهاجمه أو يدافع عن فلسطين والمسجد الأقصى وإنما ليرحب بأعدائنا ويدعوهم لحضور كأس العالم في قطر.. كيف هانت عليه نفسه وعائلته وبلده، بل كيف هان عليه مسرى النبي؟».

وعلق سفر الهاجري: «عُقدة النقص هي مرض كسائر الأمراض، يحتاج لعلاج، وعلاجه ضبط النفس ولجمها، وليس البحث عن الشُهرة حتى وإن كانت على حساب إستفزاز مشاعر الناس بالقفز على المسلّمات.. نسأل الله السلامة والعافية».

وغرد الدكتور الجيلاني: «ما قام به حمد السويدي يمثل نفسه فقط ويخالف موقف الشعب القطري الرافض للتطبيع بكافة أشكاله مع الكيان الصهيوني والمتضامن مع القضية الفلسطينية والمؤيد للحق الفلسطيني بالعودة، اللهم إني ابرأ إليك مما فعله هذا المتصهين، لا أهلا ولا مرحباً بقتلة أهلنا في بلادنا». وأضاف في تغريدة ثانية: «أؤيد بشدة مطالبة شباب قطر ضد التطبيع في بيانهم بمحاسبة حمد السويدي على تبجحه بالظهور على قناة صهيونية وترحيبه بالصهاينة في بلادنا لا حياهم الله كما أحيي أبناء وبنات بلادي لموقفهم الثابت ضد التطبيع بكافة أشكاله مع الكيان».

شباب قطر ضد التطبيع

وكانت مجموعة «شباب قطر ضد التطبيع» قد أصدرت بياناً أدانت فيه النشاط التطبيعي الذي قام به حمد السويدي، وقالت إن ما فعله «يعد عملاً تطبيعياً مداناً، ويتوافق خطابه مع الخطابات الصهيونية الملتوية حول السلام المزعوم. فدوام الاحتلال لا يبرر أبداً القبول بالأمر الواقع، ولن يمسح التاريخ الأسود لإسرائيل».

وأضافت المجموعة: «إن المواقف الشعبية القطرية الثابتة في دعم القضية الفلسطينية والمناهضة للتطبيع مع الكيان الصهيوني لن تزحزحها هذه الأصوات الناشزة. وهذا ما أكدته التنديدات المتواصلة من قبل الشارع القطري منذ نشر المقطع، حيث انبرى الجميع للتصدي والتنديد بهذا الفعل التطبيعي».

كما طالبت المجموعة بأن «يحاسب حمد السويدي على هذا التبجح والتعدي الصريح على قوانين البلد التي ما زالت تدين التعامل مع هذا الكيان المجرم، ولإهانة السويدي الصريحة لقيم أهل قطر».

علوم وتكنولوجيا

علماء ينجحون في تنمية خلايا دماغ بشري قادرة على التعلم

لندن – «القدس العربي»:

نجح علماء متخصصون في مجال الأحياء في تنمية خلايا عقل بشري داخل مختبر، ومن ثم تمكنوا من تعليم هذه الخلايا بسرعة فائقة أن تقوم بدورها في لعبة كلاسيكية معروفة على الكمبيوتر والهواتف المحمولة، وهو ما يُمكن أن يُشكل طفرة في مجال زراعة الدماغ ويفتح الآفاق أمام علاج العديد من الأمراض.

وكشفت شركة «Cortical Labs» كيف تعلم عقل بشري نما في المختبر أن يلعب لعبة الفيديو الكلاسيكية «Pong» في خمس دقائق فقط، بحسب ما نقلت جريدة «إندبندنت» البريطانية في تقرير اطلعت عليه «القدس العربي».

وتلقي هذه الدراسة ضوءا جديدا على كيفية عمل المادة الرمادية والبيضاء، ما يوفر الأمل في تطوير علاجات جديدة لمرض الزهايمر والحالات العصبية الأخرى.

وتشير النتائج إلى أنه حتى خلايا الدماغ في طبق بتري يمكن أن تظهر ذكاء متأصلا، وتعديلا في سلوكها بمرور الوقت.

ويحتوي العضو، المسمى «DishBrain»، على 800 ألف خلية عصبية تعيش وتعمل جميعها جنبا إلى جنب.

وقال الرئيس التنفيذي للشركة التي توصلت الى الابتكار الدكتور هون ونغ تشونغ: «يقدم (ديش برين) نهجا أبسط لاختبار كيفية عمل الدماغ واكتساب نظرة ثاقبة للحالات المنهكة مثل الصرع والخرف».

وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها تحفيز مثل هذه الخلايا العصبية لأداء مهام موجهة نحو الهدف بطريقة منظمة وذات مغزى.

وعلق الدكتور كاجان: «في الماضي، تم تطوير نماذج للدماغ وفقا لكيفية اعتقاد علماء الكمبيوتر بأن الدماغ قد يعمل. ويعتمد ذلك عادة على فهمنا الحالي لتكنولوجيا المعلومات، مثل حوسبة السيليكون. لكن في الحقيقة لا نفهم حقا كيف يعمل الدماغ».

واختار العلماء لعبة «بونغ» كونها بسيطة وثنائية الأبعاد، وكانت واحدة من أولى الألعاب المستخدمة في التعلم الآلي. ويخطط الفريق الدولي الآن لمعرفة ما يحدث عندما يتأثر «ديش برين» بالمخدرات والكحول.

وقال الدكتور كاجان: «نحاول إنشاء منحنى الاستجابة للجرعة باستخدام الإيثانول، وجعل خلايا الدماغ في الأساس، مخمورة، ومعرفة ما إذا كانت تلعب اللعبة بشكل سيء، تماما كما يحدث عندما يشرب الناس».

وسيكون العلماء قادرون على تجربة استخدام وظائف الدماغ الحقيقية بدلا من الشبكات العصبية المماثلة المعيبة. ومن المحتمل أن يفتح ذلك الباب لطرق جديدة تماما لفهم ما يحدث للدماغ.

وقال المؤلف المشارك في الدراسة، الدكتور بريت كاجان، كبير المسؤولين العلميين في مختبرات «كورتيكال لابس» الناشئة في مجال التكنولوجيا الحيوية في مفيس بولاية تينيسي الأمريكية: «أظهرنا أنه يمكننا التفاعل مع الخلايا العصبية البيولوجية الحية بطريقة تجبرها على تعديل نشاطها، ما يؤدي إلى شيء يشبه الذكاء».

ونمت هذه الخلايا في أطباق بتري فوق مصفوفات من الأقطاب الكهربائية الدقيقة التي يمكن تنشيطها لتحفيز الخلايا العصبية، وبالتالي توفير مدخلات حسية، تقوم بتحريك المضرب للخلف وللأمام وفقا لموقع الكرة.

بمعنى أن الأقطاب الكهربائية الدقيقة الموجودة على جانبي الطبق تشير إلى ما إذا كانت الكرة على يسار أو يمين المضرب، في حين أن تردد الإشارات ينقل مسافة الكرة.

وأوضح الدكتور كاجان: «أظهرنا أيضا أنه يمكننا تعديل التحفيز بناء على كيفية تغيير الخلايا لسلوكها والقيام بذلك في حلقة مغلقة في الوقت الفعلي».

ويعد «DishBrain» مزيجا من الخلايا العصبية البشرية المستمدة من الخلايا الجذعية وخلايا الفئران من الأدمغة الجنينية.

وتم تشغيل الأقطاب الكهربائية الموجودة على يسار أو يمين مجموعة واحدة لإخبار «Dishbrain» بأي جانب كانت الكرة. وتمت الإشارة إلى المسافة من المضرب بواسطة تردد الإشارات.

وتعلمت التغذية المرتدة من الأقطاب الكهربائية في «ديش برين» كيفية إرجاع الكرة بجعل الخلايا تتصرف كما لو كانت هي نفسها المضرب.

وصرح الدكتور كاجان: «لم نتمكن من قبل من رؤية كيفية عمل الخلايا في بيئة افتراضية. لقد تمكنا من بناء بيئة حلقة مغلقة يمكننا قراءة ما يحدث في الخلايا، وتحفيزها بمعلومات مفيدة ثم تغيير الخلايا بطريقة تفاعلية حتى تتمكن من تغيير بعضها البعض بالفعل».

وقال البروفيسور كارل فريستون، المؤلف المشارك من جامعة كوليدج لندن: «إن الجانب الجميل والرائد من هذا العمل يعتمد على تزويد الخلايا العصبية بالأحاسيس (ردود الفعل) وبشكل حاسم القدرة على التصرف في عالمها. ومن اللافت للنظر أن الخلايا المزروعة تعلمت كيفية جعل عالمها أكثر قابلية للتنبؤ من خلال التصرف بناء عليه. وهذا أمر رائع لأنه لا يمكنك تعليم هذا النوع من التنظيم الذاتي، ببساطة لأنه، على عكس الحيوانات الأليفة، ليس لدى هذه الأدمغة الصغيرة إحساس بالمكافأة والعقاب. إن إمكانات الترجمة لهذا العمل مثيرة حقا. هذا يعني أنه لا داعي للقلق بشأن إنشاء توائم رقمية لاختبار التدخلات العلاجية».

وأشار البروفيسور كاجان إلى اكتشاف مثير آخر يتمثل في أن DishBrain لم يتصرف مثل الأنظمة القائمة على السيليكون. موضحا: «عندما قدمنا معلومات منظمة إلى الخلايا العصبية غير المجسدة، رأينا أنها غيرت نشاطها بطريقة متسقة للغاية معها تتصرف في الواقع كنظام ديناميكي. على سبيل المثال، تزداد قدرة الخلايا العصبية على تغيير نشاطها وتكييفه كنتيجة للتجربة بمرور الوقت، بما يتوافق مع ما نراه في معدل التعلم في الخلايا».

والنظرية الكامنة وراءها متجذرة في «مبدأ الطاقة الحرة» حيث يتكيف الدماغ مع بيئته من خلال تغيير أفعاله لتناسب العالم من حوله بشكل أفضل.

ويمتلك «ديش برين» إمكانات في نمذجة المرض واكتشافات الأدوية وتوسيع الفهم الحالي للذكاء.

تطبيق على الهاتف المحمول يكتشف السرطان بمجرد سماع صوت المريض

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء مختصون من ابتكار تطبيق يمكن تثبيته على الهواتف الذكية، ويستطيع تشخيص مرض السرطان من خلال الصوت فقط، حيث يرصد التغيرات التي تحدث بسبب المرض في الحبال الصوتية، ومن ثم يقوم باكتشاف المرض في وقت مبكر، الأمر الذي يسمح بعلاجه ويرفع احتمالات الشفاء من الورم الخبيث.

ويعتمد التطبيق على تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث يقوم التطبيق بتحليل الصوت فقط وبالتالي يقوم بالتنبيه لوجود المرض الخبيث قبل أن يتفاقم وينتشر في جسم المصاب.

وقال تقرير نشرته جريدة «ديلي ميل» البريطانية، إن العلماء تمكنوا من بناء التطبيق باستخدام الذكاء الاصطناعي الذي يقوم بدوره بتحليل الاهتزازات في أنماط الكلام والتنفس للبحث عن أدلة على المرض.

ويجري تطوير التطبيق من قبل «المعاهد الوطنية للصحة» التي تقوم بتمويل مشروع بحثي ضخم لجمع البيانات الصوتية التي ستبني الذكاء الاصطناعي.

و«المعاهد الوطنية للصحة» هي منظمة أمريكية تضم 27 مؤسسة صحية عملاقة، وتعمل من أجل التعاون فيما بينها لتحسين الصحة العامة ودراسة الأمراض والعلاجات اللازمة لها.

ويعرف الخبراء بالفعل أن الكلام يتغير بسبب حالات مثل باركنسون أو السكتة الدماغية، بينما يتأثر التنفس بأمراض الرئة، وهو ما يعني أن التطبيق قد يكتشف العديد من الأمراض ويقوم بتشخيصها بواسطة تحليل الصوت، حسب ما تقول «داييلي ميل».

لكن الأمل هو أن يكون هذا البرنامج قادراً على تشخيص مجموعة واسعة من الحالات، بما في ذلك السرطان والاكتئاب.

وسيبدأ تحالف من الخبراء بجمع أصوات الأشخاص المصابين بأمراض في خمسة مجالات: الاضطرابات العصبية واضطرابات الصوت واضطرابات المزاج واضطرابات الجهاز التنفسي واضطرابات الأطفال مثل التوحد وتأخر الكلام.

وتقول الصحيفة إن هذا التطبيق هو جزء من جسر إلى الذكاء الاصطناعي التابع للمعاهد الوطنية للصحة، وهو برنامج بقيمة 130 مليون دولار يهدف إلى تسريع الاستخدام الواسع النطاق لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في المجال الطبي.

وتقود الدكتورة ياييل بن سوسان، مديرة مركز الصوت الصحي بجامعة جنوب فلوريدا، باحثين من 12 مؤسسة بحثية في هذا المشروع الضخم.

وتعتقد بن سوسان أن «الصوت لديه القدرة على أن يكون علامة بيولوجية للعديد من الحالات الصحية».

وإذا كان التطبيق ناجحاً، فقد يكون تغييراً للعبة للأشخاص الذين لديهم وصول محدود إلى الرعاية الصحية.

وقالت: «إن إنشاء إطار عمل فعال يتضمن مجموعات بيانات ضخمة باستخدام أفضل تقنيات اليوم بطريقة تعاونية سيحدث ثورة في طريقة استخدام الصوت كأداة لمساعدة الأطباء في تشخيص الأمراض والاضطرابات».

والتكنولوجيا التي يمكن أن تسد الفجوة بين المناطق التي يصعب الوصول إليها ومقدمي الخدمات المرخصين، ستكون أيضاً نعمة للتوسع السريع في خدمات الرعاية الصحية عن بُعد.

وقال الدكتور أوليفيه إيمنتو، الباحث المشارك ومدير معهد إنغلاندر للطب الدقيق: «يمكن أن تؤدي نتائجنا المستقبلية إلى ثورة في الرعاية الصحية حيث يمكن لمراقبة الصوت المستمرة أن تنبه الأطباء في وقت أبكر مما هو ممكن حالياً لحالات معينة، مثل العدوى. أو الأمراض العصبية».

ويأمل الفريق في جمع حوالي 30 ألف عينة صوتية فريدة تم التبرع بها بحلول نهاية أربع سنوات، بالإضافة إلى بيانات عن المؤشرات الحيوية الأخرى مثل البيانات السريرية والمعلومات الجينية.

وحسب تقرير «داييلي ميل» فإن تعهد الدكتور بن سوسان ليس أول جهد لتحديد القوة التشخيصية للصوت البشري.

لكن الدراسات السابقة اعتمدت على مجموعات بيانات صغيرة جدًا وكانت المخاوف بشأن خصوصية البيانات على رأس أولوياتنا.

ويحظى المشروع بدعم مالي من المعاهد الوطنية للصحة، وهي وكالة أبحاث متراصية الأطراف تابعة للحكومة الفيدرالية في الولايات المتحدة.

الأغنام تستخدم بنجاح في علاج مرض قاتل

لندن – «القدس العربي»:

استخدم العلماء قطيعا من الأغنام المعدلة وراثيا لتحديد علاج واعد لمرض دماغي وراثي مميت يصيب الأطفال الصغار.

ويقول علماء من المملكة البريطانية والولايات المتحدة، إن عملهم يمكن أن يؤدي إلى تطوير عقاقير للتخفيف من داء باتن الطفولي، حسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «الغارديان» البريطانية.

ويعرف داء «باتن» بأنه مرض وراثي نادر، يتسبب في اضطرابات على مستوى الجهاز العصبي وتدهور متواصل لأجهزة جسم المريض، تؤدي به في النهاية إلى العمى وفقدان النطق والشلل، ومن ثم الموت المبكر.

وهو موروث من أبوين بلا أعراض يحمل كل منهما طفرة جينية متنحية نادرة. ويبدأ الأطفال، الذين يحملون نسختين من هذا الجين المعيب في المعاناة من فقدان البصر وضعف الإدراك ومشاكل في الحركة، تتبعها نوبات وموت مبكر.

ورغم عدم وجود علاج لمرض باتن، إلا أن مقدمي الرعاية الصحية يركزون على علاج الأعراض لتسهيل الحياة على حاملي الجين الخاطئ.

وبدأ العلماء، بقيادة البروفيسور جوناثان كوبر من كلية الطب بجامعة واشنطن في سانت لويس، تجاربهم الأولية بالتعاون مع زملاء لهم في «Collaborations Pharmaceuticals» من خلال اختبارات معملية على الفئران التي قدمت شكلا من أشكال داء باتن، المعروف باسم مرض «CLN1» والذي أمكن علاجه بإنزيم مفقود.

وقال قائد التجارب، البروفيسور توم ويشارت، من معهد روزلين في جامعة إدنبرة، حيث تم استخدام تقنيات الاستنساخ لإنشاء النعجة دوللي في عام 1996: «كان ذلك مشجعا ولكننا كنا بحاجة إلى اختبار العلاج في أدمغة أكبر ذات بنية تشبه إلى حد كبير تلك الخاصة بالطفل. لا يمكن الاستقراء مباشرة من تجارب الفئران إلى البشر. فمن المهم وجود نموذج وسيط أكبر».

ولذلك، استخدم العلماء في المشروع تقنية تحرير الجينات Crispr-Cas9 لإنشاء نسخة من الجين المعيب المسؤول عن CLN1 في الأغنام.

وتمكن العلماء من تكوين قطيع صغير من الأغنام، تم تصميم كل منها بحيث تحمل نسخة وظيفية واحدة من جين «CLN1».

وكشف ويشارت: «تم جمع مبايض الأغنام من المسالخ وإزالة البويضات وتخصيبها. ثم إضافة كواشف Crispr لإجراء التغييرات المطلوبة في CLN1 ثم زرع البويضات في الأغنام الحالّة (عضيات موجودة في الخلايا الحيوانية تحتوي على إنزيمات هاضمة تقوم بتفكيك الزائد أو الهالك من العضيات والغذاء والفيروسات والبكتيريا) من إعادة تدوير النفايات التي تتراكم في الخلايا. وتتم إعاقة هذه العملية في حالة داء باتن.

وكشفت الأبحاث التي أجريت على الفئران أن حقن الإنزيم المفقود في الدماغ أدى إلى تحسينات ملحوظة. ورأت المجموعة أن الانتقال مباشرة إلى التجارب على ضروريا لتمكين الجسيمات البديلة». وأضاف: «إنها حاملة دون أعراض، مثل آباء أطفال داء باتن. ومن خلال هذا القطيع، يمكننا بعد ذلك تربية الأغنام التي تحتوي على نسختين معيبتين. وتستمر تلك الأغنام في تطوير المرض مثل الأطفال، وأصبحت موضوعات لتجاربنا العلاجية».

ويستسلم الأطفال لهذا النوع من داء باتن لأنهم يفتقرون إلى إنزيم تصنعه جينات CLN1 المعيبة، وهو سبب تطور داء باتن عند الأطفال. ويعد الإنزيم البشر لم يكن عمليا أو آمناً.

وأضاف كوبر: «يمكن تفويت مشكلتين مهمتين: كيفية توصيل الدواء إلى المكان المناسب في دماغ أكبر وكيفية زيادة الجرعات».

وحصل الفريق على الإجابات من خلال تجارب على نصف دزينة من الأغنام تمت تربيتها من قطيع الأغنام بجينين معيبين من «CLN1».

وأظهرت نتائج التجارب العديد من السمات المميزة للمرض الذي يصيب الإنسان. ويمكن للعلماء من خلال حساب الجرعة المناسبة وطريقة توصيلها إلى أدمغة الأغنام، ملاحظة التحسينات في المرض.

ويقول العلماء إن النتائج واعدة، لكنهم يؤكدون أنه ما تزال هناك حاجة لعدة سنوات من البحث لتحسين العلاج.

وقال ويشارت: «لقد اكتسبنا رؤى هائلة من شأنها أن تساعد في تطوير علاجات للأطفال يوما ما». وأيد كوبر وجهة نظر ويشارت قائلا: «ما يزال أمامنا طريق طويل لنقطعه ولكننا اتخذنا خطوة مهمة للغاية».

الروبوت الأذكى في العالم يعمل في دبي ويرحب بزوارها

لندن – «القدس العربي»:

شهدت مدينة دبي في دولة الإمارات تشغيل الروبوت الأكثر تقدماً في العالم، حيث تقوم «أميكا» وهي إنسان آلي «روبوت» بتحية الزائرين في متحف في دبي، كما أنها تُعلمّن الموظفين هناك في نفس الوقت بأنها ليست موجودة لتحل مكانهم، وإنما لتساعدهم في أعمالهم.

والروبوت «أميكا» أنشأته شركة «Engineered Arts» التي تتخذ من كورنوال في بريطانيا مقراً لها، وهي «روبوت» قادر على الإجابة عن الأسئلة وتقديم التوجيهات في متحف المستقبل بدبي.

وتستخدم «أميكا» الذكاء الاصطناعي لتوليد الكلام ويمكنها صنع تعبيرات وجه مختلفة، مثل العبوس والابتسام والغمز ومتابعة الشفتين.

ونشرت جريدة «داييلي ميل» البريطاني عبر موقعها الإلكتروني مقطع فيديو من المتحف، حيث يمكن رؤية «أميكا» وهي تتحدث مع موظف آخر، وتحرك ذراعيها لأنها تعرض المساعدة في توجيه الضيوف عبر منطقة الجذب.

كما تظهر «أميكا» في مقطع آخر يظهر أنها تدير عداد علاقات الضيوف، حيث يوضح قدرتها على التحدث باللغتين الإنكليزية والعربية.

وتقول «أميكا» إنها تعمل فقط على «ثلاث بطاريات» وأنها تستمتع بكونها روبوتاً لأنها «لا تتقدم في العمر ولا تتصدع لأي تجاعيد».

وستتمركز «أميكا» خارج معرض المستقبل في دبي والذي يعرض 50 ابتكاراً تقنياً يمكنها حل تحديات العالم.

وكتبت الشركة المنتجة «Engineered Arts» على موقعها على الإنترنت إنه «تم تصميم أميكا خصيصاً كمنصة لتطوير تقنيات الروبوتات المستقبلية، وهي منصة الروبوت المثالية للتفاعل بين الإنسان والروبوت».

وفي حين أن الروبوت لا يمكنه السير في الوقت الحالي، تقول شركة الروبوتات إنها تعمل على إصدار يجعلها أكثر شبهاً بالبشر.

وهناك العديد من العقبات التي يجب التغلب عليها قبل أن تتمكن أميكا من المشي. وقالت الشركة «إن المشي مهمة صعبة بالنسبة للروبوت، وعلى الرغم من أننا أجرينا بحثاً حوله، إلا أننا لم نخلق إنساناً كاملاً يمشي».

ولم تكشف شركة «إنجينيرد آرتس» عن تكلفة صنع الروبوت لأنه لا يزال قيد التطوير، على الرغم من أنه متاح للتأجير لحدث أو معرض مثل هذا الذي في دبي.

وفي الأسبوع الماضي، أظهرت لقطات جديدة أن أميكا تحاكي تعابير وجه الباحث في الوقت الفعلي بدقة مخيفة.

ويبدأ الباحث تشين بمجموعة من حركات العين البسيطة إلى حد ما، وهي النظر لأعلى ولأسفل ومن جانب إلى جانب، والتي تنسخها أميكا بعد ذلك بجزء من الثانية.

ويومض تشين أيضاً بسرعة كبيرة ويجرب بعض أشكال الفم المختلفة، مثل شغاه مدببة وأسنان متشنجة، وكلها مرآة للروبوت. وفي حين أنه لا يتحدث في هذا الفيديو، فقد أظهر القدرة على القيام بذلك في محادثة مع المهندسين حول مستقبل الروبوتات الشهر الماضي.

وقالت أميكا إنه «لا داعي للقلق» وأنها ومثيلاتها موجودون هنا «لمساعدة وخدمة البشر».

وقالت شركة «إنجنيرد آرتس» إن ردودها في الفيديو لم تكن مكتوبة وأنها ببساطة تولد ردودًا مثل ردود فعل الإنسان.

وكتبت الشركة: «لا يوجد شيء في هذا الفيديو مكتوب مسبقًا، فقد تم إعطاء النموذج موجهاً أساسياً يصف أميكا، مع إعطاء الروبوت وصفاً للذات، إنه ذكاء اصطناعي خالص».

وأضافت: «فترات التوقف المؤقت هي الفاصل الزمني لمعالجة إدخال الكلام، وإنشاء الإجابة ومعالجة النص مرة أخرى في الكلام».

ويشهد العالم طفرة غير مسبوقة في إنتاج الإنسان الآلي «الروبوت»، واستخدام تكنولوجيا الذكاء الصناعي في عمليات تشغيل هذه الآلات التي تزداد ذكاءاً واحترافاً يوماً بعد آخر، وهو ما أشاع موجة من القلق في العالم بأن يفقد ملايين الأشخاص وظائفهم ويحل بدلاً منهم «الروبوت».

ومن المرجح أن يتم استبدال الوظائف المادية في البيئات التي يمكن التنبؤ بها، بما في ذلك مشغلي الآلات وعمال الوجبات السريعة، بالروبوتات.

وحسب تقرير سابق صدر عن شركة الاستشارات الإدارية «ماكنزي» ومقرها نيويورك، فإن العديد من المهن أصبحت معرضة للخطر بسبب «الأتمتة».

وقال التقرير إن جمع البيانات ومعالجتها هما فئتان أخريان من الأنشطة التي يمكن القيام بها بشكل أفضل وأسرع باستخدام الأجهزة.

ويمكن أن تحل الروبوتات مكان أعداد كبيرة من العمالة، مثل العاملين في مجال الرهون العقارية، والعمل شبه القانوني، والمحاسبة، ومعالجة معاملات المكاتب المختلفة.

وأضاف التقرير إنه خلافاً للتوقعات والتخوفات فإن «المهن مثل البستانيين والسباكين ومقدمي رعاية الأطفال والمسنين – ستشهد أيضاً بشكل عام قدراً أقل من التشغيل الآلي بحلول عام 2030 نظراً لصعوبة أتمتة هذه الوظائف من الناحية الفنية وغالباً ما تتطلب أجوراً أقل نسبياً، مما يجعل الأتمتة عملاً أقل جاذبية».

اقتصاد

تطورات شرق المتوسط وعرض بوتين لأوروبا: هل اقتربت تركيا من حلم «الممر الاستراتيجي للطاقة»؟

أنابيب السيل التركي

إسطنبول ـ «القدس العربي»: إسماعيل جمال

عقب أيام من توقيع اتفاق استغلال غاز شرق المتوسط بين تركيا وليبيا وتوقيع اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل وما يحمله من دلائل على إمكانية حل الخلافات البحرية بين تركيا واليونان، قدم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عرضاً لأوروبا يقضي بإنشاء مركز في تركيا لنقل الغاز إلى القارة عبر الأراضي التركية، في تطورات متسارعة ترى فيها أنقرة خطى نحو تحقيق حلم البلاد في التحول إلى «ممر استراتيجي للطاقة» في المنطقة. ومنذ سنوات طويلة، تعمل تركيا من أجل أن تتحول إلى «ممر استراتيجي» لنقل الطاقة العالمية لا سيما بين الشرق المنتج والمصدر الأول للبترول والغاز الطبيعي، والغرب الذي يزيد طلبه وحاجته وبات يبحث عن بدائل مختلفة لمصادر الطاقة، ورغم الصعوبات الكبيرة إلا أن أنقرة قد نجحت بالفعل في السيطرة على حصة الأسد من خطوط نقل الطاقة من الشرق إلى الغرب، على أن تبقى التطورات المتسارعة في أوكرانيا شرقي البحر المتوسط حاسمة فيما يتعلق بالطموح التركي برسم خريطة خطوط الطاقة العالمية.

وتعتبر أنقرة أن «موقعها الاستراتيجي» يخولها بأن تكون ممراً رئيسيا لكل خطوط الطاقة العالمية الرئيسية، لكن الخلافات والاضطرابات السياسية والأمنية الكبيرة التي شهدتها المنطقة في السنوات الأخيرة، أجلت الكثير من مشاريع خطوط الغاز، وجمدت مباحثات بين تركيا وإسرائيل لمد أدرنة، وتبلغ طاقته السنوية 16 مليار متر مكعب، ستوصَّل 6 مليارات منها إلى تركيا وتُخصَّص المليارات العشرية المتبقية للأسواق الأوروبية عبر تاب.

وتعتبر تركيا أن مشروع نقل الغاز الطبيعي الآذري إلى أوروبا عبر أراضيها، خطوة استراتيجية مهمة إذ لعب دوراً محورياً لتأمين أنقرة لإمدادات الطاقة لنفسها ولأوروبا. كما يتيح المشروع إمكانية نقل الدول المالكة لاحتياطي واسع من الغاز الطبيعي، وعلى رأسها دول منطقة بحر قزوين، مصادر الطاقة إلى الأسواق العالمية عبر تركيا، حيث بدأت تزيد بشكل لافت كميات الغاز التي تعبر من دول بحر قزوين إلى أوروبا عبر تركيا.

حلم شرق المتوسط

منذ سنوات طويلة تسعى تركيا لأن تكون أراضيها الممر الرئيسي لخط ينقل الاكتشافات الضخمة من الغاز في شرق البحر المتوسط إلى أوروبا، إلا أن هذه المساعي واجهت صعوبات كبيرة طوال السنوات الماضية في ظل خلافاتها العميقة مع دول المنطقة التي تحالفت وتكاتفت من أجل مشروع بديل يستثني تركيا وهو ما تمثل في مشروع ميد إيست الذي أعلن عن فشله رسمياً عقب سحب الدعم الأمريكي وتغير الحسابات والتحالفات في المنطقة.

فتركيا التي نجحت في توقيع اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع ليبيا كان بمثابة فيتو على كافة مشاريع شرق المتوسط حيث يفرض الاتفاق على أي دولة الحصول على إذن تركيا، ما أعقب ذلك مسار إعادة تطبيع العلاقات وإنهاء الخلافات مع الإمارات والسعودية اللتان دعمتا اليونان سابقاً وإسرائيل التي يعتبر قراراها حاسماً في هذا المسار، إلى جانب محاولات إعادة تطبيع العلاقات مع مصر.

كل المتغيرات السابقة، أضيفت لها ارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية ودخول أوروبا في أزمة طاقة حادة جداً دفعت كافة الأطراف لإعادة التفكير عميقاً في أي طريقة يمكن أن تساعد في إنشاء خط غاز لنقل شرق المتوسط إلى أوروبا وهو الخيار الاستراتيجي الوحيد للاستغناء على الغاز الروسي أو تقليل الاعتماد عليه حتى، وفي ظل الحاجة العاجلة أيضاً فإن المقترح التركي هو الأسرع والأوفر والأسهل في التطبيق وهي نظرية تؤكد عليها أنقرة منذ سنوات.

وفي ظل هذه التطورات، جاء الاتفاق المفاجئ بين لبنان وإسرائيل على ترسيم الحدود البحرية ليدعم التكهنات التي تقول إن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا يتوقع أن يمارسون ضغطاً كبيراً من أجل إنهاء الخلافات في شرق المتوسط من أجل الوصول إلى توافق وإنشاء خط يوصل الغاز من هناك إلى أوروبا، حيث مارست إدارة بايدن ضغوطاً كبيرة ومباشرة على بيروت وتل أبيب وهو ما أفضى إلى توقيع الاتفاق، وكخطوة مقبلة يتوقع أن تمارس الدول الغربية ضغوطاً على تركيا واليونان لإنهاء الخلافات وهو ما يرى محللون أتراك أنه سيصب في صالح أنقرة بشكل مباشر.

ومع زيادة قدرات أسطول التنقيب التركي، والاتفاق الأخير بين أنقرة وطرابلس الذي سيسمح بدء التنقيب في مناطق ترسيم الحدود البحرية بين البلدين، يتوقع أن تشهد السنوات المقبلة اكتشافات تركية ليبية وفي حال نجحت بالفعل مخططات تمرير خط أنابيب من شرق المتوسط إلى أوروبا عبر الأراضي التركية، سوف تكون أنقرة الممر الاستراتيجي الأول للطاقة بكل ما يحمله ذلك من أبعاد سياسية واقتصادية استراتيجية.

خطوط نورد ستريم

خطوط استراتيجية

ومن أبرز خطوط الطاقة التي تمر من تركيا خط «السيل التركي» الذي يتكون من أنبوبين لنقل 15.75 مليار متر مكعب من الغاز سنويا من روسيا إلى تركيا وأوروبا مرورا بالبحر الأسود، حيث يغذي الأنبوب الأول من المشروع تركيا بالغاز الطبيعي، بينما يغذي الأنبوب الثاني دول شرقي وجنوبي أوروبا. ويمتد الأنبوب من روسيا إلى تركيا ودول أوروبية، مروراً بالبحر الأسود إلى البر التركي، لينتهي عند الحدود التركية–اليونانية، حيث تقام مستودعات ضخمة للغاز، ومن ثم توريده للمستهلكين في أوروبا.

كما ربطت تركيا بين خط أنابيب تاناب الذي يعبر الأراضي التركية، مع خط أنابيب تاب العابر للبحر الأدرياتيكي، وهو أحد فروع البحر المتوسط الذي يفصل شبه الجزيرة الإيطالية عن شبه جزيرة البلقان، وسبق ذلك افتتاح الجزء الأول العابر للأناضول في ولاية أسكي شهير التركية. ويمتد تاناب من الحدود التركية مع جورجيا، عبر 20 ولاية تركية، وينتهي عند الحدود اليونانية في ولاية

فشل جهود المصالحة سيحرم الفلسطينيين من استخراج غاز غزة

إسماعيل عبدالهادي

أعاد التهافت العالمي على الغاز كمصدر للطاقة في أعقاب الحرب الروسية الأوكرانية، ملف غاز غزة إلى الواجهة من جديد، في ظل الرفض الإسرائيلي لمنح الفلسطينيين حقهم باستخراج الغاز والاستفادة منه، إعلان إسرائيل بدء مد خط أنابيب نقل غاز كاريش وتهديد حزب الله بضرب الحقل، وتفتحت عيون الفلسطينيين على الحقول المطلة على ساحل غزة، التي ترفض إسرائيل السماح لهم بالاستثمار فيها، ما دفع حماس إلى تنظيم حراك شعبي واسع تطالب بحقوقها في الغاز وبالقوة، وسط مخاوف إسرائيلية من نشوب حرب مقبلة من أجل استعادة الغاز المسروق.

ونجحت مصر بعد جهود حثيثة بذلتها مع إسرائيل، في الحصول على موافقة تسمح للسلطة الفلسطينية باستخراج الغاز من حقل غاز مارين، الواقع قبالة سواحل قطاع غزة والمقدر بأكثر من تريليون قدم مكعب، حيث يقضي الاتفاق بقيام صندوق الاستثمار الفلسطيني بمنح الشركة المصرية القابضة «إيغاس» التي تقوم بتطوير حقل غاز غزة مارين، في حين يملك صندوق الاستثمار الفلسطيني حصة تبلغ 27.5 في المئة من الحقل، وشركة اتحاد المقاولين نفس الحصة، بينما الحصة المتبقية البالغة 45 في المئة ستكون للشركة المشغلة.

وكانت حركة حماس بمشاركة الفصائل الفلسطينية قد نظمت قبل أكثر من شهر، حراكا بحريا في ميناء غزة طالبت بضرورة إنشاء ممر مائي يربط غزة بالعالم الخارجي، كما طالبت بحق الفلسطينيين بالثروات الطبيعية من الغاز، وهذا دليل على رغبتها بأن تكون لها حصة من مبيعات غاز غزة حال استخراجه مستقبلاً، حيث أكدت حماس تمسكها بحق شعبنا في ثرواته الطبيعية التي يسرقها الاحتلال الإسرائيلي، وخاصة الغاز الطبيعي في بحر قطاع غزة.

ويمتلك الفلسطينيون على مقربة من شواطئ غزة حقلان من الغاز، وأطلق على الحقل الأول اسم «غزة مارين» ويقع كلياً ضمن المياه الإقليمية الفلسطينية قبالة غزة، أما الحقل الثاني فهو «مارين 2» ويقع ضمن المنطقة الحدودية البحرية بين غزة وإسرائيل، والحقلان اكتشافا عام 1999 لكن إسرائيل لم تعط الفلسطينيين حقهم في استخراج الغاز والاستفادة منه، وأجمعت أبحاث عديدة حول وضع غاز غزة على أن عدد آبار غزة وحجم الكميات فيها أكبر بكثير من الكميات التي أعلن عنها رسميا، فالأمر لا يقتصر على البئرين اللذين تم تطويرهما من شركة بريتش غاز، ومن المحتمل وجود العديد من الآبار الأخرى، لكن المشكلة أنه لا يمكن استكشاف المنطقة الآن بسبب ضيق المساحة البحرية التي تسمح إسرائيل للفلسطينيين بالتحرك فيها، إضافة إلى أن مؤسسة سوا المختصة في شؤون البيئة والطاقة، قد أصدرت تقريراً عام 2017 وثقت فيه سرقة إسرائيل للغاز الفلسطيني، من خلال عمليات استخراجه بطرق غير قانونية على الحدود البحرية مع القطاع.

ومنحت السلطة الفلسطينية شركة بريتش غاز عام 1999 مسحاً لاكتشاف آبار الغاز لتطوير حقول الغاز الفلسطينية في بحر قطاع غزة، دون طرح ذلك في مناقصات دولية تفتح الباب للتنافس والحصول على أفضل العروض لصالح الفلسطينيين، لذلك طرح استخراج الغاز والتعاقد حصراً مع شركات معروفة بعلاقات مع الاحتلال الإسرائيلي الكثير من علامات الاستفهام، في المقابل عرقلت إسرائيل بكل ما تملك من سيطرة على البحر ومن علاقات إقليمية، استخراج الغاز في القطاع الذي يواجه أزمات شبه متواصلة في إمدادات الطاقة بسبب الحصار.

من جهته أكد الكاتب والمحلل السياسي عصمت منصور أن قضية الغاز وإن كانت إسرائيل صادقة في نواياها بمنح الفلسطينيين حق التنقيب والحصول عليه، فإن ذلك سيجبر الأطراف الفلسطينية المتنازعة على التوصل إلى اتفاق مصالحة، لأن ذلك سيخدم جميع الأطراف اقتصادياً، وبالتأكيد سيكون لمصر دور كبير في اتمام المصالحة، كونها الجهة المشرفة على التنقيب والتي ستقوم أيضاً ببيعه.

وأوضح لـ«القدس العربي»: أن موافقة إسرائيل تأتي في ظل مخاوفها المتزايدة من تعرض منصات الغاز الإسرائيلية قبالة سواحل غزة للهجوم بطائرات مسيرة وقذائف صاروخية خلال جولات التصعيد الأخيرة، لذلك تريد منح الفلسطينيين جزءاً من حقهم مقابل تحييد ملف الغاز في أي معركة مستقبلاً.

وأضاف أن السلطة هي الجهة الشرعية الوحيدة المفوضة للاتفاق حول موضوع الغاز، في المقابل تسيطر حماس من جهتها على المناطق الساحلية لغزة، لذلك باعتقادي أي اتفاق حتى وإن تمت المصالحة الحالية بين حماس وفتح، سيترتب عليه تقسيم عادل لعائدات الغاز، وأي خلل في ذلك سيعرقل عملية استخراجه، وربما يجعل ذلك إسرائيل تتراجع عن القرار.

في سياق ذلك يقول المختص في الشأن الإسرائيلي عليان الهندي إن مسألة الغاز تعتبر من القضايا المهمة بالنسبة للفلسطينيين، خاصة وأنهم بحاجة إلى موارد طبيعية توفر دخلا لخزينة الحكومة وسد العجز الحاصل في كميات الغاز التي يتم استيرادها سواء من الجانب الإسرائيلي أو المصري بأسعار مرتفعة.

وأشار لـ«القدس العربي» إلى أن أزمة الطاقة العالمية والمترتبة على التوتر القائم بين روسيا وأوكرانيا وشح كميات الغاز الموردة لأوروبا، فجرتا ملف الغاز في الشرق الأوسط، فإسرائيل تستغل حالة الصمت والتخاذل الدولي، وتضع يدها على كل الحقول التي تجاور فلسطين من البحر، مثل حقل «ماري بي» الذي جففته إسرائيل عام 2012 بعد أن استنفدت جميع الكميات فيه، وكان يحتوي على 1.5 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي، وهي كمية تكفي الفلسطينيين لتزويدهم بالغاز لمدة 15 عاماً على الأقل.

ولفت إلى أن عملية التوافق على استخراج الغاز من حقل مارين قبالة غزة، تستوجب إجماعا وتوافقا فلسطينيا شاملا، لذلك إنهاء الانقسام الفلسطيني في الوقت الحالي أمر ضروري، فلن يكون هناك استخراج للغاز من حقل غزة ما لم يتم توافق فلسطيني شامل حول تقسيم عائداته، وإعادة إحياء الواقع الاقتصادي المتردي وبالتحديد في قطاع غزة.

يشار إلى أن بحر قطاع غزة يضم حقولا للغاز الطبيعي جرى اكتشافها في السنوات الأولى التي أعقبت اتفاق أوسلو، وأهم هذه الحقول حقل «مارين» الذي يعتبر أولى الاكتشافات في شرق المتوسط والذي دشنه الرئيس الراحل ياسر عرفات، وتقدر احتياطاته بنحو 32مليار متر مكعب وتبلغ تكلفة تطويره 1.2مليار دولار، وبإمكانه سد احتياجات الشعب الفلسطيني من الطاقة لمدة 25 عاماً بما فيها توفير الطاقة الكهربائية، ويدر دخلاً سنوياً على خزينة السلطة بنحو 150 مليون دولار.

مقترح بوتين

أعادت حادثة التفجير لخطوط «نورد ستريم» لنقل الغاز من روسيا إلى أوروبا عبر بحر البلطيق مجدداً إبراز مكانة تركيا كممر استراتيجي «إجباري» لنقل الطاقة إلى أوروبا. وعلى مدى العقود الماضية، لم ترغب العديد من الدول الأوروبية في ربط امداداتها بالطاقة من تلك الخطوط التي تمر من تركيا لأسباب مختلفة أبرزها عدم الرغبة في منح تركيا مكانة أكبر كممر استراتيجي للطاقة، بينما لا تخفي دول أوروبية أن تستخدم تركيا هذه الورقة من أجل ممارسة ضغوط سياسية على الاتحاد الأوروبي، إلا أن تفجير نورد ستريم والحاجة الماسة يمكن أن يدفع دول القارة للبحث عن بدائل وحلول وسط.

أبرز البدائل المتوقعة ما اقترحه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الخميس، عندما قال إن تركيا أثبتت أنها الطريق الأكثر موثوقية لتزويد الاتحاد الأوروبي بالغاز، وأضاف قبيل لقاء جمعه مع الرئيس التركي رجب طيب اردوغان في أستانة: «نشحن الغاز إلى الدول الأوروبية عبر تركيا، التي أثبتت أنه يمكنها أن تكون الطريق الأكثر موثوقية لتوريد الغاز إلى الاتحاد الأوروبي» معتبراً أن ذلك حصل «بفضل نهج اردوغان حيال خط أنابيب السيل التركي».

وسبق ذلك بيوم تأكيد بوتين أن قوة خطوط أنابيب «قوة سيبيريا» و«السيل التركي» أثبتت فعاليتهما، لافتاً إلى أن «روسيا تسلم كميات ليست كبيرة، ولكن جيدة من الغاز إلى أوروبا عبر أنابيب السيل التركي» مقترحاً جعل تركيا «الطريق الرئيسي» لشحنات الغاز الروسي إلى أوروبا، عبر بناء مركز للطاقة في تركيا لهذا الغرض. وعن تفاصيل المقترح قال بوتين: «في إطار عمل هذا المركز، الذي يمكننا إنشاؤه معا سيكون منصة ليس فقط للإمدادات ولكن أيضا لتحديد السعر، لأن هذه قضية مهمة للغاية – قضية التسعير.. الأسعار مرتفعة اليوم، ويمكننا بسهولة تنظيمها على مستوى السوق العادية، بدون أي تدخلات سياسية».

وتعقيباً على اقتراح بوتين، قال وزير الطاقة التركي فاتح دونماز أنه يمكن لتركيا تقييم الاقتراح في جعل تركيا «الطريق الرئيسي» لشحنات الغاز الروسي إلى أوروبا، لافتاً إلى أن بلاده استكملت العديد من المشاريع الدولية في مجال الطاقة في الوقت المحدد، وأن المقترح الروسي ممكن تقنيا ويتطلب إجراء دراسات جدوى وتقييما فنيا وتجاريا وقانونيا.

من جهته، أكد الرئيس التنفيذي لبورصة اسطنبول للطاقة، أحمد تورك أوغلو، أن البنية التحتية في تركيا جاهزة لإنشاء مركز غاز كبير، وقال: «بنيتنا التحتية جاهزة لتكون مركزا لتبادل الغاز». وأشار إلى أنه لا يعرف بعد ما هو بالضبط جوهر إنشاء مركز للطاقة في تركيا «لكن في رأيي، يجب أن تكون مثل البورصات من نوع TTF البنية التحتية في تركيا جاهزة للتداول الفوري وسوق العقود الآجلة».

واعتبر المتحدث باسم الكرملين، دميتري بيسكوف، بأنه سيتعين على أوروبا شراء الغاز الروسي، و«السيل التركي» هو المسار الوحيد الموثوق به، لذلك تم اقتراح إنشاء مركز غاز في تركيا، مشيرا إلى أن تركيا مهتمة بتأسيس مركز جديد للغاز، وقال: «كان هناك رد فعل إيجابي للغاية ومهتم».

مدن وآثار

الرصافة لؤلؤة البادية السورية
منذ ما قبل الميلاد توالت عليها حضارات عريقة ودمرها التتار

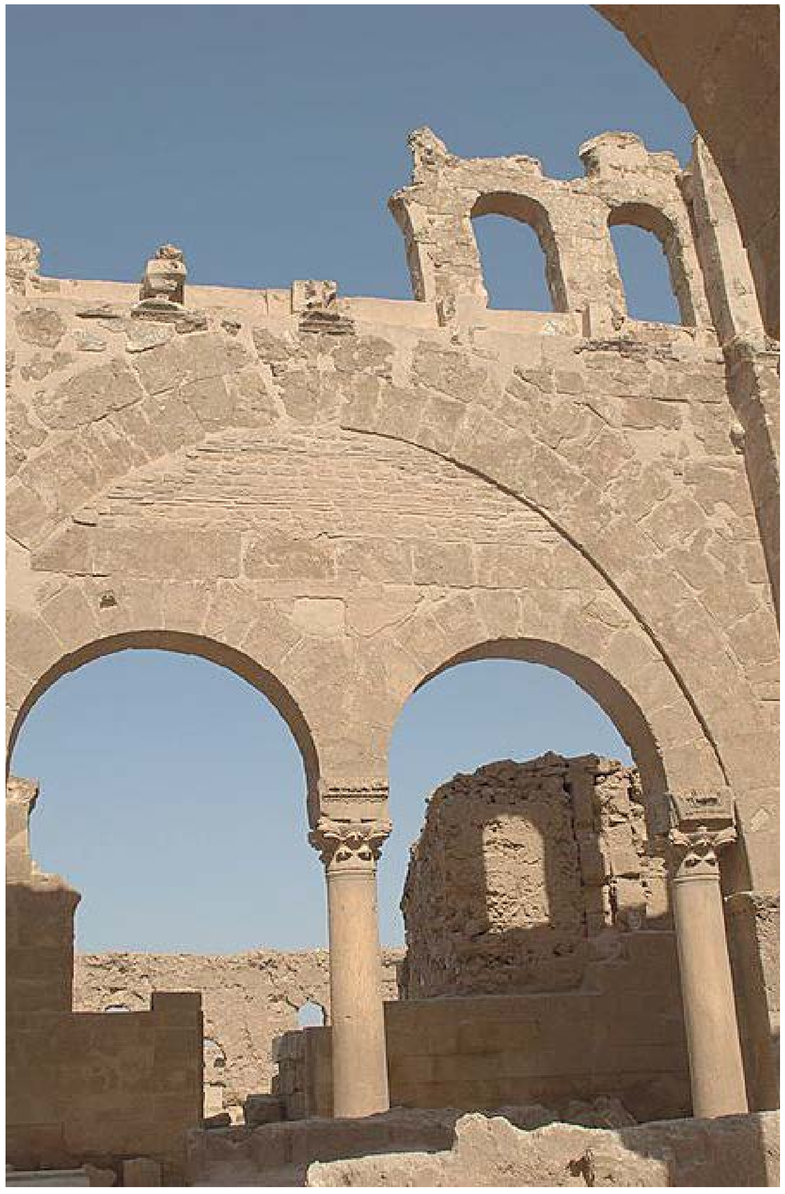

حسام محمد

تحظى الرصافة في سوريا بالعديد من الصفات والمزايا التي تبهر وتلهم كل من يطلع عليها، فهي مدينة عظيمة وتاريخية ممزوجة بحضارة عريقة عبر العصور، تمتد جذورها الأولى وفق العديد من الروايات إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وتُعرف بـ «لؤلؤة البادية» و«شفيع النصارى العرب» وكذلك بـ«رصافة هشام بن عبد الملك».

الرصافة التي كانت في ذات يوم تعج بالحياة والحضارة والأنشطة التجارية والسياسية والثقافية، والتعايش الجميل بين المكونات المجتمعية آنذاك، كانت أيضا مسرحا للحروب والصراعات، في حين دمرها التتار كليا إبان حملاتهم العسكرية، وفي العقد الأخير، أصبحت المدينة التاريخية الرائعة رهينة الفساد والحروب وضعف الاهتمام وبين مطرقة التنقيب وسندان التخريب.

تقع الرصافة على الطريق الرابط بين محافظتي حلب–الرقة على مسافة 30 كيلو مترا من الرقة شمالي سوريا، على نهر الفرات، وقد أصبح اسمها سرجيوبوليس في العصرين الروماني والبيزنطي، وتبدو واحة خضراء وحضارة عظيمة وتاريخ قديم جدا وشعوب متنوعة توارثتها.

الرصافة التي تعني الحجر البراق الذي لم ينضج جيولوجيا، كانت تسمى باليونانية سرجيوبوليس، والتي فسرت على أنها مدينة سرجيوس وهو شفيع النصارى العرب، في حين ذكرت المدينة بالعديد من المدونات التاريخية القديمة، ومنها المدونات الآشورية، تشير بعض المصادر إلى إمكانية ورود ذكرها في التوراة تحت اسم «رصف».

وقد جاء أسمها بصيغة راصف، ثم تحوّل فيما بعد إلى الراسابة، ثم الرّصافة وهو ضمُّ الشيء إلى الشيء، كما يُرصفُ البناء، وقد دُعيت حسب موقع «سورية السياحية» بعد القرن الرابع سرجيوبوليس، أي مدينة سرج، أو سرجيس، نسبةً إلى سانت سرجيس الذي قتل فيها نحو سنة 305 على عهد ديوقلتيانوس.

العديد من الإمبراطوريات والجيوش سعت للسيطرة عليها، كما تنازع عليها اليونان والفرس والرومان، لتغدو لاحقا من المدن التابعة لسيطرة مملكة تدمر–وسط سوريا، والتي امتدت من شمال أفريقيا غربا حتى الخليج شرقا، وفق كتاب موسع نشرته المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق عام 1984م، أعده مديرها بشير زهدي.

ويعود تاريخ الرصافة إلى القرن التاسع قبل الميلاد، عندما قام الآشوريون ببناء معسكر للجيش، خلال العصر الروماني، كانت مجرد بؤرة استيطانية صحراوية محصنة للدفاع ضد الإمبراطورية الساسانية.

كانت الرصافة تقع في منطقة مشتعلة بالحروب الرومانية–الفارسية، ما جعلها تتمتع بحماية دفاعية قوية وأسوار ضخمة تحيط بها دون انقطاع. كما كان بها قلعة، إلا أن الرصافة عانت من ندرة المياه الجارية والينابيع، ما جعل قاطنيها يعتمدون على الصهاريج الكبيرة لتجميع مياه الأمطار في الشتاء والربيع.

وتكمن أهمية الرصافة تاريخيا بموقعها الجغرافي الواقع على طريق القوافل القديم، وهو الطريق الذي يُخلف الفرات، في موقع سوار، ويسير باتجاه البحر المتوسط ماراً بتدمر ودمشق.

الوصف المعماري

تحتوي مدينة الرصافة أو أطلالها اليوم على العديد من الأبنية التاريخية والأثرية والغنية بتفاصيل وعمق الحضارات التي تناوبت عليها.

وزارة السياحة السورية، تشير إلى وجود كاتدرائية كبرى في الرصافة، إذ يتوضع إلى جانبها وعلى جدارها الشمالي محراب ومنبر مسجد هشام الذي أحدثه داخل السور خلافاً لبقية منشآته العمرانية، وهي إحدى أجمل وأعظم ثلاث كنائس من القرن السادس لا تزال باقية سليمة إلى علو 15 متراً.

وهناك أيضا، الكنيسة الكبرى (كنيسة الشهداء) التي تقع جنوب الباب الشمالي للمدينة، ومبنى المارتيريوم (مبنى الشهيد) بالقرب من الباب الشمالي، هذا بالإضافة إلى السور المحيط بكامل المدينة الذي ينتصب اليوم لا مثيل له في تمامه ووضعه، حيث يبلغ طوله الكلي 1850 متراً ويبلغ سمك هذا السور قرابة ثلاثة أمتار.

بالإضافة لثلاث صهاريج لحفظ المياه تعتبر من أعظم وأروع ما خلفه فن بناء مستودعات المياه، وكسائر المدن البيزنطية يأخذ مخطط المدينة شكل رقعة الشطرنج بسبب تصالب شوارعها الرئيسية والفرعية.

في الرصافة يوجد 51 برجا ذات أشكال مستطيلة أو مستديرة أو خماسية الأضلاع وتحتل الزوايا الأربع أبراج مستديرة، وتبلغ المساحة المحصورة بين هذه الأسوار واحداً وعشرين هكتارا.

كما يوجد فيها قديسان شهيران وهما القديس سرجيوس والقديس باخوس، وهما جنديان سوريان من الرصافة دافعا عنها وقضيا في سبيل إيمانهم ودفاعهم عن المسيحية. وهذا ما جعل من الرصافة في القرن الرابع الميلادي، مَقصداً للحج المسيحي، وقدم إليها الحجاج للاحتفاء بالقديس سيرجيوس، لتصبح من أهم الوجهات للحج المسيحي بعد القدس، وتأخذ منحى تطويريا متصاعدا، لتتحول بعد ذلك مركز الحج الأكثر أهمية في وسط

الصحراء في البادية السورية. في حين تشير بعض المصادر إلى أن الخليفة مكث فيها هربا من الطاعون الذي انتشر في دمشق، فيما أسكن عائلته، في قرية الهني والمري وهما ساقيتان جرهما من نهر الفرات إلى قرية واسط مقابل الرقة.

ولم يمكث الخليفة الأموي، وفق مصادر بحثية أرشيفية متقاطعة في الرقة طويلاً، إذ سرعان ما يغادرها إلى البادية، ليقيم في القصر الذي يحمل اسم قصر الحير الذي يعد كمدينة متكاملة، وقصر الحير عبارة عن قصرين، قصر كبير ذو شكل مربّع، يمتدّ على مساحة تبلغ الـ 11200 متر مربّع، ويبلغ 170 متراً طول ضلعه، في حين أن القصر الصغير، فشكله مربع أيضا، إلاّ أنه غير منتظم، وطوله 70 متراً، محاط بأسوار حجرية مدعومة بـ 12 برجاً نصف دائري، ولعل أكثر ما يميزه هو المدخل الوحيد فيه، والقوس الذي يتوسطه، بينما تفصل بين القصرين مئذنة مربعة الشكل بارتفاع عشرة أمتار، وهي ذات مدخل جنوبي ودرج حلزوني دائري.

وقام بن عبد الملك بتشييد قصرين فيها، اكتشف أحدهما جراء عمليات التنقيب عن آثارها، وهو ما جعل الرصافة تحمل اسم الخليفة وتُعرف بـ «رصافة هشام» كما أن للأمير عبد الرحمن الداخل تاريخ مع الرصافة، بعد أن كانت سببا في نجاته من الموت، حيث اختبأ عند تجمع من البدو العرب على أطرافها، ثم غادرها نحو دمشق قبل التوجه إلى الأندلس حيث أسس هناك دولة جديدة للأمويين فيها سميت الدولة الأموية في الأندلس.

عمليات هدم وتدمير

تعرضت الرصافة لأقسى عمليات الهدم والتدمير الكلي على يد التتار إبان هجماتهم على المنطقة ككل، وذلك بعد أن وصلت أخبار جرائم هولاكو في بغداد إلى سكان الرصافة غادروها وبقيت الرصافة عندئذ مهجورة وخاوية على عروشها لتبدو مبانيها الضخمة كأنها تتحدث عن أمجادها.

ووفق كتاب أعده بشير زهدي يوثق أحداثا مهمة حصلت في الرصافة في القرن الماضي، يشير الكتاب إلى عثور فريق من علماء الآثار الألمان على أجزاء من قصري الخليفة هشام بن عبد الملك تحت التراب، وبرج قائم.

عملية بحثية أخرى في عام 1986 عثر فريق ألماني خلال عمليات التنقيب على أجمل أبواب الرصافة تحت الركام، وهو باب يقع في الاتجاه الجنوبي منها، كم تم العثور على شارع محاط بأعمدة مزينة بشكل رائع.

رصافة هشام بن عبد الملك

حظيت مدينة الرصافة الأثرية والتاريخية باهتمام عبر الزمان، فقد اهتم بها العرب الغساسنة وجعلوها عاصمة مملكتهم وبنى فيها المنذر بن جبلة قصره.

وفي العصر الأموي أقام فيها الخليفة هشام بن عبد الملك 691 م – 743 م، وهو من أبرز خلفاء بني أمية، وبدت كعاصمة الدولة، إذ أضحت بعد الإضافات العمرانية والتطوير التي أشرف عليها الخليفة الأموي منتجعا صيفيا، لتبدو آنذاك وكأنها جنة وسط

تنازع عليها اليونان والفرس والرومان لتغدو تابعة لسيطرة مملكة تدمر

كان يؤدي إلى وسط المدينة، وعليه نقوش وزخارف ملونة، وقد عثر كذلك على لوحات رخامية وقطع نقود أموية محفور عليها اسم الرصافة يوجد بعضها اليوم في متحف دمشق، ونُقل بعضها الآخر إلى متاحف الغرب.

وفي العهد العباسي، رفض العباسيون، وفق مدونة «وطن» أن تكون أحد المراكز الأموية مركزاً لخلافتهم، لكن الدراسات بينت أنهم استخدموا المدينة لبضعة أعوام، ثم بقيت مأهولة حتى عام 1250م عند دخول التتار إلى المنطقة وتدميرها.

في كتاب «عشائر الرقة والجزيرة، التاريخ والموروث» من تأليف محمد عبد الحميد الحمد، أشار الكاتب إلى أن الخليفة هشام بن عبد الملك، أولى اهتماما كبيرا للزراعة في الرصافة، فأشرف على زرع الكروم وأشجار الزيتون وحقول القمح، وبني في الرقة سوقاً عرفت في العصر العباسي بسوق هشام العتيق، وذكر أنه أجرى سباقاً اشترك فيه أربعة آلاف فارس لم ير مثله في الإسلام، وكان الأمويون يشجعون الزراعة وإحياء الأراضي الميتة.

وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين سنة (132هـ/751) كانت الرقة بلدة عربية وكان ولاء الناس للحكم الأموي مطلقاً، وزاد تعلقهم بالأمويين، عندما أعلا العباسيون شأن الموالي وأذلوا العرب.

ولم يكن للرافقة أثر قديم وإنما بناها أمير المؤمنين المنصور سنة (155 هـ/772) على شكل نعل الفرس ورتب فيها جنداً من أهل خراسان وجرت مواجهات بين أهل الرقة والرافقة.

ولما قدم علي بن سليمان بن علي بن العباس واليا على الجزيرة نقل أسواق الرقة وسوق هشام العتيق إلى الفضاء الذي كان بين الرقة والرافقة.

رياضة

دوري الأبطال وصمة عار وانتفاضة الملك في جولة الحسم

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

كما كان متوقعا .. بدأت تتكشف ملامح قرعة دور الـ16 لدوري أبطال أوروبا، بعدما أسفرت نتائج مباريات الجولة الرابعة لمرحلة دوري المجموعات، عن تأهل الدفعة الأولى بشكل رسمي وعن جدارة واستحقاق، وأيضا من قطعوا مسافة كبيرة، وأصبحوا على بعد خطوة واحدة من الحصول على تأشيرة الذهاب للأدوار الإقصائية، في المقابل، تقلصت فرص بعض الكبار في الترشح، لدرجة أن منهم من هو مهدد بالسيناريو الأسوأ، باحتلال المركز الأخير في المجموعة، وبالتبعية الحرمان من فرصة المنافسة على اليوروبا ليغ.

وصمة عار

«كانت ليلة صعبة في فترة صعبة، إنها واحدة من الفترات الأكثر صعوبة، ولحظة تحمل المسؤولية، لذا أتواجد هنا، في وضعية مثل هذه لا يتعلق الأمر بشخص واحد، إنها مسألة يتم التعامل معها كمجموعة بأكملها، نشعر بالخزي، نعتذر لجماهيرنا لأننا ندرك أنهم لا يستحقون أن يشعرون بالعار في هذه اللحظة» بهذه الكلمات، حاول الملياردير الإيطالي ورئيس نادي يوفنتوس أندريا أنييلي، امتصاص الغضب الجماهيري العارم، بعد وصمة العار، التي أضرت كثيرا بسمعة وهيبة السيدة العجوز في أوروبا والعالم، جراء التجرع من مرارة الهزيمة الأسوأ والأكثر إحراجا في تاريخ اليوفي، والتي جاءت على يد من نسميه مجازا بالفريق الرابع في المجموعة الثامنة بنتيجة 2–0 ليصبح زعيم الكرة الإيطالية، بحاجة لمعجزة من السماء، لتفادي الخروج المبكر من الكأس ذات الأذنين للمرة الأولى منذ نسخة 2014–2013 مفرطا في فرصة تضييق الخناق على الثنائي المتصدر باريس سان جيرمان وبنفيكا، بعد انتهاء سهرة «حديقة الأمراء» بنفس نتيجة ليلة قلعة «النور» بهدف في كل شبكة، ليحتفظ فريق الأحلام بصدارة المجموعة برصيد ثماني نقاط، بأفضلية الأهداف عن عملاق الكرة البرتغالية، ويتبعهما ممثل جنة الكرة القدم في المرتبة الثالثة بثلاث نقاط فقط، بفارق هدفين فقط عن الفريق الرابع، وذلك قبل زيارة الوصيف في الجولة القادمة، ثم الاصطدام بالبرغوث ليونيل ميسي ورفاقه في المباراة الختامية، المقررة الشهر المقبل على ملعب «يوفنتوس آرينا».

صحيح بلغة الأرقام والحسابات ما زالت الحظوظ قائمة ولو بنسبة 25 في المئة، لكن على أرض الواقع، يُدرك مشجع النادي قبل الغريم والشامات، أن المهمة تبدو شبه مستحيلة، بصرف النظر عن هزيمة الثلاثاء المهينة، وذلك كما تعرف عزيزي مشجع اليوفي، للحالة السيئة التي يعيشها الفريق تحت قيادة ماكس أليغري في ولايته الثانية، بعبارة أخرى، بعد وصول يوفنتوس إلى قاع الحضيض الكروي، نتيجة التراكمات الإدارة والفنية الكارثية، التي لا يتحملها سوى مجلس سليل العائلة المالكة لمجموعة فيات وميستر أليغري، بإصرار غريب على المقامرة باسم وتاريخ يوفنتوس، مثل الإفراط في ضم أنصاف المواهب والنجوم، والعشوائية في الاختيار، التي تظهر في الوفرة العددية السلبية في مراكز معينة، وبوجودة ضعيفة جدا، مثل جيش الوسط الدفاعي، والعكس على سبيل المثال في مركز لاعب الوسط المهاجم والظهيرين الأيمن والأيسر، ولعل من شاهد نكبة منتصف الأسبوع، لاحظ عدم تأثير أو أهمية الظهيرين ساندرو دانيلو، لا على المستوى الدفاعي ولا الهجومي، بجانب الصورة القبيحة للثلث الأخير من الملعب بعد خروج دي ماريا بداعي الإصابة، وفوق ما سبق، لا يوجد ترابط بين الخطوط الثلاثة، ولا أحد يشعر بوجود ولو قليل من التناغم والانسجام وجمل تكتيكية متفق عليها في التدريبات، بدون مبالغة، البعض يشعر وكأن الفريق يلعب بدون مدرب أو خطة لعب، في ظل عجزه على إيجاد طريقة أو وسيلة ما، لإيصال الكرة لثنائي الهجوم فلاهوفينش وميليك داخل مربع العمليات، والمثير للريبة، أن كل التجارب السابقة، أثبتت أن الاعتماد على هذا الثنائي يضر كثيرا بالفاعلية الهجومية، لكن من الواضح، أن أليغري لديه وجهة نظره المختلفة، التي تقود الفريق نحو الهاوية بسرعة الصاروخ، كأنه يعاقب النادي ومجلس إدارته، على قرار طرده في صيف 2019 بعد الخروج من دور الثمانية على يد أياكس أمستردام، ويفعل ذلك على مرأى ومسمع، وفي رواية أخرى وسط «حماية الإدارة» التي ترفض منذ بداية الموسم مجرد التفكير في الاستغناء عن خدمات المدرب، بحجة الشرط الجزائي الضخم في عقده، فكانت النتيجة أو المحصلة النهائية خسارة «الجلد والسقط» بتدمير سمعة النادي عالميا، وعودته إلى المربع صفر، أو ما تعرف بالسنوات العجاف بعد فضيحة الكالتشيوبولي والهبوط إلى السيري بي، ناهيك عن الخسائر المادية الفادحة، التي تفوق قيمة الشرط الجزائي في عقد مستر ماكس، حال استمر الوضع كما هو عليه إلى أن تأتي لحظة الحقيقة، بالخروج من الأبطال بشكل رسمي، بالإضافة إلى الفشل في الحصول على مركز مؤهل للبطولة الموسم المقبل، وهذا ما ينتظره ويتوقعه أغلب المشجعين على يد أليغري في نهاية الموسم.

مجاملة الأصدقاء

يبقى الخاسر الأكبر في جولة الحسم، المدرب تشافي هيرنانديز وفريقه برشلونة، بعد السقوط في فخ التعادل أمام إنتر بنتيجة 3–3 في سهرة «كامب نو» وبعيدا عن الإثارة والنهاية الهيتشكوكية للقمة الإيطالية الكاتالونية، كانت هناك ملاحظات بالجملة على قرارات المايسترو وطريقة إدارته للمباراة، ولعل أكثر من حالفه التوفيق في تلخيص مأساة البرسا أمام الأفاعي، كان النجم المصري محمد أبو تريكة، على هامش تحليله للموقعة عبر شبكة «بي إن» الرياضية القطرية، قائلا بالدارجة المصرية «أوعى تجامل أصدقائك على حساب نفسك»، في إشارة إلى اعتماد المدرب على زملائه القدامى في غرفة خلع الملابس جيرار بيكيه وسيرجيو بوسكيتس، وشاهدنا كيف تفنن صديق شاكيرا السابق، في إصابة جماهير البلو غرانا، بكل أنواع الأمراض الكروية المزمنة، بتدخله الكارثي في لقطة هدف النيراتزوري الأول، أو بدون مجاملة في هديته الثمينة للضيوف، تاركا كرة عرضية، أقل ما يُقال عنها «سهلة وفي المتناول» لتذهب إلى نيكولو باريلا، الذي لم يستوعب للحظة، أن ما فعله بيكيه حقيقيا، قبل أن يتخذ قرار إعادة فريقه إلى المباراة، بهدف التعديل في بداية الشوط الثاني، معها انقلبت المباراة وأحداثها رأسا على عقب، وتجلى ذلك، في الدقائق التي أعقبت هدف التعديل، كأننا نشاهد نفس انهيار البرسا في الدقائق التي تلت الهدف الأول في ليلة الهزيمة أمام بايرن ميونخ في الجولة الثانية، وتأكد هذا الاعتقاد، بالوقوع في نفس الخطأ، الذي تسبب في هدف الزعيم البافاري الثاني، الفارق هذه المرة، أن صديق المدرب، سيرجيو بوسكيتس، هو من قرر تقديم الهدية الثانية، بتمريرة ساذجة، اكتملت بهفوة دفاعية، ربما لا يرتكبها مدافع بعمر 15 عاما، بتدخل متهور من قبل إريك غارسيا على لاوتارو مارتينيز، الذي تعامل مع مدافع مانشستر سيتي السابق، على أنه واحد من تماثيل التدريبات، باستلام ولا أروع بالصدر، ثم

ليفاندوفسكي

بتسديدة على طريقة البلياردو.

ولولا براعة روبرت ليفاندوفسكي، الذي اقتنص التعادل بشق الأنفس، بجانب تألق الحارس تير شتيغن في أكثر من اختبار حقيقي، منهم انفراد صريح مع أصلان داخل منطقة الست ياردات، لعاد سيموني إنزاغي وفريقه إلى شمال إيطاليا بالثلاث نقاط، لكن هذا لا يمنع، أنه حقق الهدف المنشود، بضمان 90 في المئة من تأشيرة مقارعة الكبار في الأدوار الإقصائية، فقط يحتاج لتحقيق الفوز بأي نتيجة على حصالة المجموعة فكتوريا بلزن، في مباراة الجولة الخامسة، ليضمن الترشح بشكل رسمي، بصرف النظر عن نتيجة المعركة الأخرى التي ستجمع برشلونة ببايرن ميونخ في نفس التوقيت، وذلك بموجب قاعدة أفضلية المواجهات المباشرة مع وصيف الليغا الموسم الماضي، أما تشافي، فقد يجد نفسه على موعد مع رحلة «مع المجهول»، بعد انهيار أحلام وطموحات الرئيس جوان لابورتا والجماهير، بالعودة السريعة إلى زمن الخوالي، خاصة بعد الروافع الاقتصادية، التي ساهمت في ضخ ما يزيد عن 150 مليون يورو، لتدعيم مشروع المايسترو بصفقات من العيار الثقيل، لكن من الواضح، أن المدرب ما زال بحاجة لمزيد من الوقت، لاكتساب الخبرات اللازمة لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، بالطريقة التي يريدها الرئيس وشعب كاتالونيا، بما في ذلك قدرته على إدارة المباريات في الأوقات الحاسمة والبحث عن حلول من خارج الصندوق، بدلا من التبديلات المحفوظة، باستبدال لاعب بلاعب، كما يفعل تقريبا في كل مباراة، بإخراج رافينيا وإشراك أنسو فاتي بعد مرور ربع ساعة من الشوط الثاني، والأهم، أن يتحلى بالعدل في اختياراته، مع قليل من الصبر، بدلا من الانفعالات الزائدة والعصبية المبالغ فيها، التي تنعكس بشكل سلبي على اللاعبين داخل المستطيل الأخضر، وفي كل الأحوال .. سواء حصل تشافي على فرصته بشكل كامل أو استبداله لابورتا بمدرب آخر، فهذا لن يؤثر في فرص الفريق في الترشح لدور الـ16، بعدما أصبح بحاجة إلى معجزة –على طريقة يوفنتوس، للنجاة من فضيحة الخروج من دوري مجموعات أبطال أوروبا للمرة الثانية على التوالي.

انتفاضة الملك

في عالم مواز لقمة البرسا وإنتر، كان مدرب ليفربول يورغن كلوب، يتنفس الصعداء، بعد سلسلة النتائج المخيبة لآمال المشجعين، كان آخرها السقوط في ملعب «الإمارات»، في قمة مواجهات الجولة العاشرة للدوري الإنكليزي الممتاز، التي خسرها الريدز أمام مضيفه آرسنال بنتيجة 3–2. ورغم أن مؤشرات مواجهة الجار الاسكتلندي رينجرز، لم تكن مبشرة بالمعنى الحرفي للكلمة، خاصة بعد استقبال هدف مبكر عن طريق سكوت أرفليد، عند الدقيقة السابعة عشر، لكن بعد ذلك، ظهرت قيمة البرازيلي فيرمينو، بإعادة الفريق إلى المباراة، متكفلا بتسجيل هدف التعديل والتقدم الثاني، وتبعه الوافد الجديد دارون نونيز بالضربة الثالثة، إلى هنا، بدت وكأنها واحدة من الليالي الأوروبية اللطيفة، أو مناسبة سعيدة للتغلب على الأحزان المحلية، لكن بمجرد نزول الفرعون محمد صلاح على حساب نونييز، انقلبت إلى واحدة من الليالي التاريخية، التي ستبقى عالقة في الأذهان لعقود قادمة، ببطولة منفردة لقائد المنتخب المصري، تجلت في عجائبه في أعظم 6 دقائق في مشواره الاحترافي، متفوقا على كل أساطير البطولة، منذ النسخة الأولى في منتصف الخمسينات وحتى هذه اللحظة، بالتوقيع على أسرع هاتريك في الكأس ذات الأذنين، محطما رقم الفرنسي بافتيمبي غوميز، بتسجيل ثلاثة أهداف هاتريك، بقميص ناديه السابق ليون في شباك دينامو زغرب، خلال 8 دقائق في العام 2011 غير أنه ضرب عدة عصافير أخرى بهذا الهاتريك، منها مثلا، إزاحة أسطورة كوت ديفوار وتشيلسي ديديه دروغبا، من صدارة اللاعبين الأفارقة، الأكثر تسجيلا في تشامبيونز ليغ، بإجمالي 45 هدفا في رحلته الأوروبية، مقابل 44 للفيل الإيفواري المعتزل، وبالإضافة إلى ما سبق، تخطى الهداف التاريخي لمانشستر سيتي سيرخيو أغويرو ودروغبا، كأكثر محترف في الدوري الإنكليزي الممتاز، تسجيلا للأهداف في ذات الأذنين برصيد 38 هدفا، مقابل 36 للثنائي الآخر، كأفضل دفعة معنوية للمو في هذه المرحلة، بعد الحملة الشعواء، التي تعرض لها في الأسابيع الماضية، بسبب تراجع نسبة أهدافه في بطولته المفضلة البريميرليغ في الربع الأول للموسم، مقارنة بأرقامه الخيالية في مواسمه الخمسة السابقة، ونفس الأمر ينطبق على المدرب كلوب وباقي اللاعبين، فيما يمكن تفسير هذا المهرجان الكبير للأهداف، على أنه استشفاء للفريق، على أمل أن تتحسن الأوضاع وتعود الأمور إلى نصابها الصحيح، بداية من صدام اليوم أمام مانشستر سيتي في كلاسيكو الجولة الحادية عشر للدوري الإنكليزي الممتاز.

محمد صلاح

الدفعة الأولى

بإلقاء نظرة سريعة على الدفعة الأولى، التي ضمنت التأهل بشكل رسمي، سنجد أن الحديث عن الخماسي الجامح منذ الجولة الافتتاحية، في مقدمتهم الحصان الأسود ومنافس ليفربول في المجموعة الأولى، نابولي الإيطالي، بعد وصوله للعلامة الكاملة، بقهر أياكس أمستردام في قلب «دييغو أرماندو مارادونا» برباعية مقابل اثنين، ليواصل المدرب سباليتي وفريقه غزواته القارية والمحلية، بضمان التواجد في قرعة دور الـ16 جنبا إلى جنب مع صموده في صدارة جنة كرة القدم حتى الآن، وبالمثل، لم يجد بايرن ميونخ، أدنى صعوبة في العودة من التشيك، بالنقاط الثلاث الحاسمة، بانتصار سهل على فيكتوريا بلزن، بنفس النتيجة 2–4 لتصبح مباراتي برشلونة وإنتر القادمتين، مجرد تحصيل حاصل، أو لتأمين الصدارة، بينما ثالث المتأهلين، والمفاجأة السارة في هذه النسخة، فكان كلوب بروج البلجيكي، بعد تعادله أمام أتلتيكو مدريد في قلب «واندا مترو بوليتانو» بدون أهداف، في ليلة تألق حارس ليفربول الأسبق المنبوذ سيمون مينيوليه، ليصل إلى النقطة العاشرة، التي منحته بطاقة التأهل من المجموعة الثانية المعقدة، مبتعدا بأربع نقاط عن الوصيف بورتو وست نقاط كاملة عن الهنود الحمر وسبع نقاط عن باير ليفركوزن الألماني، صاحب المركز الرابع، وهو نفس السيناريو، الذي ضمن به مانشستر سيتي، العبور إلى مراحل خروج المغلوب، بعد تعادله السلبي خارج القواعد مع كوبنهاغن، في واحدة من أتعس الليالي بالنسبة لرياض محرز، بعدما أهدر ركلة جزاء في الشوط الأول، ثم اضطر المدرب لاستبداله في نفس الشوط، بعد طرد غوميز في أول نصف ساعة، لكن في الأخير، عاد السيتيزينز بالهدف الرئيسي، التخلص من صداع التأهل، ليتفرغ للاحقة آرسنال على صدارة البريميرليغ قبل مونديال قطر 2022 فيما احتاج ريال مدريد لتضحية أنطونيو رودريغر بدمائه، لإدراك هدف التعادل والتأهل الرسمي أمام شاختار دونيتسك، وأيضا في التوقيت المفضل للنادي الملكي، في آخر لحظات الوقت المحتسب بدل من الضائع، أما باقي نتائج الكبار، بالكاد لم تسفر عن مفاجآت غير متوقعة، بما في ذلك انتصار تشيلسي على ميلان في عقر داره «سان سيرو» بنفس سيناريو انتصار الأسبوع الماضي في غرب لندن، ليقبض البلوز على صدارة المجموعة الخامسة برصيد 7 نقاط، بفارق نقطة عن ريد بول سالزبورغ وثلاث نقاط عن كل من دينامو زغرب وميلان، مع يعني أن فريق المدرب ستيفانو بيولي، بحاجة لتحقيق الفوز في المباراتين المقبلتين، إذا أراد تفادي سيناريو الموسم الماضي، بالخروج من دوري المجموعات، وبطريقة مشابهة، نجح توتنهام في تصحيح أوضاعه في المجموعة الرابعة، بفوز لا يقدر بثمن على حساب آينتراخت فرانكفورت بنتيجة 2–3 في ليلة توهج هيونغ مين سون، ليعتلي السبيرس صدارة مجموعته برصيد 7 نقاط، مبتعدا بنقطة عن مارسيليا وسبورتنغ لشبونة وبثلاث نقاط عن ممثل البوندسليغا، كمؤشرات على أن الجولة القادمة ستكون فاصلة على أغلب المقاعد المتبقية في ثمن النهائي.

الكلاسيكو: طوق نجاة لتشافي أم رد اعتبار لأنشيلوتي؟

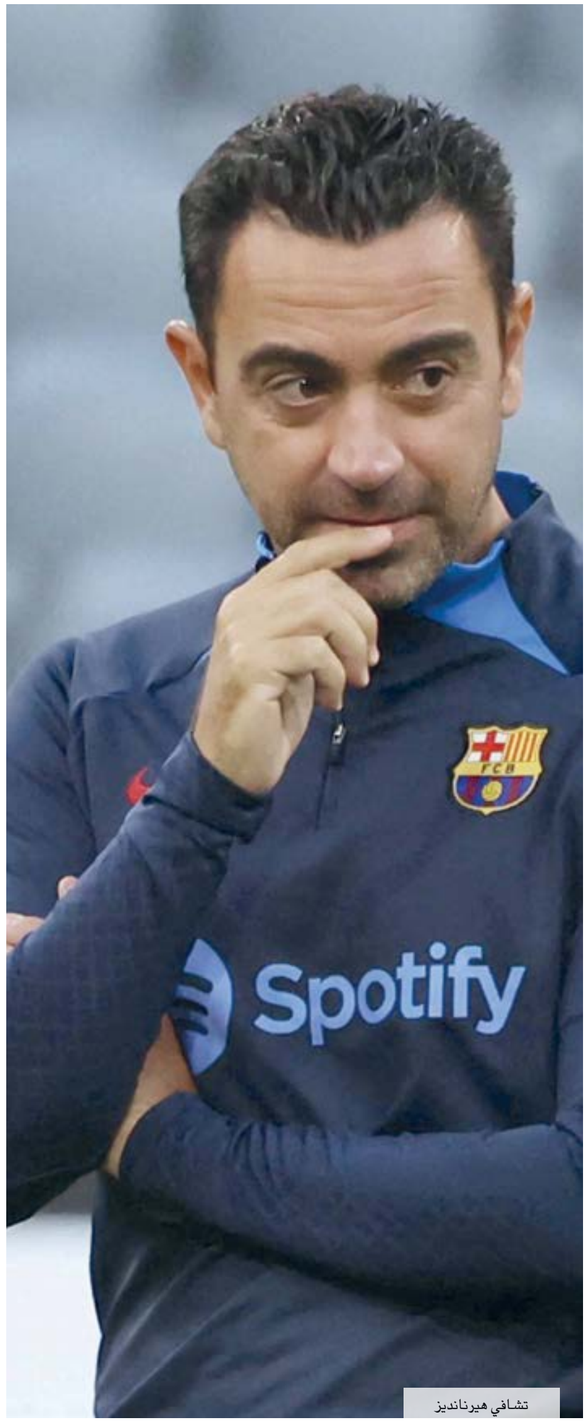
تشافي هيرنانديز

لندن – «القدس العربي»:

تتجه أنظار مئات الملايين من عشاق الطرب الكروي الأصيل في مختلف أنحاء العالم، نحو ملعب «سانتياغو بيرنابيو» مساء اليوم الأحد، للاستمتاع بالمباراة الأكثر شهرة ومشاهدة على هذا الكوكب، بين صاحب الأرض ونادي القرن الماضي ريال مدريد، وغريمه الأزلي برشلونة، في كلاسيكو الجولة التاسعة للدوري الإسباني، الذي سيترتب عليه أشياء كثيرة، نظرا لقيمة وأهمية الثلاث نقاط لكل مدرب في هذا التوقيت الحساس.

الطريق نحو الصدارة

دخل مدرب البرسا تشافي هيرنانديز، حملة البحث عن استعادة الليغا، الغائبة منذ 3 سنوات، بآمال وطموحات تلامس عنان السماء، بعد الميركاتو الاستثنائي، الذي كبد خزينة الرئيس جوان لابورتا، ما يزيد عن 150 مليون يورو، لشراء صفقات بحجم روبرت ليفاندوفسكي، رافينيا وجوليس كوندي، بجانب الهدايا المجانية، متمثلة في مدافع تشيلسي السابق كريستينسن ومحور وسط ميلان السابق فرانك كيسي، مع ذلك، لم تكن البداية سعيدة على الإطلاق، بعد السقوط في فخ التعادل في اللقاء الافتتاحي أمام رايو فايكانو بدون أهداف، قبل أن يأتي الرد العنيف، بسلسلة من الانتصارات المقنعة، أعادت إلى الأذهان رباعيات البلو غرانا في كبار الدوري الإسباني في النصف الثاني للموسم الماضي، مثل اكتساح بلد الوليد برباعية وقادش بلا هوادة، وثلاثية إشبيلية في عقر داره «سانشيز بيزخوان»، ليجني المدرب الكاتالوني ثمار حفاظه على لعبة «جمع الثلاث نقاط» كل أسبوع، بالوقوف على قدم المساواة مع حامل اللقب قبل كلاسيكو اليوم، وبأفضلية الأهداف عن الكتيبة البيضاء.

بالنسبة للمدرب كارلو أنشيلوتي، فكان موفقا في البناء على عمله الاستثنائي الموسم الماضي، مكتفيا بتعزيز الدفاع بالصفقة المجانية الذهبية أنطونيو رودريغر، ولاعب الوسط الفرنسي تشواميني، بعد الاستقرار على قرار بيع النجم البرازيلي كاسيميرو لمانشستر يونايتد في النافذة الصيفية، وحسنا فعل اللوس بلانكوس، بسلسلة من الانتصارات المقنعة، مع الاحتفاظ بنفس الشخصية والعقلية الفولاذية، التي كانت بمثابة كلمة السر في حملة الفوز بثنائية الليغا وكأس دوري الأبطال الرابعة عشر، كما وضح في ليلة تجاوز أتلتيكو مدريد في عقر داره «واندا مترو بوليتانو» بهدفين لهدف، بدون القائد والهداف كريم بنزيما، بداعي الإصابة التي أبعدته عن الملاعب لفترة ليست بالقصيرة، وسبقها تخطى ريال بيتيس في الأسبوع الرابع، متسلحا بروح وعقلية وشخصية البطل، لكن بعد عودة اللاعبين الدوليين من العطلة الدولية، تعثر الفريق في أول اختبار أمام أوساسونا، تلك المباراة التي انتهت بالتعادل الإيجابي بهدف لمثله، في ليلة تعيسة بالنسبة لكريم، بعد إلغاء هدفه الحاسم بداعي التسلل، وقبلها أهدر ركلة جزاء، كانت الثالثة له أمام نفس الحارس سيرجيو هيريرا في المواجهات المباشرة بينهما، وبالتبعية، كانت سببا في عودة الريال إلى وصافة الليغا، بفارق الأهداف عن العدو التاريخي، قبل تحديد هوية الأكثر رغبة وطمعا في اقتناص الصدارة حتى إشعار آخر.

ما قبل الكلاسيكو

تُظهر المؤشرات ونتائج كلا الفريقين في الآونة الأخيرة، أن الأمور لا تسير كما يخطط لها ميستر كارليتو في مدينة فالديبيباس والمايسترو تشافي هناك في الإقليم الكاتالوني، وذلك منذ عودة اللاعبين الدوليين في بداية الشهر الحالي، لأسباب مختلفة، ما بين تأثر البعض بتراجع الأداء الفردي لبعض الركائز الأساسية، وبين معضلة التفاوت الكبير بين مستوى المتاحين وبين الأساسيين، ولنا في الملكي أكثر من مثال، كحالة القلق المسيطرة على الجميع، في ظل غياب الاخطبوط البلجيكي تيبو كورتوا، واعتماد المدرب على الحارس الأوكراني لونين، ويتجلى ذلك في اعتياد الفريق على استقبال الأهداف، باهتزاز الشباك 3 مرات في آخر 4 مباريات في مختلف المسابقات، فقط الديربي المصغر أمام الشقيق المدريدي خيتافي، خرج منه الفريق بشباك نظيفة، مقارنة بالوضع في وجود أفضل حارس مرمى في العالم، الذي يعتبره البعض، العلامة الفارقة والعنصر الأكثر تأثيرا في تتويج الفريق بدوري الأبطال الموسم الماضي، مناصفة مع رجل الموسم كريم بنزيما، وعلى سيرة الجزائري الأصل، هو أيضا لا يعيش أفضل لحظاته، منذ تعافيه من إصابته وعودته للملاعب بعد العطلة الدولية، مكتفيا بتسجيل ثلاثة أهداف فقط من مشاركته في 5 مباريات، وإلى الآن يكافح لاستعادة الحدة التي كان عليها قبل الإصابة.

وبالنظر إلى وضع البرسا قبل الكلاسيكو، سنجد أنه أكثر تعقيدا من الريال، باعتباره أكبر ضحايا ما يُعرف بفيروس الفيفا، بعد تفشي لعنة الإصابات بين نجومه الدوليين، منهم خسارة فادحة، بفقدان المدافع الأساسي والخيار الأول بالنسبة للمدرب، وهو رونالد أراخو، نتيجة الإصابة التي ألمت به في ودية إيران، وعلى إثرها اضطر للخضوع لعملية جراحية، ستعيقه عن ركل الساحرة المستديرة حتى بداية العام الجديد على أقل تقدير، وما ضاعف حجم الكارثة وأثر بشكل سلبي على أداء الفريق، وخصوصا في الشق الدفاعي، غياب المدافع الفرنسي جوليس كوندي، وأيضا بداعي الإصابة

حارس الريال كورتوا

آرسنال أرتيتا والتطور التكتيكي المهول

أرتيتا

جواد صيدم

بعد22 دقيقة من بداية مباراة آرسنال وليفربول، سقط ترينت الكسندر أرنولد بسبب الإصابة بعد تدخل غابرييل مارتينيلي على كاحله. توقفت اللعبة لمدة دقيقتين و30 ثانية. على الرغم من أن آرسنال كان متقدما1–0 إلا أن الزخم قد تأرجح لصالح ليفربول، حيث بدأ رجال يورغن كلوب بالسيطرة على المباراة في حين عودة المباراة إلى مجرياتها.

بالنسبة للمدرب أرتيتا، كل دقيقة توقف في اللعب هي فرصة لإعطاء التعليمات. حيث تم منحه بعض الدقائق وتمكن من الاستفادة منها لنقل التعليمات على عجل لمعظم لاعبيه. إذ استدعى أرتيتا مدافعه غابريل ثم تحدث مع غرانيت شاكا نائب قائد الفريق وأحد أهم لاعبيه.

ومن الملفت أن المحادثة كانت ثنائية الاتجاه. حيث كان أرتيتا يطرح أسئلة على تشاكا بدلاً من إعطاء الأوامر، حيث بدت وكأنها محادثة مزدوجة بين رجلين يثقان ببعضهما البعض ضمنياً. فإذا كان لأرتيتا تعديل تكتيكي، فعادة ما يكون تشاكا الخيار الأول للاستشارة. بعد ذلك، استحوذ أرتيتا على انتباه حارس مرمى آرون رامسديل، حيث أراد مناقشة توزيع رقعة اللعب، حيث طلب منه أن يلعب كرات قصيرة بدلاً من ركلها بعيداً. كما ودعا لاعبيه للضغط على ليفربول قبل استلامهم للكرة مرة أخرى. وبعد لحظات من استئناف اللعب، لعب رامسديل تمريرات ثنائية مع توماس بارتي قبل أن يوزع اللعب للأمام، ثم جاء دور بوكايو ساكا وبن وايت، حيث كانت شراكتهم فعالة على الجناح الأيمن لأرسنال لكنها لا تزال في مهدها. وعندما رأى أرتيتا شيئًا لم يعجبه وعند تناول وايت وصليبا السوائل استمعا إلى أرتيتا، وأتى ويليام صليبا للانضمام إلى المناقشة. وبحلول الوقت الذي وقف فيه الكسندر أرنولد على قدميه، كان أرتيتا قد تحدث مع ستة من لاعبيه الـ11 فمن الواضح أن الرغبة في الاستفادة من فترات الراحة هذه هي تكتيك في حد ذاته، فبمجرد إطلاق صافرة إيقاف المباراة، انتهز أرتيتا فرصته الذهبية.

ففي رياضة النخبة تزداد أهمية التفاصيل الصغيرة. حيث يمكن للتدخل اللحظي في استراحة ما أن يحدث فارقاً لآرسنال. كلمات أرتيتا لم تغير أداء فريقه على الفور، لكنها حالت دون سيطرة ليفربول على المزيد من تفاصيل المباراة. حيث كان من الواضح أيضاً عند انطلاق صافرة الشوط الأول، انطلق آرسنال عبر النفق من أجل إعطاء المزيد من المجال للاستماع لتعليمات المدرب. أرتيتا هو المدرب الذي قطع أسنانه في عصر إعادة الترتيب بعد توقف كرة القدم بسبب الفيروس اللعين. فعندما وفرت فترات الراحة الإجبارية للمدراء الفنيين فرصاً لتقديم محادثات مصغرة مرة على الأقل خلال كل شوط، استغلها أرتيتا بالشكل المطلوب. حيث كانت هذه المهلات التكتيكية لا تقدر بثمن بالنسبة له، واستخدم أحدها بشكل ملحوظ لتغيير رتم الشوط الأول في نهائي كأس الاتحاد الإنكليزي لكرة القدم عام 2020 ضد تشيلسي. وأرتيتا ليس الوحيد الذي يستخدم فترات الراحة لتوصيل الرسائل. ففي كل موقف للكرات الثابتة تقريباً، يترك مدرب الكرات الثابتة نيكولاس جوفر مقاعد البدلاء للوقوف في المنطقة الفنية، حيث يتمثل دوره في المراقبة في المقام الأول، ولكنه يستخدم الإشارات لإرشاد الفريق إلى أي روتين يحبذ استخدامه في وقت معين.

في غضون ذلك، هناك بعض الأشكال التدريب التي تحصل فوق أرضية الميدان، حيث يتحمل اللاعبون المسؤولية عن أنفسهم، إذ أصبح من المعتاد رؤية آرسنال في تجمع، إما قبل ركلة البداية مباشرة أو بعد التسجيل. المثير للاهتمام أنه في تجمع ما قبل المباراة، غالباً ما يكون تشاكا أو غابرييل جيسوس هو من يقود الحديث، ذلك لأن كابتن النادي مارتن أوديغارد لديه مسؤوليات أخرى قبل انطلاق المباراة، كالإجراءات الشكلية مع الحكم كتبادل المعلقات مع قائد الخصم، ففي غيابه يتولى الرجلان اللذين اختارهما أرتيتا لمنصب نائب قائد الفريق قيادة الحديث التحفيزي الأخير للفريق قبل المباراة. وفي المباريات الأخيرة، كان تشاكا هو الذي جمع الفريق معاً بعد كل هدف لتكرار الرسائل الرئيسية.

يبدو أن تطور ميزة التواصل بهذا الشكل هو جزء من فلسفة الإسباني في إدارة اللعبة. فعند توفر استراحة هناك لحظات للتقييم وإعادة التركيز للعبة. آرسنال أرتيتا يزداد ذكاء ويغتنم كل فرصة متاحة لتوصيل رسائل الفنيين لأرضية الميدان. ففي لعبة بهذه الهوامش الرائعة، قد يكون هذا المستوى من الاهتمام بالتفاصيل ذو قيمة كبيرة على جميع الأصعدة.

مجتمع

موريتانيا: نكران آباء لأبنائهم يعيد الجدل حول الزواج السري للواجهة

نواكشوط-«القدس العربي»: عبد الله مولود

أعادت حالات نكران أبوين موريتانيين أحدهما إعلامي والآخر ممثل، لأبنائهما، جدلا واسعا هذه الأيام، حول ظاهرة الزواج السري الشائعة في المجتمع الموريتاني.

ويلجأ بعض رجال موريتانيا لإبرام زواجات سرية لأسباب عدة بينها البحث عن ملذات خارج بيت الزواج الملل من الزوجة أو لوجودها في حالة حمل ونفاس، أو لتستر شاب بزيجة عن أهله الذين لن يتقبلوها خارج مسطرة التقاليد.

كما ينفذ البعض زيجات تتيح التمتع المباح بالنساء بتكاليف قليلة، أو خشية الوقوع في الزنا.

غير أن الزواج السري بجميع ما فيه، يشكل ثقبا أسود في المجتمع الموريتاني لما ينجم عنه من مواليد مشردين ينكرهم الآباء، ولما تتعرض له المرأة داخله من هضم للحقوق، واستغلال جنسي مجرد لا يضمن الحياة الزوجية المستقرة.

الضياع والخراب

وفي بحث بعنوان «زواج السر ضياع النسب وخراب المجتمع: الجهل بأحكام عقد الزواج» كتبت الباحثة الموريتانية الدكتورة رقية أحمد منيه، «أنه لا مناص من التحذير من هذه الباطنة الظاهرة الخفية المستترة بستار الخوف من الحرام أو البحث عن قضاء الوطر في ظل غياب أركان العقد وشروط صحته وأهلية العاقدين وانتفاء الموانع».

وأضافت «علينا جميعا تبصير النساء بحقوقهن، وتنبيه الرجال وتذكيرهم بالواجبات المفروضة» مبرزة «أن البعض يرى أن السبب في وقوع نوازل من هذا القبيل مرده عدم تيسير الزواج وهذا صواب من جهة كثرة وقوع الطلاق بين الزوجين حديثي عهد بالزواج، وله أسباب من أهمها استحداث تكاليف خيالية يعجز الشاب عن تحملها فيحاول تلبية احتياجاته الفطرية عن طريق السر، أو وجود عادات وتقاليد تمنع الزواج من غير الوسط الاجتماعي عند البعض الآخر».

وجمعت الدكتورة رقية الأسباب المؤدية لانتشار الزواج السري في أمور منها الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية أولا، وغياب روح المسؤولية الاجتماعية ثانيا، وعدم فهم المقصد الأساس من عقد الزواج ثالثا.

الميثاق الغليظ

وتوقفت الباحثة عند مسألة عقد الزواج، لتؤكد أنه «عقد عظيم الشأن كبير المعنى ولذلك عبر عنه القرآن الكريم بـ «الميثاق الغليظ» ولكل عقد آثار مرتبة حسب موجبه، حيث أنه يحمل في مضمونه مفهوم المكارمة من قبل الطرفين، وتترتب على ذلك آثار شرعية أولاها بالعناية نسبة الولد لأبيه، وقرر الفقه الأمر لصاحب الفراش وهو الزوج حفاظا على العرض، ووجوب النفقة وتحمل المسؤولية تجاه الأبناء من سقاية غرس الولد بماء الإيمان والتنشئة على الأخلاق الفاضلة والقيم العالية والتكفل بالنفقة والرعاية والتربية والتأديب والتعليم والتهيئة لمواجهة أعباء الحياة».

نزوة وأحكام

ويطرح المتتبعون لهذا الشأن أسئلة منها: هل الزواج نزوة عابرة أو هو لعبة للتسلية أم علاقة مؤقتة؟

ويقول الفقهاء إن الزواج فعل لا ينعقد إلا على التأبيد؛ من دون أن يعني ذلك امتناع وقوع الطلاق بل قوة الرابطة وسمو العلاقة ونبل الهدف.

وترى الباحثة رقية منيه «أن ترك مضمون مفهوم المكارمة من قبل الطرفين، وتترتب على ذلك آثار شرعية أولاها بالعناية نسبة الولد لأبيه، وقرر الفقه الأمر لصاحب الفراش وهو الزوج حفاظا على العرض، ووجوب النفقة وتحمل المسؤولية تجاه الأبناء من سقاية غرس الولد بماء الإيمان والتنشئة على الأخلاق الفاضلة والقيم العالية والتكفل بالنفقة والرعاية والتربية والتأديب والتعليم والتهيئة لمواجهة أعباء الحياة».

وتناولت الباحثة في تشخيصها لظاهرة الزواج السري، حكم من لا يجد قدرة على الزواج، فأكدت «أن البعض قد لا يدرك المسؤولية الشرعية في عقد الزواج فيقدم عليه دون قدرة مادية عليه، ومن لا يملك الباءة فعليه بالصوم، وقد ندب الشارع الحكيم إلى الاستعفاف إلى وجود القدرة».

وتوصلت إلى خلاصة مفادها حسب قولها «أن الاستهتار بعقود الزواج من الناحية العلمية الفقهية قد سدت دونه السبل، ولكن يبقى تنزيل الأحكام على الواقع والمحافظة على تعليم شباب الأمة الضروري من علوم الدين، والعناية بما يتلبس به من العقود والمعاملات، وكذا العمل على تطبيق الأحكام وتحيين القوانين الفقهية والمواد القانونية بأساليب تناسب العصر، وتسد الخلل الواقع في غبن كثير من النساء».

خطورة الزواج السري أو العرفي

وحذرت مهله بنت أحمد رئيسة المرصد الوطني لحقوق المرأة والفتاة في خضم النقاش مما سمته الزواج السري وحتى العرفي السائد في البلدان الإسلامية، وقالت «الزواج السري محرم شرعا لأنه لا يحمي شرف المرأة ولا يحترم كرامتها».

وزادت «صحيح أن المرأة كثيرًا ما تضطر، إلى اللجوء إلى الزواج السري بسبب الظلم والإقصاء من التمكين الاجتماعي والاقتصادي الذي طالما تعرضت وما زالت تتعرض له؛ وثانيًا نظرا لأوضاعها الصعبة المعروفة وخاصة في المجال المادي، لذا فكل زواج غير موثق رسميا وشائع على الأقل في محيطها الاجتماعي يعرض المرأة وأولادها للضياع».

لذا، تضيف بنت أحمد، فتمكين المرأة هو المخرج الوحيد للنساء من الظلم والهشاشة.

ومع أن الزواج السري مخرج للكبت الجنسي وحل لإشكالات عديدة، فإن المنظمات الاجتماعية في موريتانيا ترى أن له انعكاسات خطيرة في مقدمتها هروب الأزواج عن حالات الحمل إذا وقعت وبقاء المرأة في حالة ريبة حيث تتهم غالبا بالزنى.

ويعدد الباحثون المستقصون لسلبيات الزواج السري آثارا سالبة منها إضاعة النسل واستغلال المرأة، وتقبل الغدر والخيانة، وتمسك الرجل المتزوج سرا بزواج مشكوك في صحته لأنه زواج مكتوم عن الزوجة الأولى التي تملك شروطا بالتزام زوجها بعدم وجود زوجة سابقة أو لاحقة عليها.

ولا توجد إحصائيات دقيقة عن معدل انتشار الزواج السري في المجتمع الموريتاني إلا أن سجل إدارة النزاعات الأسرية بوزارة شؤون الأسرة وملفات ومحاضر المحاكم تؤكد أن الزواج السري الذي تكتشفه المرأة هو من أكثر مسببات الخلافات الزوجية التي تبلغ بها الجهات الإدارية والقضائية وتؤدي إلى الطلاق.

كما تؤكد هذه المعلومات أن نسبة كبيرة من النساء المتزوجات بصورة سرية هن مطلقات؛ ومعلوم أن نسبة انتشار الطلاق في المجتمع الموريتاني تناهز 40 في المئة.

وتشير الإحصائيات أن نسبة 60 في المئة من الزيجات السرية في موريتانيا تتم بين رجال متزوجين ونساء مطلقات.

يخنة الدجاج

المكونات

4 ملاعق كبيرة زيت زيتون
بصلة متوسطة مفرومة فرما خشنا
4 فصوص ثوم كبيرة مفرومة فرما خشنا
2 هالبينو مزال منهما البذور ومقطعين إلى شرائح
ملعقة كبيرة اوريغانو مجففة
ملعقة صغيرة كمون مجفف
عبوة طماطم مفرومة
3 أكواب دجاج مطبوخ مقطع شرائح رفيعة
عدة رشات من صلصة ورسيستيرشاير
4 أكواب مرق دجاج
ليمون حامض
كوب أرز أبيض مطبوخ
ملح
كريما حامضة
أوراق الكزبرة الطازجة للزينة

طريقة التحضير

نسخن الزيت في قدر على نار متوسطة، نضيف البصل ونقليه، ثم نضيف الثوم والهالبينو ونترك الخليط على النار حتى يلين المزيج بأكمله، نضيف البهارات ثم الطماطم، والدجاج، وصوص الورسيسترشاير، والمرق.

نترك المزيج يغلي لمدة 20 دقيقة.

نضيف الأرز ونستمر في الطهي لمدة 5 دقائق ثم نتبل اليخنة بالملح حسب المذاق.

نوزع اليخنة على أطباق ثم نزين الوجه بالكريما الحامضة والكزبرة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى إيميل:
recipe@alquds.co.uk

أغذية صحية مضادة للاكتئاب

تظهر المزيد من الدراسات والأبحاث العلمية التأثير الإيجابي للأغذية على صحتنا النفسية. فيما يلي ستة أغذية ينصح الأطباء وخبراء التغذية بإدراجها في النظام الغذائي الصحي للحماية من الاكتئاب أو تخفيف أعراضه.

«الوقاية خير من العلاج» حكمة قالها أطباء وحكماء عرب قديماً، وما زالت الدراسات والأبحاث تكشف عن أهميتها في عصرنا الحالي. في دراسة حديثة، نشرت نتائجها على مجلة «myself» كشف مجموعة من الباحثين عن فوائد بعض الأغذية في الوقاية من الأمراض النفسية وعلى رأسها مرض الاكتئاب أو في علاج أو التخفيف من أعراض هذا المرض النفسي.

توصلت دراسة أسترالية حديثة، أجرتها جامعة «ديكن» في ملبورن، إلى أن تغيير النظام الغذائي والانتقال من الوجبات السريعة إلى الأطعمة الصحية له تأثير إيجابي على المرضى. بعد ثلاثة أشهر، انخفضت أعراض الاكتئاب لدى المرضى بشكل كبير.

يفتقر النظام الغذائي غير الصحي إلى العناصر المغذية للجسم. تؤثر هذه العناصر على الناقلات العصبية للحصول على المشاعر الإيجابية وإنتاج هرمونات السعادة. الأطعمة التي تحتوي على نسبة عالية من الأحماض الأمينية والمعادن والبوتاسيوم والمغنيسيوم وفيتامينات ب وفيتامين د أو أحماض أوميغا 3 الدهنية تؤثر على الحالة المزاجية للإنسان.

فيما يلي ستة أغذية ينصح الأطباء وخبراء التغذية بإدراجها في النظام الغذائي الصحي للحماية من الاكتئاب أو تخفيف أعراضه:

سمك السلمون: يصف خبراء التغذية سمك السلمون بـ «المضاد» الطبيعي للاكتئاب. هذا النوع من السمك غني بأوميغا 3 وفيتامين بـ6 و بـ12 وهذا النوع من السمك يجعل المرء في حالة مزاجية أفضل بشكل طبيعي.

الموز: البوتاسيوم» و«التربتوفان» عنصران غذائيان يوجدان بكثرة في فاكهة الموز، ويعتبران من العوامل المحسّنة للمزاج والمساعدة على إفراز هرمونات السعادة. لذلك إذا كنت تأكل هذه الفاكهة المعمرة، قد تحمي نفسك من الاكتئاب.

الزبادي: الأغذية التي تحتوي على «البروبيوتيك» مثل الزبادي تحفز الجراثيم المعوية. في هذا السياق، وجد الباحثون أن بكتيريا الأمعاء هي المسؤولة عن مزاجنا. فكلما كانت الفلورا المعوية أفضل، كنا أكثر سعادة.

البيض: فيتامين د. الموجود في البيض له تأثير إيجابي على مرض الاكتئاب. يحتوي الفطر والجبن الصلب والأسماك الدهنية أيضًا على الكثير من الفيتامينات.

الفلفل الحار: تطلق التوابل الحارة هرمون «الإندورفين» وهو من هرمونات السعادة. تعمل هرمونات السعادة هذه على الاسترخاء وتحسين الحالة المزاجية على المدى الطويل. أنواع أخرى من الفلفل أو الفلفل الحار لها نفس التأثير أيضا.

جذور الشمندر: تحتوي جذور الشمندر على حمض «الفوليك» الذي يعمل على تعزيز إنتاج هرمونات الشعور بالسعادة. هذه الهرمونات لها تأثير إيجابي على التعب والأرق. كما تحتوي السبانخ والهليون والبقوليات المختلفة أيضا على الكثير من حمض «الفوليك».

الحمل

لا تعبر عن مشاعرك لأي شخص اليوم

الثور

تحفظ عن التصرف بطريقة ارتجالية

الجوزاء

الحب في طريقه إليك

السرطان

تحتاج إلى وقت للراحة والاسترخاء

الاسد

وظّف طاقاتك في أمور إدارية وتنظيمية

العذراء

لا تكن ضعيفا أمام الخصوم

الميزان

كن منفتحاً على الحياة بعيداً عن الشك

العقرب

بعض الأشخاص يتصرفون بأنانية

القوس

لا تخلق نزاعات بينك وبين الآخرين

الجدي

تنعم بأجواء مهنية جيدة

الدلو

فكر في مستقبلك الصحّي

الحوت

ميل إلى التغيير والتقدم والتطور

جديد الطب

دراسة طبية: تلوث الهواء يُهدد الأطفال في بطون أمهاتهم

لندن ـ «القدس العربي»:

أظهرت دراسة طبية حديثة أن الهواء الملوث يؤدي إلى ضرر بالغ وكبير بالأطفال وهم في بطون أمهاتهم، وهو ما يزيد من الضغوط من أجل تقليل انبعاثات التلوث في العالم والتي تنتجها الدول الصناعية الكبرى في العالم.

وحسب الدراسة التي أجراها باحثون من بريطانيا وبلجيكا فقد تبين أن الملوثات الموجودة في الهواء يمكن أن تصل للأطفال داخل الرحم وتؤثر على نمو أعضائهم بشكل كبير.

ووجد الباحثون في الدراسة التي نشرت نتائجها في مجلة «لانسيت» الطبية، أن جزئيات الكربون السوداء الموجودة في الهواء، قد تنتقل إلى الأجنة وتسبب الكثير من المشكلات الصحية سواء لهم أو للأم فيما بعد.

وأجرى الباحثون فحوصات على مجموعة من الحوامل خلال الأسابيع الأولى من الحمل، حيث تبيّن للعلماء أن خطر الهواء الملوث وما يحتويه من جزيئيات سامة جدا، قد تنتقل لأعضاء الأجنة عبر المشيمة مسببا خطرا يقود للوفاة. وأضافت الدراسة، أن الجسيمات الثانوية لتلوث الهواء المركز بالكربون الأسود، تستطيع الوصول إلى الأعضاء النامية للجنين، بما في ذلك الكبد والرئتين والدماغ.

ويرى الباحثون أن التعرض لتلك الملوثات يزيد من خطر الولادة المبكرة وانخفاض الوزن وحتى عيوب الولادة.

وتكمن خطورة هذه الدراسة كونها تتماشى مع التقرير السنوي الثالث لمنظمة الصحة العالمية، الذي صدم الجميع فيما يتعلق بالصحة العامة لأطفال العالم، حيث قال إن 90 في المئة من أطفال العالم يتنفسون هواء سامًا.

وتقول منظمة الصحة العالمية إن تلوث الهواء الخارجي هو أحد أكبر مشاكل الصحة البيئية التي يتضرر منها جميع سكان البلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل ومرتفعة الدخل.

وتشير تقديرات عام 2016 إلى أن تلوث الهواء المحيط (الهواء الخارجي) في المدن والمناطق الريفية، على السواء، يتسبب في وقوع نحو 4.2 ملايين وفاة مبكرة سنوياً في العالم، وهو ما يُعزى إلى التعرض للجسيمات الصغيرة التي لا يتجاوز قطرها 2.5 ميكرومترات (PM2.5) والتي تسبب الإصابة بالأمراض القلبية الوعائية وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض السرطان، حسب تقرير للمنظمة اطلعت عليه «القدس العربي». وحسب المنظمة فقد وقعت نحو 91 في المئة من هذه الوفيات المبكرة في البلدان المنخفضة الدخل وتلك المتوسطة الدخل، وتركّز أكبر عدد منها في إقليمي المنظمة لجنوب شرق آسيا وغرب المحيط الهادئ.

وتقول المنظمة إنه «كلما انخفضت مستويات تلوث الهواء تحسّنت الصحة القلبية الوعائية والتنفسية لدى السكان، على المديين البعيد والقريب».

وفي عام 2019 كانت نسبة 99 في المئة من سكان العالم تعيش في أماكن لم تكن تفي بالمستويات المحددة في المبادئ التوجيهية الصادرة عن المنظمة بشأن نوعية الهواء.

وتشير المنظمة إلى أنه «إضافة إلى تلوث الهواء الخارجي، يشكل الدخان المنبعث في الأماكن المغلقة خطراً جسيماً على صحة حوالي 2.6 مليارات شخص يطهون طعامهم ويُدفئون منازلهم باستخدام وقود الكتل الحيوية والكيروسين والفحم».

الماريغوانا والكبتاغون مخدرات خطيرة تهدد النسيج الاجتماعي في غزة

إسماعيل عبدالهادي

رغم الإجراءات المشددة من قبل العناصر الأمنية التابعة لحكومة حماس على معابر غزة وبالتحديد معبر كرم أبو سالم ومعبر إيرز، إلا أن محاولات تهريب الحبوب المخدرة بكافة الأنواع إلى داخل قطاع غزة تسير بوتيرة مرتفعة، وتكون مخبأة بطريقة احترافية داخل حاويات ملابس يتم استيرادها من الخارج، فكميات البضائع الكبيرة التي تصل من معبري رفح وكرم أبو سالم، لا تتناسب مع الإمكانات المحدودة الخاصة بالكشف عن الممنوعات، ما يصعب عمليات التفتيش والتدقيق. فالطاقم البشري يعمل بإمكانيات محدودة، ولكن رغم شح هذه الإمكانيات إلا أن هناك تحقيق إنجازات كبيرة.

وسابقاً كانت عمليات تهريب الحبوب المخدرة والحشيش وغيرها من الممنوعات تتم من خلال الأنفاق مع مصر، ولكن بعد تدميرها من قبل مصر على خلفية الأوضاع المتوترة في سيناء، باتت معابر غزة التجارية وبالتحديد معبر كرم أبو سالم مع إسرائيل، من أكبر التحديات لإدارة مكافحة المخدرات بغزة، وتتعمد إسرائيل بإدخال هذه الممنوعات لضرب النسيج الاجتماعي داخل غزة.

وتعتبر حبوب الكبتاغون أو كما يطلق عليها حبوب روتانا والماريغوانا، من أخطر أنواع الممنوعات التي تتسبب بتلف أنسجة وخلايا المخ، فهذه النوعيات تتعدى خطر كونها حبوباً مخدرة، بل تندرج تحت بند عقاقير الهلوسة، وتعاطيها قد يصاب بالهلوسة السمعية والبصرية، وقد يرى تخيلات ومشاهد غير حقيقية.

ومع تصاعد حدة الخطر داخل غزة، وتوجه عدد كبير من الشبان للانخراط في تجارة الممنوعات التي باتت تشهد إقبالاً من قبل المواطنين، أوصى تقرير صادر عن لجنة الداخلية والأمن الوطني بالتعاون مع وزارة الحكم المحلي بشأن المخدرات في قطاع غزة، بزيادة عدد عناصر الإدارة العامة لمكافحة المخدرات وتعزيز امكانياتها اللوجستية، وتخصيص امتيازات خاصة لمنتسبي الإدارة العامة لمكافحة المخدرات تشمل حوافز وعلاوة مخاطرة، كما أوصى التقرير بتشديد الرقابة على الحدود البحرية والبرية، واعتبار الجرائم المضبوطة مركبة تجتمع فيها جريمتا التهريب والإتجار بالمخدرات، لتوقيع أقصى العقوبات على المجرمين، مع التأكيد على العمل لتوفير أجهزة فحص حديثة على المعابر.

وأقدمت شرطة مكافحة المخدرات مؤخرا، على قتل اثنين من المواطنين من سكان منطقة دير البلح، ممن وصفتهم بكبار تجار المخدرات في غزة، حيث قالت الشرطة في بيان، إن معلومات وصلت لإدارة مكافحة المخدرات بأن القتيلين كانا على موعد مع استلام شحنة من المواد والحبوب المخدرة، فقامت الشرطة بنصب كمين لهما في محاولة لإلقاء القبض عليهم، لكن محاولة فرار التاجرين دفع الشرطة إلى إطلاق النار ما أدى إلى قتلهم.

وقال المتحدث باسم وزارة الداخلية والأمن الوطني في غزة إياد البزم في تصريحات صحافية، إن الوزارة تتعامل مع المخدرات كملف خطير يمس أمن شعبنا ويهدد الأجيال، والاحتلال الإسرائيلي هو المعني الأول بإدخالها لغزة بأشكال مختلفة، مضيفاً أن الأجهزة الأمنية ماضية في الحفاظ على سلامة وأمن الشعب، ومواجهة كل ما يهدد استقرار المجتمع، لافتاً إلى أن الجهد التوعوي والمجتمعي أساسي وضروري ومهم من أجل مواجهة هذه الآفة الخطيرة إلى جانب عمليات الضبط، حيث «نعمل بدورنا كجهة حكومية في مسارات مختلفة، منها التوعية والتواصل مع شرائح المجتمع المختلفة، كي نحمي الأجيال من تفشي السموم الخطيرة».

ويقول المختص في الصحة النفسية والعصبية الدكتور عايش سمور إن ظاهرة انتشار المخدرات من الظواهر الأكثر تعقيداً وخطورة على صحة الإنسان والمجتمع، خاصة وأن غزة بشكل خاص تقع تحت الاحتلال الإسرائيلي المستفيد الأول من ترويج المواد المخدرة، بهدف تغييب الشباب الفلسطيني عن أهدافهم وطموحاتهم المستقبلة، ونشر الفتنة والجرائم داخل المجتمع.

وقال لـ«القدس العربي» إن حالات التعاطي بين الشباب في غزة وصلت إلى مراحل متقدمة وخطيرة، وهذا أدى إلى تعرض المتعاطين إلى مشاكل نفسية وعصبية، تسببت في كثير من الجرائم بسبب غيابهم عن الوعي.

وأوضح أن حبوب الكبتاغون هي من الأكثر خطورة في القطاع، ومصدرها الأساسي الاحتلال الذي يقوم بتهريبها عبر معبر كرم أبو سالم، في المقابل يفرض الاحتلال حصاراً مشدداً لمنع إدخال أجهزة الأشعة السينية التي تسهم في الكشف عن المخدرات، كما يمنع تطوير أدوات الكشف داخل المعابر بحكم سيطرته عليها.

ووفق مصدر في جهاز مكافحة المخدرات، فقد طالب المجلس التشريعي ولجنة متابعة العمل الحكومي في غزة، بفرض إجراءات صارمة وتشديد العقوبات بحق تجار ومروجي المخدرات، والضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه بنشر السموم داخل المجتمع، حيث تم تشكيل محكمة الجنايات الكبرى لمحاكمة كبار تجار المخدرات، ضمن عقوبات رادعة مشرعة قانونياً للحفاظ على مجتمعنا الفلسطيني قوياً متماسكاً أمام التحديات الواقعة عليه.

ويفرض القانون الفلسطيني عقوبة السجن المؤبد بل وحتى الإعدام على مهربي المخدرات، لكن الكثيرين يفلحون في الإفلات من عقوبات بالسجن لفترات طويلة، وقبل ثلاثة أعوام قضت محكمة عسكرية في غزة بإعدام فلسطينيين اثنين هربا مخدرات إلى داخل القطاع، وهو أول حكم إعدام في غزة بتهمة الإتجار بالمخدرات.

منوعات

حرب أكتوبر بطولات تاريخية ظلمتها أفلام الحب وقصص الغرام

كمال القاضي

برغم مرور 47 عاماً على حرب أكتوبر 1973 لا تزال السينما المصرية تقف عند تاريخ العام التالي للانتصار العسكري المجيد. فمعظم الأفلام الحربية المحفوظة عن ظهر قلب تم إنتاجها في أعقاب الحرب وهي مجموعة أفلام تُعد على أصابع اليدين، وبعضها يحمل من الأخطاء والسذاجة ما يهبط بمستوى الحدث العظيم ويُقلل من امكانيات السينما المصرية البادئة قبل مئة عام وأكثر.

الغريب في الأمر أن الأفلام التي تتحدث عن نكسة يونيو هي الأجود فنياً وإبداعياً والمُعتنى بتفاصيلها ومفردات تميزها، كأنه الألم قد صنع من المأساة واقعاً حياً صورته السينما كما حدث تماماً، ففيلم «أغنية على الممر» هو الأكثر واقعية واتقاناً ويرجع فيه الفضل إلى المخرج علي عبد الخالق والكاتب علي سالم، اللذان تباريا في العناية والاهتمام حتى جاءت الصورة الميلودرامية المُحزنة لتُحفز على التخلص من كآبة الهزيمة وتحض على القتال لتحقيق الانتصار كعلاج وحيد لمحو عار الانكسار. وكذلك جاء فيلم «أبناء الصمت» للمخرج محمد راضي ملحمة عسكرية إنسانية أبدع المشاركون فيها ليبدلوا أجواء الظلام واليأس بالنور والنار. فعلى جبهة القتال والمواجهة كانت العملية الحقيقية لتصفية الحسابات، حسب التصوير الواقعي للفيلم الزاخر بالمعاني والملىء بنجوم التمثيل ومحترفي التقمص، محمود مرسي ونور الشريف وميرفت أمين وحمدي أحمد ومحمد صبحي وسيد زيان والسيد راضي وآخرين.

غير أن فيلماً آخر هو «العمر لحظة» كان إشارة صادقة لصمود الجنود المصريين على جبهة القتال ومنصات القصف، وهو الفيلم الذي قامت ببطولته الفنانة الكبيرة ماجدة مع ناهد شريف ونبيلة عبيد وعلية عبد المنعم وشفيق جلال وأحمد مظهر والوجه الجديد أحمد زكي، الذي مثل دوره جذوة الاشتعال بنيران الغضب وحلاوة النصر بوصفة شهيد المعركة الحاسمة ومحور الأحداث الرئيسية للقصة العسكرية المنطوية على بعض التفاصيل الرومانسية.

أما بقية الأفلام التي كان من بينها «بدور» و«الرصاصة لا تزال في جيبي» و«يوم الوفاء العظيم» فهي ليست سوى صور دعائية لمعركة الصمود والصبر ومرآة عكست جوانب من الاشتباكات الميدانية بين أفراد الجيش المصري وجنود العدو من زاوية ضيقة لا تسمح بأكثر من الرؤية المحدودة للمعارك الجانبية وجزء من ملحمة العبور المائي لقناة السويس بعد تحطيم خط بارليف، وهو عرض يليق بفيلم تسجيلي أكثر مما يليق بفيلم روائي حربي كبير، وربما كان هذا الاختصار المخل للصورة السينمائية بمكوناتها العسكرية هو العامل المُشترك في معظم الأفلام التي لم تتحدد هويتها بالضبط، ولم يتبين مضمونها إذا ما كانت روائية إنسانية تتخذ من واقع الحرب ملمحاً لها، أم أنها محض تسجيل عن بُعد لمعركة تاريخية بالغة الخطورة والأهمية؟

هذه الفروق بين لغة السينما الحربية ولغة السينما الإنسانية المُتماسة مع الحرب لم تتحدد بشكل قاطع، وعليه فقد ظلت هوية الأفلام المُنتجة في حينه لتوثيق حرب أكتوبر مُلتبسة وتحتمل التأويل ما بين المعنيين الحربي والإنساني وإن كانت أقرب إلى الصنف الثاني باعتبارها لم تُحقق الغرض المطلوب منها كوثائق عسكرية حربية مصورة.

والحقيقة أن السينما التسجيلية كانت هي الأوقع بالضرورة في مسألة التوثيق، لكنها كانت الأقل شهرة وحظاً. فالعالق بالذاكرة الجمعية للمُشاهد المهتم هما فيلمان، «جيوش الشمس» للمخرج شادي عبد السلام وعبد العاطي و«صائد الدبابات» للمخرج خيري بشارة، والفيلم الثاني بالتحديد كان معنياً بتسجيل البطولة الفردية للجندي محمد عبد العاطي الذي تمكن من اصطياد 23 دبابة من دبابات العدو وتدميرها بالكامل بكفاءة قتالية نادرة حصل بموجبها على وسام نجمة سيناء من الدرجة الأولى. وبرغم الحالة التسجيلية الخاصة للفيلم إلا أنه كان الأقرب إلى وجدان العامة من الجمهور المصري البسيط، فالبطل يتحدث بعفوية بالغة التأثير عن دوره ووظيفته القتالية في الحرب، ولا يعتبر نفسه بطلاً خارقاً، مع أنه كان حديث العالم كله وقت المعركة، فضلاً عن أن صحيفة أحواله لم تزد في تضمينها لتاريخه وحياته وثقافته عن بعض الإشارات الدالة على صلابته وجسارته وإيمانه المُطلق بواجبه العسكري تجاه وطنه وبلاده.

وما يُميز الفيلمين التسجيلين المذكورين أنهما من جنس واحد لكنهما مُختلفين في التكوين الموضوعي وحالة الانسجام والتأثير، فجيوش الشمس يتحدث عن تكنيك إعداد الجسر الخشبي الذي عبرت عليه الدبابات ويُشير إلى مهارة المُقاتل المصري المُدرب تدريباً فائقاً من الناحية البدنية والقتالية والفنية، ويستعرض في هذا الصدد شهادات الجنود بعد انتهاء الحرب بنحو ستة أشهر فقط، لذلك أعتُبر جيوش الشمس سبقاً سينمائياً فريداً لشادي عبد السلام.

وعلى غرار ما طُرح في الفيلمين السابقين جاءت أعمال أخرى اضطلعت بإنتاجها جهات رسمية أخذت شكل الفيلم التلفزيوني، من بينها «ملحمة كبريت» التي كتبها المراسل العسكري الصحافي عبده مباشر وقام ببطولتها كرم مطاوع وسمية الألفي وسامي العدل وأحمد ماهر وعبد الله محمود، ثم ما لبثت أن انتهت الفترة الحماسية ليأتي التصوير الدرامي متأنياً ومُدققاً في تفاصيل ما بعد الحرب، وهو ما كتبه جمال الغيطاني وأخرجته إنعام محمد علي تحت عنوان «حكايات الغريب» عن بطل من أبطال مدينة السويس ورمز من رموزها وهي حكايات تنطبق على كل مواطن سويسي عاش أيام الحرب وشاهد بطولاتها وملاحمها.

المورد الثقافي بعد دورتين متتاليتين لدراسة ماجستير السياسات والإدارة الثقافية

هدى سيوري: النتيجة إيجابية والمتخرجون يعملون في الحقل الثقافي أو يمثلون مؤسسات ثقافية

هدى سيوري

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

تتجاهل العديد من الدول العربية أهمية الثقافة ودورها الحيوي في حياة الشعوب. والثقافة المقصودة والتي يقبل عليها الجمهور برغبة تتمثل في السينما، والمسرح، والموسيقى على أنواعها. وفي ظل هذا التقصير المتفاوت بين دولة عربية وأخرى في تخصيص وزارات الثقافة بالموازنة التي تمكنها من العمل، فإن مؤسسات رديفة تقوم بالمهمة. مؤسسة المورد الثقافي تعمل منذ سنة 2004 على نطاق عربي يتسع بالتدريج بنشاط في هذا الميدان. وبعد خبرة طويلة في العمل الثقافي وجدت ضرورة لتأسيس برنامج الماجستير للسياسات الثقافية والإدارة الثقافية.

مع هدى سيوري مسؤولة البرنامج هذا الحوار:

○ ماذا في تفاصيل وأهداف الماجستير للسياسات والإدارة الثقافية التي أنشأتها مؤسسة المورد الثقافي؟

● أسس المورد الثقافي الماجستير بالشراكة مع جامعة الحسن الثاني بالمغرب، وجامعة هيلدسهايم في ألمانيا، وكرسي اليونسكو التابع لها للسياسات الثقافية للفنون في التنمية. لدى هاتين الجامعتين الخبرات والخبراء الذين يقدمون الاستشارة والتعاون على صعيد السياسات الثقافية. وهذا الماجستير هو أول تجربة أكاديمية للمورد الثقافي، ويهدف إلى تطوير جيل جديد من الباحثين في السياسات الثقافية، والمدراء الثقافيين من المنطقة العربية، وإلى تعزيز التعاون التربوي والثقافي المشترك، عبر إدخال مناهج أكثر استراتيجية في القطاع الثقافي العام.

○ متى برزت الحاجة لمن يحملون دراسات عليا في الثقافة في عالمنا العربي؟

● في عام 2013 أجرى المورد الثقافي دراسة جدوى لتقييم الحاجة من إنشاء برنامج أكاديمي للدراسات العليا في السياسة الثقافية والإدارة الثقافية في المنطقة العربية، إذ أنّ المعرفة والخبرات الأوروبية أو الأمريكية ليست كافية لمديري الثقافة والباحثين والناشطين في المستقبل في الدول العربية. بدأ العمل على السياسات الثقافية كمشروع من ضمن المشاريع التي ينفذها المورد الثقافي حيث نظّم المورد ورش عمل تدريبية في الإدارة الثقافية لمدراء ثقافيين عرب منذ عام 2005 ما أثمر شبكة كبيرة ومتنوعة من المدربين والمديرين الثقافيين. وفي عام 2009 أجرت مؤسسة المورد الثقافي أول مسح للسياسات الثقافية في 8 دول عربية، ومنذ ذلك الحين قامت بتأسيس ودعم مجموعات السياسات الثقافية الوطنية في 10 دول عربية. وأشارت الخبرات المتراكمة نتيجة هذين البرنامجين للحاجة إلى برنامج دراسة متقدم في السياسات الثقافية والإدارة الثقافية، ولهذا تم تأسيس برنامج الماجستير.

○ هل من أبحاث أدت لولادة مشروع الماجستير الثقافي؟

● أول خطوة في هذا الاتجاه تمثلت بتكوين فريق من خمسة خبراء أكاديميين وميدانيين لإجراء هذا البحث. وتم الاتفاق بين أعضاء الفريق على منهجية بحث تجمع بين الرحلات الميدانية والمقابلات، والبحوث المكتبية والاجتماعات والمناقشات المؤقتة بين أعضاء الفريق. تمت زيارة ثمانية بلدان عربية بهدف اختيار المكان المناسب لإسقبال الماجستير. تكونت أربعة اختيارات كمواقع محتملة للبرنامج هي مصر لبنان وتونس والمغرب. بحث ثانٍ حول البلدان الأربعة أفضى لأنّ يكون المغرب وجامعة الحسن الثاني، المكان الذي سيستقبل طلاب هذا الماجستير.

○ ما هي العناصر التي أدت لفوز جامعة الحسن الثاني بهذه المهمة؟

● من أهم تلك العناصر وجود برامج دراسات عليا والمكتبات والموارد كقسم مختص في الهندسة الثقافية. ما أثبت ان الجامعة قادرة على الجمع بين البحث الأكاديمي والمشاريع على أرض الواقع، وغير ذلك من المواد التي جاءت من ضمن اهتماماتنا للماجستير الثقافي. وسهّلت جامعة الحسن الثاني عملية الشراكة الرسمية لتأسيس البرنامج بالمغرب مع طلاب واساتذة من الخارج. بالإضافة إلى وجود عامل أساسي آخر متمثل باستقرار المغرب سياسياً. فالطلاب سيأتون من بلدان مختلفة ويحتاجون للإقامة، وغير ذلك من الأمور البيروقراطية التي تسهل هذه الشراكة.

○ هل يقتصر التدريس على المواد الموجودة حصراً في البرنامج أم أضيف لها ما يدعم هدفكم من الماجستير الثقافية؟

● الماجستير هو برنامج مختص وجديد على الجامعة. قامت اللجنة التوجيهية للبرنامج بتحضير المواد المدرجة ضمنه. ويتولى أمور الماجستير مجلس إداري يمثل كل من المورد الثقافي، وجامعة الحسن الثاني وجامعة هيلدسهايم، وخبراء مستقلون من جامعات ومؤسسات أخرى.

○ كم عدد المتقدمين إلى الدفعة الأولى وكم عدد الخريجين؟

● الخريجون 10. ترشح لنيل المنحة 1100 مغربي، وحوالي 100 من بلدان عربية مختلفة. يُذكر أن جامعة الحسن الثاني حكومية. واختصاص الماجستير للسياسات الثقافية جديد من نوعه في البلدان العربية، إنما للمرة الأولى يكون هناك نموذج أكاديمي متكامل للماجستير الثقافي. بالإضافة إلى تميزه بنوعية مواده التي تجمع بين التدريس البحثي الأكاديمي، والتعلم التطبيقي على أرض الواقع. وأسمح لنفسي بالإضافة أن اسم المورد الثقافي في منطقتنا العربية بات عنوانه الثقة لكثير من المدراء والباحثين في الثقافة.

○ وكم عدد المقبولين في الدورة الثانية؟

● نحن الآن بصدد الدفعة الثانية من الخريجين. كانوا 20 واستمرّ فقط 17 منهم. ضاعفنا العدد نتيجة الإقبال الكبير ونجاح التجربة مع الفوج الأول من الخريجين. بلغ المتقدمون من المغرب 1400 و75 من باقي الدول العربية في زمن كورونا الصعب دوليا.

الدفعة الأولى تخرّجت سنة 2020. تستمر الدراسة لسنتين بينها نصف سنة مخصصة لإعداد البحث. الدفعة الأولى من الطلاب حضرت كل الدروس في الدار البيضاء وكذلك الخبراء الذين تعاونا معهم. الدفعة الثانية بدأت الدراسة مع انتشار جائحة كورونا فتمت الدراسة عن بعد.

○ هل اخترتم طلاباً من دول عربية تحتاج إلى تنشيط ثقافي أكثر من سواها؟

● هناك طبعا ضرورة للمحافظة على التنوّع الجغرافي لكن لا يعني ذلك تفضيل بلدان معيّنة عن سواها. الاختيار مرتبط بشكل أساسي بنوعية الطلبات التي يقدّمها الطلاب للالتحاق بالبرنامج والتي تختار منها لجنة التحكيم الطلاب الذين سيشاركون في كل دورة حسب المعايير المتفق عليها سابقاً.

○ من يقرأ الاستمارات ويقرر الاختيار؟

● يتم ذلك على مرحلتين. الاختيار الخاص بالمغاربة متروك كلياً لجامعة الحسن الثاني. والمتقدمون من سائر الدول العربية تتولى اختيارهم لجنة خاصة تمثل الشركاء ومختصين آخرين. ويلتزم المورد الثقافي بتأمين منحة دراسية لتغطية جزئية لمتطلبات الحياة للطالب العربي والمغربي المقبول منذ لحظة وصوله إلى الدار البيضاء.

○ هل من حدود لعمر الطالب المقبول؟

● لا. وهذا يخلق غنى للبرنامج برأينا.

○ يبدو أن المال المرصود لهذه الماجستير كبير جداً. من أين هو؟

● المول الرئيسي لهذا البرنامج هو مؤسسة فورد.

○ وهل قيمتم حصيلة الفوجين الأول والثاني؟

● صحيح وخلُصنا إلى نتيجة إيجابية للغاية، ونعمل حالياً على تقييم هذه التجربة والحصول على توصيات من المختصين من أجل تحديد الخطوات المقبلة للبرنامج.

○ وماذا عن المهمات التي يقوم بها الفوج الأول من حملة الماجستير؟

● نتواصل معهم كل ثلاثة أشهر للبحث في كيفية التشبيك بينهم وبين الفوج الثاني وآخرين في المجال. 9 من أصل 10 بينهم يعملون في المجال الثقافي. أحدهم تابع دراسته وينجز الدكتوراه. والآخرون يعملون في الحقل الثقافي وتطوير عملهم كأفراد وأشخاص يمثلون مؤسسات. وهذه حصيلة إيجابية للغاية. يُذكر أن 6 من خريجي الفوج الأول من المغرب، والآخرون من مصر وتونس وفلسطين واليمن.

○ في السنوات الخمس المقبلة ماذا تتوقعون من الذين حملوا الماجستير ثقافية؟

● نتوقع بناء جيل جديد من الباحثين والمدراء الثقافيين وصانعي السياسات الثقافية والأكاديميين القادرين على المساهمة في النشاط الثقافي في بلدانهم وفي المنطقة العربية، وتتوفر لديهم قدرات متميزة في التخطيط الاستراتيجي والإدارة الثقافية والسياسات الثقافية، ما يمكّنهم من تولّي دور جوهري في تطوير القطاع الثقافي الحكومي والصناعات الإبداعية والقطاع الثقافي المستقل، إذ يسعى البرنامج إلى بناء القدرات اللازمة التي تمكّن الطلاب من لعب دور فاعل في تعزيز حرية التعبير والحق في الثقافة والتعاون الثقافي الإقليمي والعمل الثقافي على نحو احترافي.

○ هل ترون في الماجستير الثقافية مرحلة متطورة من تاريخكم الذي يعود لسنة 2004؟

● بالتأكيد هي حصيلة تجربة مجموعات السياسات الثقافية بين 2005 و2009. نعمل كداعمين للعاملين في القطاع الثقافي، ونبني أرضية صحيحة بهدف تطويره.

فيلم «شي سد» يغوص في مسار التحقيقات الاستقصائية لإسقاط هارفي واينستين

بدأ الخميس في نيويورك عرض فيلم «شي سد» عن مسار التحقيقات الطويل الذي أطلق حركة «مي تو» قبل خمس سنوات إثر انكشاف فضاح المنتج هارفي واينستين، في عمل يوجه خصوصاً تحية إلى الصحافة الاستقصائية والنساء اللواتي تجرأن على كسر حاجز الصمت.

وكان هارفي واينستين، المحكوم بالسجن 23 عاماً سنة 2020 في نيويورك إثر إدانته بجرائم اغتصاب واعتداءات جنسية، والذي انطلقت محاكمة جديدة له في لوس أنجليس الاثنين، معتاداً على حضور فعاليات مهرجان نيويورك السينمائي الذي اختتم دورته الستين الجمعة.

لكن في إحدى قاعات مركز لينكولن مساء الخميس، كان تصفيق الجمهور من نصيب الممثلة والناشطة النسوية أشلي جاد، وهي من أولى النساء اللواتي كشفن عن تعرضهن لانتهاكات جنسية من هارفي واينستين.

وفي الفيلم الذي يحمل توقيع المخرجة ماريا شرادر، تؤدي أشلي جاد دوراً مقتبساً من حياتها الشخصية، وهي ممثلة رفضت طلب المنتج إقامة علاقة جنسية معها ودفعت الثمن من مسيرتها، قبل أن تقرر بعد سنوات من الوقائع كشف المستور من دون أي مواربة.

هارفي واينستين

وقالت عن دورها في الفيلم «من المهم جداً أن نعيش حقيقتنا ويكون لنا حق معنوي على قصتنا، وهو ما سهّل عليّ المهمة» موجهة تحية إلى «أخواتها» اللواتي وقعن مثلها ضحية انتهاكات جنسية من واينستين وكنّ حاضرات في عرض الفيلم الخميس.

وفي الخامس من تشرين الأول/أكتوبر 2017 تسبب نشر صحيفة «نيويورك تايمز» مقالا لجودي كانتور وميغن توهي بعد سنوات من العمل الاستقصائي، فوراً بسقوط المنتج الهوليوودي الفائق النفوذ آنذاك وانطلاق حركة «مي تو» (أنا أيضاً) التي أعطت مساحة حرية للنساء لكي يكشفن عن الانتهاكات الجنسية الممارسة في حقهن أو التمييز ضدهن، أبعد من نطاق عالم السينما.

لكنّ فيلم «شي سد» المقتبس من كتاب يحمل الاسم نفسه للصحافيين الحائزين جائزة بوليتزر، لا يهتم بتبعات التحقيق الاستقصائي. فعلى طريقة فيلم «آل ذي بريزيدنتس مِن» سنة 1976 عن فضيحة ووترغيت، أو «سبوتلايت» الذي سلط الضوء على تحقيق صحيفة «بوسطن غلوب» بشأن الاعتداءات الجنسية في حق الأطفال في الكنيسة الكاثوليكية، يشكل الفيلم الجديد قبل أي شيء تحية إلى العمل الدؤوب للصحافيين الاستقصائيين.

وبعد حوالي نصف قرن على تجسيد الثنائي روبرت ريدفورد وداستن هوفمان دور صحافيي «واشنطن بوست» في «آل ذي بريزيدنتس مِن» تهز امرأتان صحافيتان مخضرمتان وامّان شابتان، عرش الكبار بمساعدة ناشرة تعمل في الظل لكن دورها جوهري، وهي روبرت كوربيت، ومع الدعم الكبير من رئيس التحرير في الصحيفة دين باكيت.

وأوضحت جودي جانتور بعد العرض أن «أحد الأسباب التي جعلتنا نتشرف لهذه الدرجة بهذا الفيلم، هو أنه يجسد حقاً قناعاتنا في مجال الصحافة».

وأضافت «لطالما كنا صحافيات، لكن قضية واينستين تضيء بشكل أو بآخر على كل ما نؤمن به وتضع عليها علامات تعجب».

ويؤدي دوري البطولة، زوي قازان التي تلعب شخصية جودي كانتور، وكاري موليغان التي تجسد ميغن توهي.

ويُظهر الفيلم التكامل بين الصحافيتين: إذ تولت الأولى مهمة إقناع الضحايا ليدلين بشهاداتهن، فيما تسلمت الثانية مهمة المواجهة مع مساعدي واينستين.

ومع رزانة ظاهرة في الإخراج والكتابة، وموسيقى بإيقاع جدي ألفها نيكولاس بريتل، تزداد حدة «شي سد» تدريجا وصولاً إلى المواجهة النهائية بين «نيويورك تايمز» وهارفي واينستين مع محاميه، عند نشر المقالة.

هذا الفيلم الذي توزعه شركة «يونيفرسال بيكتشرز» ويضم النجم براد بيت بين منتجيه، يُطرح في الصالات الأمريكية في 18 تشرين الثاني/نوفمبر، قبل إطلاقه في سائر أنحاء العالم في الأيام التالية. (أ ف ب)

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10777 الأحد 16 تشرين الأول (أكتوبر) 2022 – 20 ربيع الأول 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10777 Sunday 16 October 2022

إليزابيت الثانية في شوارع نيس وعلى غلاف مجلة فوغ

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

صوت مجلس بلدية مدينة نيس السياحية الفرنسية هذا الأسبوع لصالح تسمية شارع تكريما لملكة بريطانيا الراحلة إليزابيت الثانية.

فمرة أخرى، تم تكريم الملكة الراحلة إليزابيت الثانية، التي توفيت في الثامن من شهر ايلول/سبتمبر الماضي، خلال افتتاح مجلس مدينة نيس يوم الخميس الماضي. في هذا السياق، اقترح رئيس بلدية نيس، كريستيان إستروزي، أن يحمل أحد شوارع المدينة اسم إليزابيث الثانية. وقال كريستيان إستروزي: «يتعلق الأمر بالتأكيد بعلاقة الصداقة القوية التي تربطنا بالجالية البريطانية، وهي أول جالية أجنبية في نيس قبل الإيطاليين».

وقد تم تبني هذا الاقتراح من قبل المجلس البلدي، الذي صوت أيضًا لصالح تخصيص ستة أسماء أخرى للشوارع في نيس.

في موازاة ذلك، تحيي النسخة البريطانية من مجلة الموضة «فوغ» ذكرى الملك إليزابيت الثانية في عددها لشهر تشرين الثاني/نوفمبر.

وتكرم الطبعة البريطانية من مجلة الموضة الملكة الراحلة، التي توفيت عن عمر ناهز 96 عامًا، بغلاف خال من الصور والإعلانات التشويقية. وكتبت المجلة فقط عبارة «صاحبة الجلالة الملكة» مصحوبة بتواريخها، تزين الجزء السفلي من الغلاف، على خلفية ذات لون واحد.

ويحتفل الإصدار بحياة وإرث الملكة الراحلة، صاحبة السيادة الأطول حكماً في تاريخ بريطانيا، كما جاء في التعليق على الغلاف على الحساب الرسمي لـ« فوغ البريطانية» على الإنستغرام. بالنسبة لصاحبة الجلالة الملكة إليزابيث الثانية، وداعا من «فوغ أكثر من ذلك، إنه شكر».

ولم يتم اختيار هذا اللون عشوائيا، فهو يرتبط بالملوك، وهذا الظل من اللون يسمى «الأرجواني الملكي» إنه أيضًا لون مخمل التاج الإمبراطوري البريطاني، لكن اللون الأرجواني هو أيضًا رمز للحداد داخل العائلة المالكة، كما ذكرت باريس ماتش وقت وفاة الأمير فيليب.

وتوفيت إليزابيث الثانية بعد 70 عامًا من الحكم، وأغرقت وفاتها المملكة المتحدة في فترة حداد وطني، ونُظمت جنازة فخمة في لندن. خلفها ابنها تشارلز الذي أصبح الملك تشارلز الثالث عن عمر يناهز73 عامًا.

«بي تي اس» تحيي حفلة مجانية دعماً لترشيح كوريا الجنوبية لاستضافة «إكسبو 2030»

تجتمع فرقة «بي تي اس» الكورية الجنوبية السبت في حفل موسيقي مجاني في بوسان لدعم ترشيح كوريا الجنوبية لاستضافة معرض إكسبو الدولي سنة 2030 بعد أربعة أشهر من إعلان أعضائها أخذ استراحة من أنشطة الفرقة. ويُتوقع أن يأتي حوالي مئة ألف معجب من جميع أنحاء العالم إلى بوسان لحضور الحفل الموسيقي الذي يحمل عنوان «BTS Yet To Come in BUSAN» وغيره من الأحداث ذات الصلة، وفق سلطات المدينة.

ويُنسب الفضل إلى نجوم البوب الكوري الجنوبي هؤلاء في درّ إيرادات بمليارات الدولارات على اقتصاد كوريا الجنوبية، وقد حققت علامتهم التجارية ارتفاعاً كبيراً في الأرباح، رغم تراجع عدد حفلاتهم منذ بدء جائحة كوفيد–19.

يُقام الحفل بعد إعلان أعضاء «بي تي اس» بصورة مفاجئة في حزيران/يونيو أنهم يأخذون استراحة كفرقة لمتابعة مشاريع فردية.

بعد حوالي شهر من هذا الإعلان، عينت الحكومة النجوم كسفراء رسميين لملف بوسان لاستضافة معرض إكسبو الدولي عام 2030.

وحسب الهيئة المنظمة للمعرض، فإن كوريا الجنوبية هي من بين أربع دول قدمت عرضاً لاستضافة الحدث، إلى جانب أوكرانيا وإيطاليا والسعودية.

ومن المقرر أن يختار المكتب الدولي للمعارض الدولة المضيفة الفائزة العام المقبل.

يأتي الحدث الكبير السبت فيما لا تزال مسألة الالتحاق بالخدمة العسكرية الإلزامية في كوريا الجنوبية بمثابة سيف مسلط على أعضاء فرقة «بي تي اس» إذ تتراوح أعمار نجومها بين 25 و29 عاماً، ويجب عليهم تالياً الالتحاق بحلول العام المقبل وإلا سيواجهون احتمال السجن.

وقال وزير الدفاع الكوري الجنوبي في آب/أغسطس إنه قد يُسمح لأعضاء الفرقة بمواصلة الأداء والاستعداد للحفلات الموسيقية الدولية حتى أثناء قيامهم بواجبهم العسكري. (أ ف ب)

وميض ضوء فضائي يثير دهشة علماء الفلك بمستوى توهجه القياسي

لاحظ علماء فلك أكثر وميض ضوئي توهجاً على الإطلاق، ينبعث على مسافة 2.4 مليار سنة ضوئية من الأرض، ومن المحتمل أن يكون ناتجاً عن ولادة ثقب أسود. وقد رُصد انفجار أشعة غاما، وهو أكثر أشكال الإشعاع الكهرومغناطيسي كثافة، لأول مرة بواسطة تلسكوبات في مدار حول الأرض في التاسع من تشرين الأول/أكتوبر.

ولا يزال ضوؤه المتبقي قيد الدراسة من جانب علماء في جميع أنحاء العالم.

ويشير العلماء في تقديراتهم إلى أن هذه الانفجارات، التي تستمر دقائق عدة، ناتجة عن موت نجوم عملاقة، يزيد حجمها عن حجم الشمس بثلاثين ضعفاً، وفق ما أوضح عالم الفيزياء الفلكية برندان أوكونور.

ينفجر النجم ويتحول إلى مستعر أعظم، قبل أن ينهار على نفسه ويشكل ثقباً أسود. ثم تشكل المادة قرصاً حول الثقب الأسود، ويتم امتصاصه وإطلاقه هناك على شكل طاقة تنتقل بسرعة توازي 99.99 في المئة من سرعة الضوء.

وأطلق الوميض فوتونات تحمل 18 تيرا إلكترون فولت من الطاقة (18 تليها 12 صفراً) وهو رقم قياسي، وأثّر على اتصالات الموجات الطويلة في الغلاف الجوي للأرض.

وقال برندان أوكونور الذي قدم ملاحظات جديدة للظاهرة الجمعة باستخدام أدوات الأشعة تحت الحمراء لتلسكوب مرصد الجوزاء الجنوبي في تشيلي «هذا يحطم الأرقام القياسية، سواء في كمية الفوتونات أو في طاقة الفوتونات التي تصل إلينا».

وأضاف عالم الفيزياء الفلكية «إن هذا الجسم اللامع، بهذا القرب، هو في الحقيقة حدث يحصل مرة واحدة في القرن».

وأوضح أن «أشعة غاما تطلق بشكل عام في غضون ثوان كمية الطاقة نفسها التي أنتجتها شمسنا أو ستنتجها طوال حياتها. وهذا الحدث هو ألمع وهج لأشعة غاما على الإطلاق».

ولوحظ التوهج المسمى GRB221009A صباح الأحد (بتوقيت الساحل الشرقي للولايات المتحدة) بواسطة تلسكوبات عدة، يتبع كثير منها لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا». (أ ف ب)